أحمد عيسى عاشور

غرائب الأخبار

ونوادر الحكم واللطائف والأشعار





جلال عباده ٨٧


بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة
لمكتبة القرآن

أحمد عيسى عاشور

غرائب الأخبار

ونوادر الحكم واللطائف والأشعار

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنهاوى - بولاق
القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

أما بعد ، فإن النفوس تسأم كما تسأم الأجسام ، وتمل كما تمل الأبدان ، وتصدأ كما يصدأ الحديد ، ولابد لها من الترويح عنها بالتماس طرائف الحكم ، واللهو البرىء واللعب المباح ، تتسلى به عن مجهودها وتستجم لوقت نشاطها ، وتنشط لزمان عملها ، يقول الإمام «على» كرم الله وجهه : القلب إذا أُكْرِهَ عمى .

ويقول : «ابن مسعود» رضى الله عنه : القلوب تمل كما تمل الأبدان فاطلبوا لها طرائف الحكمة .

وقال «الزهرى» : كان رجل يجالس أصحاب رسول الله ﷺ ويذاكرهم فإذا ثقل عليه الحديث قال : إن الأُذن مجاجة[1] أَلَا فهاتوا لها من أشعاركم وحديثكم هذا .

وقد أردت أن أعالج ناحية من نواحى ضعف النفس بما أقدمه لها من دواء ناجع[2] وبلسم شافٍ ، وأحببت أن أروح عنها ببعض المرغبات فالتمست لها من طرائف الحكم ومشوقات الأخبار وشوارد الفوائد وغرائب النوادر ، وغرر الحديث وعيون الأشعار ماتتغذى به الأرواح وتطمئن إليه القلوب وترتاح له النفوس ، وجعلت ذلك فى كتاب جامع سميته : « متفرقات » وصدرته بوصف (الكتاب) للجاحظ لتعرف ثمرة الكتب وفائدة الاطلاع

(١) المجّاج والمجّاجة : الكثير المج للشراب وغيره ، والأُذن تمج ماتكره ، ولا تتقبله .

(٢) ناجع : شافٍ .

وفضل البحث ، ثم بخبر طريف عن إيمان الصديق «أبى بكر» رضى الله عنه وهو حدث صبى ليكون بنيان الكتاب وأساسه على اليقين وبركة الصالحين .

ثم جعلت الكتاب بعد ذلك مفرق المواضيع ليكون أبعث للنشاط وأمتع للنفس وأروح للقلب فإنك إذ تقرأ فيه بحثا تاريخيا تليداً تصادف بعده حكماً شرعياً مفيداً أو نادرة من النوادر الطريفة .

وقدبوَّبته فى ثلاثة أبواب : (الباب الأول) : فى الأخبار والْحِكَم : و(الباب الثانى) فى النوادر والطرائف – و(الباب الثالث) فى عيون الشعر* .

وقد أنفقت العمر فى جمع شوارده واختيار نوادره من بطون المراجع وأمهات الكتب فجاء بحق حديقة الأدباء ، وروضة البلغاء والشعراء .. حيث يتنقل فيه القارىء من غصن إلى غصن .. ومن زهرة إلى زهرة فتسمو عواطفه ، وترق مشاعره ، وتهدأ نفسه ، ويسعد قلبه ، ويستريح ضميره .

والله نسأل أن يجعله خالصاً لوجهه نافعاً لخلقه إنه تعالى سميع الدعاء ..

أحمد عيسى عاشور

---

* كانت هذه مقدمة الجزء الأول فى الستينات وتلاه أخواه : الثانى والثالث . وأمام رغبة الكثيرين فى إعادة طبع الكتاب بأجزائه الثلاثة والظروف المحيطة بالنشر قمت بإعادة النظر لتنسيق الموضوعات وجمعها فى كتاب واحد تحت اسم : غرائب الاخبار ونوادر الحكم واللطائف والأشعار .

«الناشر»

الباب الأول

في الحوادث والأخبار

الحوادث والأخبار

فى وصف الكتاب

قال «**الجاحظ**»[3] فى كتاب الحيوان : الكتاب نعم الأنيس فى ساعة الوحدة ، ونعم المعرفة فى دار الغربة ، ونعم القرين والدخيل ، ونعم الزائر والنزيل ، وعاء ملىء علما وظَرْفٌ حُشى ظَرْفًا وإناء ملىء مُزاحا وجدا ، وحبذا بستان يحمل فى خرج وروض يقلب فى حجر . هل سمعت بشجرة تؤتى أكلها كل حين بألوان مختلفة وطعوم متباينة ؟ هل سمعت بشجرة لاتذوى وزهر لا يذبل وثمر لا يفنى ؟ ومن لك بجليس يفيد الشيء وخلافه ، والجنس وضده ؟ ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء ، إن غضبت لم يغضب ، وإن عربدت لم يصخب ، أكتم من الأرض وأنَمُّ من الريح وأهوى من الهوى وأخدع من المنى وأمتع من الضحى وأنطق من «**سحبان وائل**»[4] وأَعْيا من باقل ؛ هل سمعت بمعلم تحلى بخلال كثيرة وجمع أوصافاً عديدة عربى فارسى يونانى هندى سندى ؟ إن وعظ أسمع وإن ألهى أمتع وإن أبكى أدمع وإن ضرب أوجع . يفيدك ويستفيد منك ويزيدك ويستزيد منك إن جَدَّ فعِبْرة وإن مزح فنزهة ، قبر الأسرار وقيد العلوم وينبوع الْحكم ومعدن المكارم ومؤنس لا ينام ، يُفيدك علم الأولين ويخبرك عن كثير من أخبار المتأخرين ؛ هل سَمِعت من الأولين أو بلغك عن أحد من السالفين من جمع هذه الأصناف مع قلة مؤنته وخفة محمله لا يرزؤك

(٣) هو : أبو عثمان عمرو بن بحر ، ولُقّب بالجاحظ لجحوظ فى عينيه .

(٤) هو : سحبان بن زفر بن إياس الوائلى ، من باهلة ، خطيب يضرب به المثل فى البيان ، عاش فى الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم ير النبى ﷺ .

شيئاً من دنياك ؟ نِعْمَ المدخر والعدة والمشتغل والحرفة ، يعطيك فى الليل والنهار ويطيعك فى السفر طاعته فى الحضر ، إن أطلت النظر فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجوَّد بيانك وفخَّم ألفاظك ، إن ألفْتَهُ خلَّد على الأيام ذكرك ، وإن درسته رفع فى الخلق قدرك ، يقعد العبيد فى مقاعد السادات ويجلس السوقة فى مجالس الملوك ، فأكرم به من صاحب رفيق وأعزز به من موافق صديق .

اسمه فى السماء صديق

اجتمع المهاجرون والأنصار عند رسول الله ﷺ فقال «**أبو بكر**» : وعيشك يارسول الله ماسجدت لصنم قط فغضب «**عمر ابن الخطاب**» وقال : تقول ما سجدت لصنم وقد كنت فى الجاهلية كذا وكذا سنة ، فقال : «**أبو بكر**» : ذلك أنى لما ناهزت الحلم أخذنى أبو قحافة[٥] بيده فانطلق بى إلى مخدع فيه الأصنام فقال لى : هذه آلهتك الشم العوالى فاسجد لها ، وخلانى وذهب ، فدنوت من الصنم وقلت له : إنى جائع فأطعمنى ، فلم يجبنى . فقلت : إنى عطشان فاسقنى فلم يجبنى . فقلت له : إنى عارٍ فاكسنى . فلم يجبنى . فأخذت صخرة وقلت : أنى مُلْقٍ هذه الصخرة عليك فإن كنت إلٰها فامنع نفسك فلم يجبنى . فألقيت عليه الصخرة فخرَّ لوجهه .. فأقبل والدى وقال : ما هذا يابنى ؟ فقلت هو الذى ترى . فانطلق بى إلى أمى فأخبرها فقالت : دعه فهذا الذى ناجانى به الله ، فقلت : يا أماه ... ما الذى ناجاك به الله فقالت : ليلة جاءنى المخاض ولم يكن عندى أحد .. فسمعت هاتفاً يهتف .. فأسمع الصوت ولا أرى الشخص : ياأمة الله أبشرى بالولد العتيق اسمه فى السماء صديق .

---

(٥) «**أبو قحافة**» والد «**أبى بكر**» ، وكان اسمه «**عثمان بن عامر**»

فى عرس المأمون[٦]

بنى «**المأمون**» ببوران بنت الحسن بن سهل ، واحتفل أبوها بعرسها وعمل من الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله فى مصر من الأمصار وانتهى أمره إلى أن نثر على الهاشميين والقادة والكتاب والوجوه بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضباع وجوار وصفات دواب وغير ذلك ، فكانت البندقة إذا وقعت فى يد الرجل فتحها وقرأ ما فيها ثم يمضى إلى الوكيل فيدفعها إليه ويتسلم ما فيها ، ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك[٧] وبيض العنبر ، وأنفق على «**المأمون**» وقادَتِهِ وجميع أصحابه وسائر من كان معه من أجناده وأتباعه وكل من ضمه عسكره وكان مبلغ النفقة خمسين ألف ألف درهم (نحو مليون جنيه) وأمر «**المأمون**» له عند انصرافه بعشرة آلاف درهم وأقطعه «**فم الصلح**» وأطلق له خراج «**فارس**» وكور «**الأهواز**» مدة سنة وهذا إسراف عظيم سهل أمره الوارد الكثير .

فضـــل المـــال

قال «**عبد الرحمن بن عوف**» رضى الله عنه : يا حبذا المال أصون به عرضى وأتقرب به إلى ربى .

وقال «**ابن عباس**» رضى الله عنهما : الدنيا العافية والشباب الصحة والمروءة الصبر ، والكرم التقوى والحسب المال .

وقال حكيم لابنه : طلب المال فإنه عز فى قلبك ، وذل فى قلب غيرك .

وقال آخر : من أبدى للناس فقره فليس له عندهم قدر ، ومن أراد أن يعلم هوانه عليهم فليشْكُ إليهم حاجته . ومن استغنى عنهم عظموه ووقروه .

وقال «**أرسطاطاليس**» : الغنى فى الغربة وطن ، والفقر فى الأهل غربة .

---

(٦) ثانى أولاد «**هارون الرشيد**» ، بعد «**محمد : الأمين**» ، وكان اسمه «**عبد الله**» ، وأمه أم ولد .

(٧) نوافج المسك جمع نافجة وهى وعاء المسك والجلدة التى يجتمع فيها المسك .

شُكْر الله على المصيبة

وقال « شُرَيح » : إنى لأُصابُ بالمصيبة فأَحْمد الله عليها أربع مرات ، أحمده أن لم تكن أعظم مما هى ، وأحمده إذ رزقنى الصبر عليها ، وأحمده إذ وفقنى للاسترجاع لما أرجوه فيها من الثواب ، وأحمده إذا لم يجعلها فى دينى .

رؤوس النِّعم

قيل : رؤوس النِّعم ثلاثة ، أولها : نعمة الإسلام التى لا تتم النعم إلا بها — ثانيها : نعمة العافية التى لا تطيب الحياة إلا بها — ثالثها : نعمة الغنى التى لا يتم العيش إلا بها ..

من برئ من ثلاث نال ثلاثا

من برئ من الشَّرَهِ نال العز ، ومن برئ من البخل نال الشرف ، ومن برئ من الكبر نال الكرامة .

العفو عند المقدرة

قال «**أبو جعفر المنصور للربيع**» : ابعث إلى «**جعفر بن محمد**»[8] والله لأقتلنه شر قتله ، فذهب إليه وقال : أجب أمير المؤمنين ، فلما مثل بين يديه سلم فلم يرد عليه السلام ووقف فلم يجلس فرفع «**المنصور**» إليه رأسه وقال : أنت الذى ألْبت على ؟ حدثنى أبى عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال : «**يُنْصَبُ للغادر لواء يوم القِيامة يُعْرف به**»[9] . فقال «**جعفر بن محمد**» . حدثنى أبى عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال : «**ينادي مناد يوم القيامة من**

---

(8) «**جعفر بن محمد**» — الصادق — رأس المذهب الشيعى الجعفرى ، وهو الإمام السادس من الأئمة الاثنى عشر .

(9) رواه البخارى فى الجزية ٢٢ ، والأدب ٩٩ . وأبو داود فى الجهاد ١٥٠ . والترمذى فى السير ٢٨

بطنان العرش : ألا فليقم من كان أجره على الله فلا يقوم من عباد الله إلا المتفضلون » ومازال يقول حتى سكن ما به ولان له ، **فقال : اجلس يا «أبا عبد الله»** ثم طيبه وقال : انصرف فى حفظ الله ، **وقال للربيع : أتبعْ «أبا عبد الله»** جائزته وأضعفها .

من جود «عثمان» رضى الله عنه

أصاب الناسَ قحطٌ فى خلافة «**أبى بكر**» رضى الله عنه فلما اشتد بهم الأمر جاءوا إلى «**أبى بكر**» وقالوا : ياخليفة رسول الله ﷺ **إن السماء لم تمطر والأرض** لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك فما تصنع ؟ فقال لهم : انصرفوا واصبروا فإنى أرجو الله أن لا تُمْسوا حتى يفرج الله عنكم ، فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيراً لعثمان بن عفان جاءت من الشام وتُصْبِحُ فى المدينة فلما جاءت خرج الناس يتلقونها فإذا هى ألف بعير موثوقة بُرًّا وزيتاً وزبيباً ، فلما جعلها فى داره جاء التجار فقال لهم : ماتريدون ؟ قالوا : إنك لتعلم مانريد ، بِعْنا من هذا الذى وصل إليك فإنك تعلم ضرورة الناس إليه ، قال : حبا وكرامة كم تربحوننى على شرائى ، قالوا : الدرهم بدرهمين ، قال : أُعْطيت زيادة على هذا ، قالوا : أربعة ، قال : أعطيت زيادة على هذا ، قالوا : خمسة ، قال : أعطيت أكثر من هذا ، قالوا : يا «**أبا عمرو**» مابقى فى المدينة تجار غيرنا ، وما سبقنا إليك أحد ، فمن ذا الذى أعطاك ؟ قال : إن الله أعطانى بكل درهم عشرة ، أعندكم زيادة ؟ قالوا : لا ، قال : فإنى أُشهِدُ الله أنى جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين ..

فضل اللغة العربية

قال «**عمر**» رضى الله عنه : تعلموا العربية فإنها تقوِّى العقل وتزيد المروءة .

وحكى الأصمعى فقال : كنت أقرأ ﴿**والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاْقْطعوا أَيْديهما جزاءً بما كَسَبا نكالاً من الله**﴾ والله غفور رحيم . ويجيبنى أعرابى بقوله : كلام من

هذا ؟ قلت : كلام الله . قال أعِدْ ، فأعدت قال : هذا ليس كلام الله ، فانتبهت فقرأت ﴿والله عزيز حكيم﴾ فقال : أصبت هذا كلام الله . فقلت : أتقرأ القرآن ؟ قال : لا . فقلت : من أين علمت هذا ؟ قال : يا هذا عَزَّ فَحَكَمَ فَقَطَعَ ، ولو غَفَرَ رَحِمَ وما قَطَعَ .

رأيُ « ابن الصَّلاح » فى « ابن سينا »

سئل « **ابن الصلاح** » فى جماعة من المسلمين المنتسبين إلى أهل العلم والتصوف : هل يجوز لهم أن يشتغلوا بتصنيف « **ابن سينا** » ؟ وأن يطالعوا فى كتبه ؟ وهل يجوز لهم أن يعتقدوا أنه كان من العلماء أم لا ؟ فأجاب رضى الله عنه : لا يجوز لهم ذلك ، ومن فعل ذلك فقد غدر بدينه وتعرض للفتنة العظمى ، ولم يكن ابن سينا من العلماء بل كان شيطاناً من شياطين الإنس وكان حيران فى كثيرٍ من أمره .

خير الدنيا والآخرة

قال « **الشافعى** » رضى الله عنه : خير الدنيا والآخرة فى خمس خصال : غنى النفس ، وكف الأذى ، وكسب الحلال ، ولباس التقوى ، والثقة بالله عز وجل على كل حال .

من حَكِم الشافعى

قال الإمام « **الشافعى** » رضى الله عنه : من حفظ القرآن نُبَلَ قدره ، ومن تفقه عظمت قيمته ، ومن حفظ الحديث قويت حجته ومن حفظ العربية والشعر رقَّ طبعه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعْهُ العلم .

من علامات أهل الجنة

عن «**أنس**» رضى الله عنه قال : كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال : «**يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة**» . قال : فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من أثر وضوئه ، قد علّق نعليه فى يده الشمال فسلّم ، فلما كان الغد قال ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل ، وقال ذلك فى اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل، فلما قام تبعه «**عبدالله بن عمرو بن العاص**» رضى الله عنه فقال له: إنى لاحَيْتُ[١٠] أبى فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثاً فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى الثلاث؟ فقال: نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تقلّب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر .. غير أنى ما سمعته يقول إلا خيراً ، فلما مضت الثلاث وكدت أحتقر عمله قلت : ياعبد الله لم يكن بيني وبين والدى غضب ولا هجر لكن سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيراً فما الذى بلغ بك ذلك ؟ فقال : ما هو إلا ما رأيت ، فلما وَلَّيْتُ دعانى فقال : ما هو إلا ما رأيت غير أنى لا أجِدُ على أحد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسداً على خير أعطاه الله إياه ، قال : «**عبد الله**» فقلت له : هى التى بلغت بك ، والتى لا نطيق[١١] .

شَـرْطُ ولى السـلطان

من شرط ولى السلطان القوة والأمانة قال الله تعالى : ﴿**إن خير من استأجرت القوىّ الأمين**﴾ . وقال صاحب مصر ليوسف عليه السلام : ﴿**إنك اليوم لدينا مكين أمين**﴾ . وقال تعالى فى وصف جبريل : ﴿**ذي قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين**﴾ .

(١٠) لاحيْتُ : من الملاحاة ، وهى الخصومة فى الكلام .
(١١) رواه أحمد ٣/ ١٦٦ ، ٣٥٦ ، ٣٨٠ .

والقوة فى كل ولاية بحسبها . فالقوة فى إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب والخبرة بالحروب والمخادعة فيها والقدرة على أنواع القتال ومعرفة فنونها ، قال تعالى : ﴿**وأَعِدُّوا لهم ما آستَطَعْتُم من قُوَّةٍ**﴾(١٢) .

والقوة فى الحكم بين الناس ترجع إلى العلْم بالعدل الذى دل عليه الكتاب والسنة والقدرة على تنفيذ الأحكام .

والأمانة ترجع إلى خشية الله وأن لا يشترى بآياته ثمنا قليلا وترك خشية الناس ، وهذه الخصال الثلاث التى اتخذها الله على كل حكم على الناس فى قوله تعالى : ﴿**فلا تخشوا الناس واخشَوْن ولا تشتَرُوا بآياتِي ثمناً قليلًا ، ومن لم يحْكم بما أَنْزَلَ الله فَأولئك هُمُ الكافرون**﴾(١٣) . ولهذا قال النبى ﷺ : «**القضاة ثلاثة ــ قاضيان فى النار وقاضٍ فى الجنة . فرجل علم الحق وقضى بخلافه فهو فى النار . ورَجُلٌ قضى بين الناس على جَهْل فهو فى النار ، ورجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة**»(١٤) .

ما هكذا علَّمنا رسول الله

عطس رجل عند «**ابن عمر**» فقال : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، فقال «**ابن عمر**» الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله حق ، ولكن ما هكذا علَّمنا رسول الله ﷺ(١٥) .

من حِكْمةِ خِتان المرأة

فى ختان المرأة خواص منها نضارة الوجه ونماء البدن كالشجر إذا قطع فَضْله وغصنه الزائد يحصل له النّماء ؛ وورد فى الخبر النبوى : [**الختان سنة للرجال**

(١٢) سورة «**الأنفال**» الآية «٦٠»
(١٣) سورة «**المائدة**» الآية «٤٤»
(١٤) رواه أبو داود فى الأقضية ٢ . وابن ماجه فى الأحكام ٣ .
(١٥) رواه أحمد ٥ /٧٥ . وأبو داود فى الأدب ١٦٧ .

مكرمة للنساء] . وهو فوق ذلك من كمال الفطرة .

فَضْل عَسَل النحل

قال تعالى : ﴿يخرجُ من بُطونها شرابٌ مُختلف ألوانُه فيه شفاءٌ للناس﴾[16] وقال ﷺ : [**عليكم بالشفاءَيْن العسلِ والقُرْآن**] وقال ﷺ : [**الشفاء فى ثلاثة : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار**][17] . وفى الخبر : «**العسل شفاء من كل داء ولا داء فيه يُقلُّ البلغم ويجلو القلب**»[18] . وفى الخبر أيضاً : «**ما استشفى الناس بمثل لعَقِ العسل**» .

بِمِ يَسُودُ الرجال

قيل أسباب السيادة العقل ، والحلم ، والصيانة ، والصدق ، والعلم ، والسخاء ، وأداء الأمانة ، والصبر ، والتواضع ، والعفاف ، تلك عشرة كاملة .

وقال «**عبد الله بن عمر**» : ما رأيت بعد رسول الله ﷺ فى الصحابة أسود من «**معاوية**» فقيل له : هو خير من «**أبى بكر**» و «**عمر**» ؟ قال : هما خير منه وهو أسود[19] منهما لحلمه وجوده فإنا معشر قريش نعد الحلم والجود السيادة .

وقال «**عبد الملك**» لبنيه : كل يترشح لهذا الأمر (يعنى الخلافة) ولا يصلح له إلا من كان له سيف مسلول ومال مبذول ولسان معسول وعدل تطمئن إليه القلوب وأمْر تستقر به فى مضجعها الجنوب .

---

(١٦) سورة «النحل» الآية «٦٩» .

(١٧) رواه ابن ماجه فى الطب ٧ .

(١٨) رواه البخارى فى الطب ٣ ، ٤ ، ١٥ . ومسلم فى اسلام ٧١ . وابن ماجه فى الطب ٢٣ . وأحمد ٣/ ٣٤٣ .

(١٩) أى أكثرهما فى باب السيادة وأحقهما بها .

من الأجوبة المفْحِمة

قال «**المقوقس**» عظيم القبط لـ«**حاطب بن أبي بلتعة**»[20] رضى الله عنه لما جاء بكتاب النبى ﷺ : ما منع محمداً إن كان نبيًّا أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده ؟ قال له «**حاطب**» : فما منع «**عيسى**» عليه السلام حين قبض عليه اليهود لصلبه أن يدعو عليهم ويهلكهم ؟ .

عَليّ واليهودى

وقال رجل من اليهود لـ«**علي بن أبي طالب**» رضى الله عنه : ما دفنتم نبيكم حتى قال الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فقال «**علي**» رضى الله عنه : ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم : ﴿**يا موسىٰ اجْعَلْ لنا إلٰها كما لَهُم آلهة**﴾[21] .

المتوَكِّل ومِنْبَرُ رسُول الله ﷺ

وقال «**المتوكل**» يوماً لجلسائه : نقم المسلمون على «**عثمان**» أشياء منها أن «**أبا بكر**» رضى الله عنه لما تسنَّم المنبر هبط عن مقام النبى ﷺ بدرجة ، ثم قام «**عمر**» دون مقام «**أبي بكر**» وصعد «**عثمان**» ذروة المنبر ، فقال أحد الجالسين : ما أحد أعظم منة عليك من «**عثمان**» يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف ؟! ويلك ، قال : لأنه صعد ذروة المنبر ولو أن كل خليفة نزل درجة ونزل «**عثمان**» كمن تقدمه لكنت أنت تخطبنا من بئر ، فضحك «**المتوكل**» ومن حوله ..

الخارجي والحجاج

وقال «**الحجاج**» لرجل من الخوارج : أجمعت القرآن ؟ قال : ما كان مُفَرَّقا **فأَجْمَعُه** !! قال : **أفتحفظه** ؟ قال : ما خشيت فراره حتى أحفظه !! قال :

(٢٠) كان ــ رضى الله عنه ــ رسُول رَسُول الله ﷺ إلى «**المقوقس**» يدعوه إلى الاسلام .
(٢١) إشارة إلى الآية الكريمة فى سور «**الأعراف**» (١٣٨)

ما تقول فى أمير المؤمنين ؟ قال : لعنه الله ولعنك معه ، قال : إنك مقتول فكيف تلقى الله ؟ قال : ألقاه بعملى وتلقاه بدمى .؛

ذكاء طُفَيْلِىّ

قال «**أبو عمر الجهضمى**» : كان لى جار طفيلى ، وكان من أحسن الناس منظراً وأعذبهم منطقاً وأطيبهم رائحة ، وكان من شأنه إذا دعيت إلى وليمة يتبعنى فيكرمه الناس من أجلى ، فاتفق أن «**جعفر بن القاسم الهاشمى**» أمير البصرة أراد أن يختن أولاده فقلت فى نفسى كأنى برسول الأمير قد جاءنى وكأنى بالطفيلى وقد تبعنى والله لئن فعل لأفضحنه ، فإذا بالأمير قد دعانى فلبست ثيابى وخرجت وإذا بالطفيلى واقف على باب داره وقد سبقنى بالتأهب للدخول فتقدمت وتبعنى ، فلما حضرت الموائد كان معى على المائدة فلما مد يده ليأكل قلت : حدثنى «**درسة بن زياد**» عن «**أبان بن طارق**» عن «**نافع**» عن «**ابن عمر**» قال : قال رسول الله ﷺ : «**من دخل دار قوم بغير إذنهم فأكل طعامهم دخل سارقاً وخرج مغيراً**» فلما سمع الطفيلى ذلك قال : أنفت لك والله يا «**أبا عمر**» من هذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام فإنه ما من أحد من الجماعة إلا وهو يظن أنك تعرِّض به دون صاحبه وقد بخلت بطعام غيرك على من سواك ثم ما استحييت حتى حدثت عن «**درسة بن زياد**» وهو ضعيف ، وعن «**أبان بن طارق**» وهو متروك الحديث ، والمسلمون على خلاف ما ذكرت ، فإن حكم السارق القطع ، وحكم المغير أن يُعزّر على ما يراه الإمام ، وأين أنت من حديث حدثناه «**أبو عاصم**» عن «**ابن جريج**» عن «**الزبير**» عن «**جابر**» قال : قال رسول الله ﷺ : «**طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الأربعة وطعام الأربعة يكفى الثمانية**» وهو إسناد صحيح ومتن صحيح متفق عليه . قال «**أبو عمر**» : والله قد أفحمنى ولم يحضرنى جواب ، فلما خرجنا فارقنى من جانب الطريق إلى الجانب الآخر بعد أن كان يمشى ورائى وسمعته يقول :

وَمَنْ ظَنَّ مِمَّن يُـلاقِى الحـروب   بأَنْ لا يُصابَ فقـد ظَنَّ عَجـزا

فِقهُ أبي بَكْرٍ

قال ﷺ يوماً لأصحابه : **« إن عبداً خيره الله بين زهرة الدنيا وما عنده من خير ، فاختار ما عند الله . فقالوا : جزاءُ الله خيراً »**[٢٢] .

ولكن بكى «أبو بكر» رضي الله عنه ، فقال ﷺ : **«مهلا يا أبا بكر على رِسْلك . فقال «أبو بكر» نفديك بأرواحنا يا رسول الله ، فقال ﷺ : خير المهاجرين والأنصار «أبو بكر» ، فقال «ابن عباس» رضى الله عنهما : «أبو بكر» أفقهنا وأذكانا]**[٢٣] .

فضْل الإقبال على الآخرة

قال ﷺ : **«من جعل الهمَّ هَمًّا واحداً : هَم آخرته ، كفاه الله همَّ دنُياه ؛ ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله فى أى أودية الدنيا أهلكه ، وما أقبل عبد على الله بقلبه إلا جعل الله قلوب الناس تفد إليه بالودّ والرحمة وكان الله إليه بكل خير أسرع»**. رواه الحافظ المنذرى .

العِتاب يفسد الأحباب

قال **«إياس بن معاوية»** : خرجت فى سفر ومعى رجل من الأعراب فلما كان فى بعض النواحى لقيه ابن عم له فتعاتبا وإلى جانبهما شيخ من الحى فقال لهما الشيخ : أنعما عيشا إن المعاتبة تبعث التجنى ، والتجنى يبعث المخاصمة ، والمخاصمة تبعث العداوة ، ولا خير فى شيء ثمرته العداوة ، فقلت للشيخ : من أنت ؟ فقال : أنا ابن تجربة الدهر . فقلت : ما أفادك الدهر ؟ قال : العلم به ، قال : فَأَيَّتُهُ أحمد ؟ قال : أن يُبْقِى المرء أُحْدوثةحسنة بعده ..

---

(٢٢) رواه البخارى فى مناقب الأنصار ٤٥ . ومسلم فى فضائل الصحابة ٢ . والترمذى فى المناقب ١٥ .

(٢٣) رواه البخارى فى مناقب الأنصار ٤٥ . ومسلم فى فضائل الصحابة .

حسن الجواب

قيل «**للعباس بن عبد المطلب**» رضى الله عنه : أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ؟ قال : هو أكبر منى وأنا ولدت قبله .

ودخل «**سعيد بن مرة الكندى**» على «**معاوية**» رضى الله عنه فقال له : أنت «**سعيد**» ؟ قال : أمير المؤمنين سعيد وأنا ابن مرة .

ودخل «**السيد بن أنس الأزدى**» على «**المأمون**» فقال : أنت السيد ؟ فقال : أنت السيد ياأمير المؤمنين وأنا «**ابن أنس**» .

وقال : «**الحجاج**» لِلْمُهَلَّب : أنا أطول أم أنت ؟ قال : الأمير أطول وأنا أبسط قامة منه .

ووقف «**المهدى**» على امرأة من «**بنى طيئ**» فقال لها : ممن العجوز ؟ قالت من «**طيىء**» قال : ما منع طيئا أن يكون فيها آخر مثل «**حاتم**» ؟ قالت : الذى منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك .

فَكَأَنا ألف «حازم»

قيل لرجل من «**عبس**» : ماأكثر صوابكم !! قال : نحن ألف رجل وفينا «**حازم**» واحد ونحن نشاوره فكأنا ألف حازم ..

من طلب هذا الأمر لم يُعَنْ عليه

أراد «**عمر بن الخطاب**» أن يستعمل رجلا فبادر الرجل فطلب منه العمل ، فقال له : والله لقد كنت أردتك لذلك ولكن من طلب الأمر لم يُعَنْ عليه .

كن كما خلقك الله

قال رجل للشافعى رضى الله عنه : أوصنى فقال : خلقك الله حرًّا وكن كما خلقك .

يكون وهم ظالمون

قال «**الشعبى**» : كنت جالساً عند «**شريح القاضى**»[٢٤] إذ دخلت امرأة تشتكى زوجها وهو غائب وتبكى بكاء شديداً ، فقلت : ما أراها إلا مظلومة ، قال : وما علمك؟ قلت : لبكائها ، قال : فإن إخوة يوسف : قال الله فيهم : ﴿**وجاءوا أباهم عشاء يكون**﴾[٢٥] . وهم ظالمون !

فأيهما اتبعت كتبت من أهله

دخل «**سالم**» مولى «**عمر بن عبد العزيز**» ، على عامل للخليفة فقال له : يا أبا النضر ، إنا تأتينا كتب من عند الخليفة فيها ما فيها ولا نجد بداً من إنفاذها فما ترى ؟ فقال له «**أبو النضر**» : قد أتاك كتاب من الله قبل كتاب الخليفة فأيهما اتبعت كنت من أهله[٢٦] .

الحذر لا يمنع من القدر

قال الله تعالى : ﴿**قُلْ إنَّ المَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنه فإنَّهُ مُلَاقِيكُمْ**﴾[٢٧] . وقال تعالى : ﴿**أينَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمْ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدةٍ**﴾[٢٨] .

وقال «**هانىء بن مسعود الشيبانى**» : إن الحذر لا ينجى من القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر .

وقال «**أبو بكر الصديق**» رضى الله عنه لخالد بن الوليد حين أخرجه لقتال

---

(٢٤) «**شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندى**» من أشهر القضاة الفقهاء فى صدر الاسلام ، ولى قضاء الكوفة فى زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية .

(٢٥) سورة «**يوسف**» الآية (١٦)

(٢٦) وكتاب الله أولى ، فاختر لنفسك مايحلو .

(٢٧) الجمعة : ٨

(٢٨) سورة «**النساء**» الآية (٧٨)

أهل الردة : احرص على الموت توهب لك الحياة .

وقال «علي» كرم الله وجهه : إن الموت طالب حثيث ، لا يعجزه المقيم ، ولا يفوته الهارب ، إن لم تقتلوا تموتوا ، ألا وإن أشرف الموت القتل في سبيل الله

وقال بعض الحكماء : إذا كان القدر حقا فالحرص باطل ، وإذا كان الموت بكل أحد نازل ، فالطمأنينة إلى الدنيا حُمْق .

«سِفَانَةُ بنت حاتم»

وجه رسول الله ﷺ إلى «طيّئ» فريقاً من جنده يتقدمهم «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه ففزع من ذلك «عدى بن حاتم» وكان من أشد الناس عداء لرسول الله ﷺ ، فصبَّح على القوم واستاق خيلهم ونعمهم ورجالهم ونساءهم إلى رسول الله ﷺ ، فلما عرض عليه الأسرى نهضت من بين القوم «سفانة بنت حاتم» فقالت : يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فإن رأيت أن تخلى عنى ، ولا تشمت بى أحياء العرب فإن أبى كان سيد قومه ، يفك العانى (الأسير) ويقتل الجانى ويحفظ الجار ، ويحمى الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ويفشى السلام ويحمل الكل (المحتاج) ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاه أحد فى حاجة فرده خائبا ، أنا بنت «حاتم الطائى» . فقال النبى ﷺ : [**يا جارية هذه صفات المؤمنين لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، ثم قال : ارحموا[٢٩] عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالماً ضاع بين جهال**] وامتن عليها فأطلقها إكراماً لها ؛ فاستأذنته فى الدعاء فأذن لها وقال لأصحابه اسمعوا وعوا فقالت :

(أصاب الله ببرِّك مواقعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ، ولا سلب نعمة عَنَ كريم قوم إلا جعلك سببا فى ردها ..) ، فلما أطلقها رجعت إلى أخيها «عدى» وهو بدومة الجندل فقالت له :

يا أخى إيتِ هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله ، فإنى رأيت هديا

---

(٢٩) جاء فى مختصر المقاصد الحسنة تحت رقم ٨٥ ص٧٨ «ارحموا من الناس ثلاثة : عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر ، وعالما بين جهال» موضوع كما قال ابن الجوزى .

ورأيا سيغلب أهل الغلبة ، رأيت خصالا تعجبنى ـــ رأيته يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ، وما رأيت أجود ولا أكرم منه ؛ فإن يكن نبيا فللسابق فضله ، وإن يكن ملكا فلن تذل فى عز ملكه ؛ فقدم «**عدى**» إلى رسول الله ﷺ ، فأسلم وأسلمت «**سفانة**» .

الخطأ فى الجميل أحسن من الصواب فى القبيح

قال «**أبو محمد يحيى بن الفضل**» : اختفى عند والدى كاتب «**الفضل بن برمك**» عند إيقاع «**الرشيد**» بهم وكان يواصل البكاء عليهم فقال له أبى : أنا أرجو أن يخلف الله عليك ولا يضيعك ، فقال : والله ما بكائى لما فاتنى منهم وإنما بكائى لجلالة قدرهم ونفاسة أقدارهم ، لقد كان للفضل مالم أسمع بمثله لقديم ولا حديث ، قال لى يوما : لقد كثر الزوار علينا فانظر مقدار ماانصرف وارفع إلىّ عدة من بقى من الزوار لأتقدم فى برهم ، واحذر أن ترفع إلى رجلا من أهل الشام (كان الفضل يبغض أهل الشام لأنهم خذلوا «**عليًّا**» ونصروا «**معاوية**») فخرجت فألفيتهم أربعة وثلاثين رجلا وجاءنى رجل من أهل الشام كامل الأدب فأعلمته بما قال «**الفضل**» فقال : ياأخى أسألك أن تغالط بى وتثبتنى فى وسط الجريدة(٣٠) ، ففعلت ، فنظر «**الفضل**» إلى الأسماء ثم قال : ألم أقل لك لا ترفع إلى رجلا من الشام ؟ فقلت : وأين الشامى ؟ فوضع يده على اسمه وحلق ووقع بيده لكل واحد غير الشامي ، فما دفع لأحد أقل من مائة دينا وأمرنى بإنفاقها فيهم فجلست أفرقها ووافى إلىّ الشامي فأريته اسمه خاليا وحدثته حديثه فقال : لو قضى شيء لكان وأحسن الله جزاءك على ماقدمته من العناية بى وانصرف وقد غمنى أمره ولم يبق من الزوار أحد حتى أخذ(٣١) ، وبينما أنا بمنزلى قريباً من نصف الليل حتى وافانى رسول «**الفضل**» فصرت إليه فقال : أويت الساعة إلى فراشي واستعرضت بفكري الزوار وماأمرت به لهم فحسن عندى ثم قبحه فى عيني

---

(٣٠) الصحيفة والسجل .

(٣١) أخذ من تلك الهبات .

حرمان الشامي منه ورأيت ذلك نقصاً في مروءتي ثم قال : احسب مقدار ما وصل إلى الزوار ، فقلت : يا سيدى وصل إليهم خمسة عشر ألف دينار ، فقال : اجعل مثلها للشامى ، فقلت : يكفيه ألف فقال : والله ما تفى ألف دينار بغمه وقد رأى غيره يأخذ وقيامه عنك محروماً ، قم فادفع إليه الخمسة عشر ألفا ولا تعذلنى[٣٢] فالخطأ فى الجميل أحسن من الصواب فى القبيح .

التخويف وحسن الموعظة

لما حضرت «**هشام بن عبد الملك**» الوفاة نظر إلى أهله يبكون حوله فقال : جاد لكم «**هشام**» بالدنيا وجدتم له بالبكاء ، وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما حمل ، ما أعظم منقلب «**هشام**» إن لم يغفر له الله .

فَكَيْفَ بِمَنْ تَسَلْسَل بالنَّار ؟؟

وقال «**الأوزاعى**» للمنصور : يا أمير المؤمنين ، إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[٣٣] دعا إلى القصاص من نفسه بخدشة خدشها أعرابيا من غير تعمد يا أمير المؤمنين لو أن ذَنُوبًا[٣٤] من النار صُبَّ ووُضِع على الأرض لأحرقها فكيف بمن يتجرعه ؟! ولو أن ثوبا من النار وضع على الأرض لأحرقها فكيف بمن يتقمَّصه ؟! ولو أن حلقة من سلاسل جهنم على جبل لذاب فكيف بمن تسلسل بها ؟

من أسْرَع به عمله !!

وعن «**زيد بن أسلم**» عن أبيه قال : قلت لِجَعْفر بن أبى طالب رضى الله عنه وكان واليًا على المدينة : احذر أن يأتى رجل غداً ليس له فى الإسلام نسب ولا أب

---

(٣٢) لاتعذُلنى : لاتَلُمْنى .
(٣٣) يعنى رسول الله ﷺ ، وإشارة إلى مطلع سورة الفتح : ﴿**إنّا فتحْنا لك فتحاً مبيناً ليَغْفِر لكَ الله ما تقدَّم من ذَنبك وماتأخر ويُتمّ نِعْمَتَهُ عليك ...**﴾ الآية .
(٣٤) ذنوبا : دلوا .

ولا جد فيكون أولى برسول الله ﷺ منك . كما كانت امرأة فرعون أولى بموسى ، وكما كانت امرأة نوح وامرأة لوط أولى بفرعون ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، ومن أسرع به عمله لم يبطىء به نسبه .

فيكُم كتاب الله

وعن «**عمر**» رضى الله عنه قال لِكَعْبِ الأحبار : يا «**كعب**» خوفنا ، قال «**كعب**» : أو ليس فيكم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ؟! قال : بلى ولكن خوفنا ؛ فقال : ياأمير المؤمنين اعمل فإنك لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى .. فنكس «**عمر**» رأسه وأطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال : يا «**كعب**» خوفنا .. فقال : يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر مَنْخَر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها ، فنكس «**عمر**» رأسه ثم أفاق فقال : يا «**كعب**» زدنا ، فقال : ياأمير المؤمنين إن جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا جثا على ركبتيه يقول : **يارب لا أسألك اليوم إلا نفسى ..**

أأشكُرُ أم أكْفُر ؟!

وقال «**أبو بكر الطرطوشى**» رحمه الله : دخلت على «**الأفضل**» ابن أمير الجيوش ، وهو أمير على مصر ، فقلت : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ فرد على السلام رداً جميلًا وأكرمنى إكراماً جزيلاً وأمرنى بدخول مجلسه وأمرنى بالجلوس ، فقلت : أيها الأمير إن الله قد أحلك محلاً شامخاً وأنزلك منزلاً شريفاً[٣٥] . باذخاً وملكك طائفة من ملكه وأشركك فى حكمه ولم يرض أن يكون أحد فوق أمرك فلا ترض أن يكون أحد أولى بالشكر منك وليس الشكر باللسان وإنما هو بالفعال والإحسان قال الله تعالى : ﴿ **اعملوا آل داود**

---

(٣٥) باذخا : عاليا .

شكراً﴾[٣٦] . واعلم أن هذا الذى أصبحت فيه من الملك إنما سار إليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار إليك ، فاتق الله فيما خوَّلك من هذه الأمة فإن الله تعالى سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير[٣٧] ﴿**فوربك لنسألنّهم أجمعين عما كانوا يعملون**﴾[٣٨] وقال تعالى : ﴿**وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**﴾[٣٩] واعلم أيها الأمير أن الله تعالى قد أتى ملك الدنيا بحذافيرها «**سليمان بن داود**» عليهما السلام فسخر له الإنس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم ، وسخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له : هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ، فوالله ماعدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن تكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال : ﴿**هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر**﴾[٤٠] فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وأغث الملهوف ثم أنشد :

والنَّاسُ أكْيَسُ مِنْ أنْ يَحْمدُوا رجلا ... حتى يروا عنده آثار إحْسان

الحمد لله الذى أخرج من ظهرى من يعيننى على دينى !

لما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب فى الناس فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبى ﷺ .

أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف ، واعملوا لآخرتكم فإن من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه وآخرته ، وأصلحوا سرائركم يصلح علانيتكم ، وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا له الاستعداد قبل أن ينزل بكم ، فإنه هاذم[٤١] اللذات ، وإنى والله لا أعطى أحداً باطلاً ولا أمنع

(٣٦) سورة «سبأ» الآية (١٣)
(٣٧) الفتيل : مايكون فى شق النواة . والنقير : النكتة فى ظهر النواة . والقطمير : القشرة الرقيقة التى على النواة كاللفافة لها .
(٣٨) سورة «الحجر» الآية (٩٢)
(٣٩) سورة «الأنبياء» الآية (٤٧)
(٤٠) سورة «النمل» الآية (٤٠)
(٤١) هاذم : قاطع .

أحداً حقًّا ، أيها الناس من أطاع الله وجبت إطاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعونى ما أطعت الله فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم .

ثم نزل ودخل دار الخلافة ، وأمر بالستور فهتكت ، وبالبسط فرفعت ، وأمر ببيع ذلك وإدخال ثمنه فى بيت مال المسلمين ، ثم ذهب يتبوأ مقيلا[٤٢] فأتاه ابنه «**عبد الملك**» فقال : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أقيل ؛ قال : تقيل ولا ترد المظالم إلى أهلها ؟ قال : إنى سهرت البارحة فى أمر عمك «**سليمان**» فإذا صليت الظهر رددت المظالم ، فقال : يا أمير المؤمنين من أين لك أن تعيش إلى الظهر ؟ فقال : ادْنُ منى يا بنى فدنا منه فقبله بين عينيه وقال : الحمد لله الذى أخرج من ظهرى من يعيننى على دينى ، فخرج ولم يُقل ، وأمر مناديَه أن ينادى : ألا كل من كانت له مظلمة فليرفعها ، فتقدم إليه ذِمى فقال : يا أمير المؤمنين : أسألك كتاب الله تعالى ، «**عباس بن الوليد**» اغتصبنى أرضى ، «**والعباس**» جالس ، فقال : ما تقول يا «**عباس** » ؟ قال : أمير المؤمنين أقطعنى إياها وهذا كتابه ، فقال «**عمر**» : ما تقول يا ذمى ؟ قال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله ؟ فقال «**عمر**» : كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب «**الوليد**» اَرْدُدْ إليه أرضه يا عَبّاسُ ، فردها ثم جعل لا يدع شيئاً مما كان فى يد أهل بيته من المظالم إلا رده مظلمة مظلمة[٤٣] ..

ما ينبغى أن يكون عليه القائد

قال بعض الحكماء : ينبغى لقائد الجيش أن يتشبه بصفات من صفات الحيوان .

فيكون فى قوة القلب كالأسد لا يجبن ولا يفر .

وفى الكبر كالنمر لا يتواضع للعدو .

وفى الشجاعة كالدب يقاتل بجميع جوارحه .

وفى الغارة كالذئب إذا يئس من وجه أغار من وجه .

---

(٤٢) يستريح وقت القيلولة .

(٤٣) ويروى بأنه ــ رضى الله عنه ــ طلب من زوجته «**فاطمة بنت عبد الملك**» أن تضع من يديها وجيدها كُلّ حليتها وزينتها ، وتعيدُه إلى بَيْت المال .

وفى حمل السلاح كالنملة تحمل أضعاف وزن بدنها .
وفى الثبات كالحجر لا يزول عن مكانه .
وفى الوفاء كالكلب لو دخل سيده النار يتبعه .
وفى الصبر كالحمار يحمل الأثقال من غير جزع .
وفى التماس الفرصة كالديك وفى الحراسة كالكركى .
وفى التعب كالْيَعْرِ (دُوَيْبَةٌ تسمن على التعب) ..

من وعظ العلماء للأمراء

دخل الإمام «**الأوزاعى**» على «**المنصور**» ــ وكان شديد الهيبة ــ فقال له : عظنى ، فقال : اعلم ياأمير المؤمنين أن الله هو الحق المبين ، ومن كره الحق فقد كرهه الله .

يا أمير المؤمنين ، إن المُلْك لا يدوم لمخلوق ، وإنما الملك لله وحده ولو كان يدوم لأحد لما وصل إليك .

يا أمير المؤمنين [**إن رسول الله ﷺ دعا للقصاص من نفسه فى خدش خدشه أعرابياً وهو غير متعمد ، فقال الأعرابى : بأبى وأمى قد أحللتك وما كنت لأفعل ذلك بك أبداً**] :

يا أمير المؤمنين : إن خير الكرم عند الله التقوى ، ومن طلب العزة بطاعة الله رفعه الله وأعزّه ، ومن طلبها بمعصية الله وَضَـعَهُ الله وأذلّه .

فلما انتهى من عظته أمر له «**المنصور**» بمال ، فاعتذر واستعفى من قبوله وقال : ياأمير المؤمنين ما كنت لأبيع نصيحتى بعرض الدنيا فأُحْرم ثوابها وأقلل من نفعها ، ومادام أمير المؤمنين قائماً فينا بالعدل فنحن فى خير الله ثم فى خيره .

حَزْم لو قَتلتَهُ وحييت

ولما قتل «**عبد الملك بن مروان**» «**عمرو بن سعيد**» بعد أن صالحه وكتب له كتاباً بالأمان وأشهد عليه . قال لرجل كان يستشيره إذا ضاق به الأمر ويصدر عن

رأيه : ما رأيك في الذى كان منى (قتْل عمرو بن سعيد) ؟ قال : حزْم لو قتلته وحييت . قال : أَوَ لست بحىّ ؟ قال : ليس بحيٍّ من أوقف نفسه موقفاً لا يوثق له فيه بعهد ولا بعقد ، قال « **عبد الملك** » : كلام لو سبق سماعه فِعْلِي لأمسكت .

مُلْك تَرْبُو عَلْيه شَـرْبَةُ ماء

ودخل « **ابن السماك** » على « **هارون الرشيد** » فوجده يرفع الماء إلى فمه ليشرب فقال : ناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تنتظر به قليلاً . فلما وضع الماء قال له : أستحلفك بالله تعالى لو أنك مُنعت هذه الشربة من الماء فبكم كنت تشتريها ؟ قال بنصف ملكِي ، قال : اشرب هَنأك الله . فلماْ شرب قال : أستحلفك بالله تعالى لو أنك مُنِعْتَ خروجها من جوفك بعد هذا فبكم كنت تشتريها ؟ قال : بملكى كله . فقال : يا أمير المؤمنين إن ملكاً تربو عليه شربة ماء لخليق أن لا ينافس فيه ، فبكى « **هارون** » حتى ابتلت لحيته .

« عليٌّ » مِمَّنْ هَدى الله

وذكر «**الحجاج**» «**عليّ بن أبي طالب**» فنال منه ،وجاراه مَنْ معه تقرباً إليه وأمْناً مِن شره ، إلا « **الحسن البصرى** » رضى الله عنه فصمت على مضض ، فالتفت إليه « **الحجاج** » وقال : يا « **أبا سعيد** » مالى أراك ساكتاً ؟ أخبرنى عن رأيك فى « **علي** » قال : سمعت الله جل ذكره يقول : **﴿وما جَعَلْنا القبلة التي كُنْتَ عليها إلا لنعلم من يَتَّبع الرسول مِمَّنْ ينقلب على عَقِبَيْه وَإنْ كانت لَكَبِيرَةً إلا على الَّذِينَ هدى الله ، وما كان الله لِيُضِيعَ إيمانكم إن الله بالناس لَرَءُوف رَحِيمٌ﴾**(٤٤) . فَعَلِيٌّ ممن هدى الله من أهل الإيمان فهو ابن عم النبى ﷺ وَخَتَنُه(٤٥) على ابنته ، وأحب الناس إليه

---

(٤٤) سورة «البقرة» الآية (١٤٣).

(٤٥) الختن : زوج الابنة.

وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا يحول بينها وبينه ، وأقول : إن كانت لِعَلِيٍّ هنات فالله حسبه ، ووالله ما أجد فيه قولاً أعدل من هذا .

فَبَسَـر وَجْهُ «**الحجاج**» وتغير وقام مغضباً . فقال «**عامر الشعبي**» : أغضبت الأمير ، فقال : إليك عنى يا «**عامر**» هلا اتقيت إن سئلت فَصَـدَقْت أو سكت فَسَلِمْت .

ولا يَكْتُمُونه

وبعث «**الحجاج**» إلى «**الحسن**» فلما دخل عليه قال : أنت الذى تقول : «**قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرْهم ؟**» قال : نعم ، قال : ما حملك على هذا ؟. قال ما أخذه الله على العلماء من المؤمنين «**ليُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا يَكْتُمُونه**» .

حب الدنيا رأس كل خطيئة

قال «**ابن القيم**» فى كتاب (**الفوائد**) : كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها فلا بد أن يقول على الله غير الحق فى فتواه وحكمه وخبره وإلزامه ، لأن أحكام الرب سبحانه كثيراً ما تأتى على خلاف أغراض الناس ، ولا سيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشهوات ، فإنه لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه ، فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق ولا سيما إذا قامت له شبهة فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى فيخفى الصواب ، وينطمس وجه الحق وإن كان الحق ظاهراً لا خفاء به ، ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته وقال : لى مخرج بالتوبة ، وفى هؤلاء وأشباههم قال الله : ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهم خلفٌ وَرِثُوا الكتاب يأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدنى ويقولون سيغفر لنا**﴾[٤٦] . فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم

---

(٤٦) سورة «**الأعراف**» الآية (١٦٩)

بتحريمه عليهم وقالوا سيغفر لنا ، وإن عرض لهم عَرَض آخر أخذوه . فهم مصرون على ذلك وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق فيقولون : هذا حكمه وشرعه ودينه ، وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك ، أو لا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه . فتارة يقولون على الله مالا يعلمون ، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه . اهـ .

سوء الْخُلق

قال بعض الحكماء : أصل سوء الخلق ضيق القلب ، وضيقه على قسمين : أدناه وأهونه أن لا يتسع لمراد الخَلْق ، وأقصاه وشره أن لا يتسع لمراد الحق . وقيل : أصل سوء الخلق مطالبة غيرك أن يوافقك دون أن تطالب نفسك بموافقة غيرك ، وقال « **الفضيل** » : لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبنى عابد سيئ الخلق .

من أوصاف الكريم

قال حكيم : الكريم لا يكون حقوداً ولا حسوداً ولا شامتاً ، ولا باغياً ، ولا ساهياً ، ولا لاهياً ، ولا فاجراً ، ولا فخوراً ، ولا كاذباً ، ولا مَلُولًا ، ولا يقطع إلفه ، ولا يؤذى إخوانه ، ولا يضيع الحفاظ ، ولا يجفو فى الوداد .. يعطى من لا يرجو ، ويؤمن من لا يخاف ويعفو عن قدرة ، ويصل عن قطيعة ، من أعطاه شكره ، ومن منعه عذره ، ومن قطعه وصله ، ومن وصله فضله ، ومن سأله أعطاه ومن لا يسأله ابتدأه ، وإذا استضعف أحداً رحمه ، وإذا استضعفه أحد رأى الموت أكرم له منه .

من أوصاف المرأة السوء

قال « **داود** » على نبينا وعليه الصلاة والسلام : « **إن المرأة السوء مثل شَرَك الصياد لا ينجو منها إلا من رضى الله تعالى عنه** » وقيل : إن المرأة السوء غُلٌ يلقيه

الله تعالى فى عنق من يشاء من عباده ، وقيل لأعرابى مجرب : صف لنا شر النساء فقال : شرهن السريعة الوثبة ، كأن لسانها حربة . تضحك من غير عجب ، وتبكى من غير سبب ، وتدعو على زوجها بالحرب[47] ، أنف فى السماء ، واست[48] فى الماء . كلامها وعيد ، وصوتها شديد ، تدفن الحسنات وتفشِى السيئات . تعين الزمان على بعْلها ولا تعين بعلها على الزمان ، ليس فى قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة ، إن دخل خرجت وإن خرج دخلت ، وإن ضحك بكت ، وإن بكى ضحكت . كثيرة الدعاء قليلة الإرعاء[49] ، تأكل لما[50] وتوسع ذما ، ضيقة الباع مهتوكة القناع ، إذا حدثت تشير بالأصابع ، وتبكى فى المجامع ، بادية من حجابها ، نباحة عند بابها ، وهى ظالمة وتشهد وهى غائبة ، قد دلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ، ابتلاها الله بالويل والثبور ، وعظائم الأمور .

قال الشاعر فى المرأةِ السُّوء :

لَقَدْ كُنْتُ مُحْتَاجاً إلى مَوْت زَوجتِى ... ولٰكِنْ قرينَ السُّوء باقٍ مُعَمَّر
فيالَيْتها صارتِ إلى الْقَبْر عاجلًا ... وعذَّبها فيه نَكِيرٌ ومُنْكَر

سيِّد الأمم فى لسان العجم

تناول السير «وليام مويْر» فى كتابه (حياة محمد) شخصية الرسول ﷺ من الناحية الخلقية بالتحليل فقال : (ومن صفاته الجديرة بالتنويه : الرقة والرأفة والاحترام التى كان يعامل بها أتباعه حتى أقلهم شأناً ، فالتواضع والرأفة والأناة وإنكار الذات ، والسماحة والسخاء قد تغلغلت فى نفسه ودفعت به إلى محبة كل من حوله ، كما يكره أن يقول لا ، فإن لم يمكنه أن يجيب الطالب لسؤاله فضل

(٤٧) الحَرَب : بفتح الراء : الهلاك .
(٤٨) الاست : العَجُز أو حلقة الدبر .
(٤٩) الإرعاء : من الرعاية والعناية .
(٥٠) كثيرا .

السكوت عن الجواب وقد قالت «**عائشة**» ـــ رضى الله عنها ـــ: إنه كان أشد حياء من العذراء فى خدرها[٥١] . وكان إذا ساءه شىء تبيَّناهُ فى أسارير وجهه أكثر من كلامه ، ولم يمس أحداً بالضرر إلا فى سبيل الله ، ويؤثر عنه أنه كان لا يمتنع عن إجابة دعوة الداعى مهما كان صغيرا ، ولا يرفض هدية مهداة إليه مهما كانت صغيرة ، وإذا جلس إلى صاحبه لم يرفع نحوه ركبتيه تشامخاً منه وكِبْرًا ، وكانت له تلك الخلة النادرة التى يجعل بها كل فرد من صحابته يظن أنه المفضَّل المختار ، وكان يرثى كثيراً الثكلى والمنكوبين ، كما كان سهلا ليِّن العريكة[٥٢] مع الأطفال ، لا يأنف إذا مر بطائفة منهم يلعبون أن يقرئهم تحية الإسلام ، وكان يشرك غيره فى طعامه حتى فى أوقات العسر والإملاق[٥٣] ، ويهتم جهد طاقته بتوفير أسباب الراحة لأنصاره

وتابعيه وكان صِدِّيقًا وفيًّا . أحب «**أبا بكر**» محبة الشقيق الودود . محبة الأب الرؤوف ، ومما يذكر أن «**زيداً**» الذى كان عبداً لخديجة كان متعلقاً بالنبى ﷺ تعلقاً شديداً لعطفه عليه حتى أنه آثر البقاء بمكة على أن لا يعود لبلده مع أبيه ، وتعلق بأهداب النبى ﷺ قائلاً : لست تاركك ، وقد كنت لى أبا باراً عطوفاً ؛ وقد بقيت صداقة «**محمد**» ﷺ هذه إلى ما بعد موت «**زيد**» حيث عامل «**أسامة**» ابنه معاملة كريمة ممتازة إكراماً لأبيه) . اهـ .

من مآثر زين العابدين[٥٤]

قال «**الأصمعى**» : بينما أنا أطوف بالبيْت ذات ليلة إذ رأيت شاباً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول :

يا مَنْ يُجيبُ دُعا المُضْطَرّ فى الظُّلم   يا كاشِفَ الضُّرّ والْبَلْوَى مَعَ السَّقَمَ
قد نام وَفْدك حَوْل البيت وانْتَبَهُوا   وأنْتَ يا حَىُّ يا قَيُّـــوم لم تَنَـــم

(٥١) الخِدْر : مايفرد للمرأة من السكن ، وكل ماتتوارى به .
(٥٢) العريكة : يقال فلان لين العريكة إذا كان سلساً .
(٥٣) الإملاق : الفقر .
(٥٤) على بن الحسين بن على بن أبى طالب ـــ رضى الله عنهم .

أدْعُـوك رَبّى حَـزينـا هائمـاً قلِقـاً فَارْحـم بُكائِى بِحَقِّ الْبَيْـتِ والْحَرَمِ
إنْ كان جُـودك لا يَرْجُـوه ذُو سَـفَهٍ فَمَنْ يَجُـود على العـاصين بالكـرم

ثم بكى بكاء شديدا ، وأنشد يقول :

أَلَا أَيُّهـا المقصـود فى كل حاجـة شَكَوْت إليك الضُّـر فَارْحَمْ شكايتى
ألا يا رجائى أَنْتَ تَكْشِـف كُرْبَتِـى فَهَبْ لِى ذُنُوبِى كُلَّهـا واقْضِ حاجتِـى
أَتَيْـتُ بِأَعْمـالٍ قِبــاحٍ رَدِيئَــةٍ وَمَا فِى الـورى عَبْـدٌ جنى كجنايتى
أتحرقنِـى بالنـار يا غايَـةَ المـنـى فَأَيْـنَ رَجـائِـى ثُمَّ أيـنْ مخافَتِــى

ثم سقط على الأرض مغشياً عليه ، فدنوت منه ، فإذا هو « **زين العابدين على ابن الحسين بن على بن أبى طالب** » رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، فرفعت رأسه فى حجرى وبكيت فقطرت دمعة من دموعى على خده ففتح عينيه وقال : من هذا الذى يهجم علينا ؟ قال « **الأصمعى** » : سيدى ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول : ﴿**إنما يُريد الله لِيُذْهِبَ عَنْكُم الرِّجس آهلَ الْبَيْت ويُطَهِرَكُـم تَطْـهِيراً**﴾(٥٥) . قال : هيهاتَ هيهاتَ يا « **أصمعى** » إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه ، ولو كان حراً قرشيًّا أليس الله يقول : ﴿**فاذا نُفِخَ فى الصُّـور فلا أنْساب بينهم يومئذ ولا يَتَساءلون . فمن ثَقُلَتْ موازينه فأولئك هُمُ المفلحون وَمَنْ خَفَّتْ موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنَّم خالدون**﴾(٥٦) .

تواضع « عمر »

قال « **عمر** » رضى الله عنه : أيها الناس لقد رأيتنى أرعى على خالات لى من «**بنى مخزوم**» فيقبضن لى القبضة من التمر والزبيب فأظل اليوم إلى اليوم !! فقال له « **عبد الرحمن بن عوف** » ، رضى الله عنه : والله يا أمير المؤمنين مازدت على أن

(٥٥) سورة «**الأحزاب**» الآية (٣٣)
(٥٦) سورة «**المؤمنون**» الآية (١٠٣)

قصرت بنفسك . فقال «**عمر**» رضى الله عنه : ويحك يا «**بن عوف**» إنى خلوت بنفسى فحدثتنى فقالت : أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك ؟ فأردت أن أُعرِّفها نفسها .

أعجز الناس

قال حكيم : أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

السيادة وشرف النفس

قال ﷺ : [**من رزقه الله مالاً فبذل معروفه وكف أذاه فذلك السيد**](٥٧) . وقيل لقيس بن عاصم : بم سُدْت قومك ؟ قال : لم أخاصم أحداً إلا تركت للصلح موضعاً .

وقال «**سعيد بن العاص**» : ما شاتمت رجلًا مذ كنت رجلًا لأنى لا أشاتم إلا أحد رجلين : إما كريم فأنا أحق أن أجلّه ، وإما لئيم فأنا أولى أن أرفع نفسى عنه .

وقَدِمَ وفد من العرب على «**معاوية**» وفيهم «**الأحنف**» فقال الحاجب : إن أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم منكم أحد إلا لنفسه ، فلما وصلوا إليه قال «**الأحنف**» : لولا عزم أمير المؤمنين لأخبرته أن رادفة ردفت ونازلة نزلت ونائبة نابت والكل بهم حاجة إلى المعروف من أمير المؤمنين ، فقال «**معاوية**» : حسبك يا «**أبا بحر**» فقد كفيت الشاهد والغائب .

وقالوا السيد من يكون للأولياء كالغيث الغادي وعلى الأعداء كالليث العادي(٥٨) .

---

(٥٧) الذى يكون أهلا للسيادة فى قومه .

(٥٨) الغيث الغادى : المطر الذى يغاديها ويباكرها صبحا ، والليث العادى : الأسد المفترس .

عِفةٌ وعِزَّة

ودخل «عمارة بن حمزة» على «المنصور» فقام رجل وقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ، قال : من ظلمك ؟ قال : «عمارة بن حمزة» غصبني ضيعتي فقال «المنصور» : يا «عمارة» قم فاقعد مع خصمك ، فقال : ما هو بخصمي . إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لى فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مقام شرفني به أمير المؤمنين ورفعني ، وأقعد فى أدنى منه لأجل ضيعة .

وتحدث «المنصور» هو و «أم سلمة» يوماً في نزاهة نفس «عمارة» وعزة نفسه فقالت : ادعه إليك وأنا أهب له سبحتي هذه فإن ثمنها خمسون ألف دينار ، فإن قبلها علمنا أنه غير نزيه النفس ، فوَّجه إليه فحضر ، فحادثته ساعة ثم رمت إليه بالسبحة وقالت : هى من الطُّرَف ، وهى لك ، فجعلها «عمارة» بين يديه ثم قام وتركها فقالت لعله نسيها ، فبعثت بها إليه مع الخادم فقال للخادم هي لك ، فرجع الخادم وقال لها : وهبها إلي ، فأعطته «أم سلمة» ألف دينار وآستعادتها منه .

وقيل لسعيد بن عمرو بن العاص فى مرضه : إن المريض يستريح إلى الأنين وإلى شرح ما به إلى الطبيب ، فقال : أما الأنين فهو جزع وعار ، والله لا يسمع الله منى أنيناً فأكون عنده جزوعاً ، وأما وصف ما بى إلى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله فى نفسى ، إن شاء أرسلها وإن شاء قبضها .

«عمر» واختباره للولاة

كان «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه يختبر الولاة بنفسه أثناء ولايتهم على البلاد فيسأل الشعب عنهم وعن صلاحيتهم للحكم فقدم إلى «حمص» وكان «سعيد بن عامر الجمحى» والياً عليها فجمع أهلها وقال لهم : يا أهل «حمص» ، كيف وجدتم واليكم ؟؟ فقالوا : نشكو منه أربعاً ـــ لا يخرج إلينا حتى يتعالى

النهار[٥٩] ، فقال «عمر» : أعظم بها ، ثم ماذا ؟ قالوا : لا يجيب أحداً بليل فقال «عمر» : وعظيمة أيضاً ؛ ثم ماذا ؟ فقالوا : له يوم من الشهر لا يخرج فيه إلينا ، فقال «عمر» : وعظيمة ، ثم ماذا ؟ فقالوا : تأخذه غشية فتجعله بين الحياة والموت . فما كان من «عمر» إلا أن جمع بين «سعيد» وبينهم وقال : اللهم لاتغير رأيى فيه بما يشكون منه اليوم .

وعندما سمع «سعيد» ما يشكون منه قال : أما عن عدم خروجى إليهم حتى يتعالى النهار وإن كنت أكره ذكر ذلك فإنه ليس لأهلى خادم ، فأعجن عجينى ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ وأخرج إليهم ، وأما عن عدم إجابتى لِأحَدٍ بليل ، فإنى جعلت النهار لهم ، وجعلت الليل لله عز وجل ، وأما عن اليوم الذى لا أخرج فيه لأحد من الشهر فإنه ليس لى خادم يغسل ثيابى ، ولا لى ثياب أبدلها فَأَغْسِلها وأنتظرها حتى تجف ثم ألبسها وأخرج إليهم آخر النهار ، وأما عن الغشية التى تجعلنى بين الحياة والموت ، فسببها مؤلم وهو أنى شهدت مصرع «خُبَيْب الأنصارى»[٦٠] وقد بضعت[٦١] قريش لحمه ثم حملوه على جذع شجرة ممعنين فى تعذيبه وإيلامه ليكفر بمحمد ﷺ وقالوا له : أتحب أن نجعل «محمداً» الذى تدين بدينه فى مكانك فرد عليهم «خُبَيْب» قائلا : والله لا أحب أن أكون حيّاً بين أهلى وأن محمداً يُشَاك بشوكة .

فما ذكرت ذلك اليوم وذلك النداء وتركى نصرة «خُبَيْب» وهو على تلك الحالة البشعة وقد كنت فى ذلك الحين مشركاً لا أومن بالله العظيم ولا بنبيِّه الكريم ، إلا ظننت أن الله لا يغفر لى بذلك الذنب أبداً ، وحينئذ تصيبنى الغشية . فقال «عمر» : الحمد لله الذى لم يغير رأيى فيك .

---

(٥٩) أى لايخرج إلينا فى الصباح الباكر .

(٦٠) «خُبَيْب بن عَدى» ــ رضى الله عنه ــ ، الذى وقع أسيراً فى يَدِ الأعداء يوم «بعث الرجيع» وبيع فى أسواق مكة ، ثم قتله القرشيون مصلوباً .

(٦١) قطعته وشقته بالمبضع .

تحت العمامة كرم

دخل «**محمد بن عباد**» على «**المأمون**» فجعل «**المأمون**» يعمّمه بيده وجارية على رأسه تبتسم ، فقال لها «**المأمون**» : لم تضحكين ؟ فقال «**ابن عباد**» : أنا أخبرك يا أمير المؤمنين ـ تتعجب من قبحى وإكرامك إياى ، فقال «**المأمون**» : لا تعجبى فإن تحت هذه العمامة كرماً ومجداً قال الشاعر :

وهل يَنْفَعُ الْفِتْيانَ حُسْـنُ وُجُـوههم ... إذا كانت الْأَعْـراض غَيْـر حسـان
فلا تَجْعل الْحُسْـن الدَّليل على الفتى ... فما كل مَصْـقُـول الحديـد يمانى[٦٢]

طالب الرُّخص

قَال «**الأصمعى**» : من التمس الرخص[٦٣] من الإخوان عند المشورة ، ومن الأطباء عند المرض ، ومن الفقهاء عند الشُّبه ، تاه وازداد سقماً واحتمل وزراً .

وقيل : إذا رأيت الزاهد يتروح[٦٤] إلى طلب الرخص فاعلم أنه قد بدا له فى الزهد غير ما فيه .

التوقِّى من الصغائر

قال الإمام «**علىٌّ**» كرم الله وجهه : إياكم ومحقّرات الذنوب فإن الصغير منها يدعو إلى الكبير .

وقيل من العودِ إلى العُود ثقلت ظهور الخطَّابين ، ومن الهفوة إلى الهفوة كثرت ذنوب الخطائين .

ويقول الشاعر فى ارتكاب المعاصى عامداً احتقاراً :

---

(٦٢) يعنى به السيف اليمانى الذى كان يضرب به المثل .
(٦٣) التخفيف والتسهيل .
(٦٤) تروح سار وقصد .

أَلا مَنْ لنَفسٍ بالذُّنوب رَهِينة قَلِيل على مَسٍّ العذاب آصْطبارها
كفى سقما بِٱلْمَرْءِ يا أُمّ عاصم ركوب المعاصِي عامداً وآحتقارها

دعني للذى خلقني

دخل أحد الصحابة مسجداً فاستوقف نظره طفل لم يتجاوز الحادية عَشْرة من عمره قائم يصلى بخشوع ، فلما فرغ من صلاته سأله الصحابى : ابن من أنت يا هذا ؟ فقال الصبى : إنى يتيم فقال الصحابى : أترضى أن تكون لى ولداً ؟ فقال الصبى : هل تطعمنى إذا جعت ؟ قال الصحابى : نعم قال : هل تسقينى إذا عطشت ؟ قال الصحابى : نعم ، قال : وهل تكسونى إذا عريت ؟ قال الصحابى : نعم . وهل تحيينى إذا مت ؟ فدهش الصحابى وقال : هذا ما ليس إليه سبيل ، فقال الصبى : فاتركنى إذاً للذى خلقنى ثم يرزقنى ثم يميتنى ثم يحيينى . فانصرف الصحابى وهو يقول : «**لعمرى من توكل على الله كفاه**» .

من غُرَرِ النصائح

لما وجه «**أبو بكر**» رضى الله عنه «**عكرمة بن أبى جهل**» إلى عمان أوصاه فقال : سِرْ على بركة الله تعالى وقدم النُّذُر(٦٥) بين يديك ، ومهما قلت إنى فاعل فافعل ، ولا تجعل قولك لغواً فى عفو ولا عقوبة ، ولا توعدن على معصية بأكثر من عقوبتها ، فإنك إن فعلت أثمت وإن تركت كذبت ، ولا تكلفن ضعيفاً أكثر من طاقة نفسه والسلام .

أخاف عليك القالة

ولما وَلى «**عمر بن الخطاب**» رضى الله عنه «**عبد الله بن مسعود**» قال له : يا «**بن مسعود**» اجلس للناس طرَفى النهار وأقرئهم القرآن وحدث عن السنة

(٦٥) أى أعلم الناس وحذرهم من العواقب !

واحرص على ما سمعت من بيت ﷺ ، ولا تستنكف[٦٦] إذا سئلت عما لا تعلم أن تقول لا أعلم ، وقُلْ إذا علمت ، واصمت إذا جهلت ، وأقلل الفتيا فإنك لم تُحِطْ بالأمور علماً ، وأجب الدعوة ولا تقبل الهدية ، وليست بحرام ، ولكنى أخاف عليك القالة والسلام .

ومن خطبته رضى الله عنه قوله : إياكم والبطنة (ملء المعدة) ، فإنها مكسلة عن الصلاة مَفْسَدَةٌ للجسم مؤدية إلى السقم ، وعليكم بالقصد فى قُوتكُم فإنه أبعد من السرف ، وأصح للبدن وأقوى على العبادة ، وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .

وقال «علي» كَرم الله وجهه : يجب على الملك أن يتعهد أموره ويتفقد أعوانه حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء ، ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء فإنه إذا ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الأمر وضاع العمل .

من ينفع من الأخلاء الثلاثة

قال ﷺ : [**مثل الدنيا وابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة أخلاء ، فلما حضره الموت قال لأحدهم قد كنت لى خِلًّا مؤثراً مكرماً ، وقد حضرنى من أمر الله ما ترى فماذا عندك ؟ فيقول : هذا أمر الله غلبني عليك لا أستطيع أن أنفس كربتك ، ولكن هأنذا بين يديك فخذ منى زاداً ينفعك ، ثم يقول للثانى : قد كنت عندى آثر الثلاثة وقد نزل بى من أمر الله ما ترى فماذا عندك ؟ قال : هذا أمر الله غلبنى عليك ، ولا أستطيع أن أنفِّس كربتك ، ولكن سأقوم عليك فى مرضك ، فإذا مت أتقنت غسلك وجوَّدت كسوتك وسترت جسمك وعورتك ، وقال للثالث : قد نزل بى من أمر الله ما ترى ، وكنت أهون الثلاثة عليَّ ، فماذا عندك ؟ قال : إنى قرينك وحليفك فى الدنيا والآخرة ، فأدخل معكَ قبرك حين تدخله ، وأخرج منه حين تخرج ، ولا**

(٦٦) تستنكف : تستكبر .

أفارقك أبداً . ثم قال النبي ﷺ : الأول ماله . والثانى أهله . والثالث عمله] .

مسكين ابن آدم

قال بعض الصالحين : مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً .

ولو رَغِبَ فى الجنة كما يرغب فى الغنى لفاز بهما جميعاً .

ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعاً .

الكلام النافع

قال «**الربيع بن خثيم**» : أَقِلُّوا الكلام إلا بِتِسعٍ : تكبيرٌ وتهليلٌ وتحميدٌ وسؤالك للخير ، وتعوذك من الشر ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر ، وقراءة القرآن ، وأن لا يراك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك !

الرياء لا يأتى بخير

دخل على «**عمر بن عبد العزيز**» «**بلال بن أبى برد**» فجعل يصلى ويطيل الصلاة ، فقال «**عمر**» للعلاء : ترى ذلك تصنعاً ؟ فقال «**العلاء**» : أنا آتيك بخبره ، فأتى إلى داره بين العشاءين فوجده يصلى ، فقال : خَفِّف فإن لى إليك حاجة ، فخفف وسلم . فقال «**العلاء**» : تَعَرف محلّي من أمير المؤمنين فإن أشَرْتُ بك عليه فى ولاية العراق فما تَجعل لي ؟ قال : لك على عمالتى[67] سنة وكان مبلغ ذلك عشرين ألف درهم ، فسأله «**العلاء**» أن يكتب له بذلك شرطاً على نفسه ، فكتب ، فأتى «**العلاء**» بالشرط إلى «**عمر**» فقال : إنه غرنا بالله

---

(٦٧) إن أصبحت عاملا للخليفة وولانى .

فكدنا نغتر ، وكنا نظنه ذهباً فلما سَبَكْناه وجدناه خَبَثاً(٦٨) .

وأدخل على «المنصور» رجل أراد أن يوليه قضاء ناحية من العراق قد جعل مكان السجود بين عينيه كَرْكَبَةِ الجمل(٦٩) فقال له «المنصور» : إن كنت أردت الله بهذا فما ينبغي لنا أن نشغلك عنه ، وإن أردتنا فما ينبغي لنا أن ننخدع بك ، ولم يولّه شيئاً .

حقيقة الدنيا

وصَفَها الرسول ﷺ فقال : [**من صح فيها سقم، ومن سقم فيها بَرِمَ ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها فتن ؛ حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، ومتشابهها عتاب ، ومن طلَبها فاتته ومن بصر بها بصرته ، ومن نظر إليها أعمته**] .

وقال : «**منصور بن عمار**» : الدنيا أولها بكاء وأوسطها عناء وآخرها فناء .

وقال «**لقمان**» لابنه : يابنى بعْ دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً .

من أجواد الإسلام

قال «**أسماء بن خارجة**» : ما أحب أن أردَّ أحداً عن حاجة .. لأنه إن كان كريماً أصون عرضه ، أو لئيماً أصون عنه عِرْضِي .

وباع «**طلحة بن عثمان**» رضى الله عنه أرضا بسبعمائة ألف درهم فلما جاءه المال قال : إن رجلاً يبيت هذا عنده لا يدرى ما يطرقه لغريرٌ بالله تعالى ، ثم قسمه بين المسلمين .

---

(٦٨) أى أنه كان يطيل الصلاة لأمر كان يطلبه ، فلما تعرض للاختبار عرف عدم صفاء معدنه وأنه كان يرائى !

(٦٩) هى الزبيبة التى يصطنعها بعض الناس فى أيامنا هذه اصطناعاً ، ويرمزون بها إلى قول الله تعالى : ﴿سيماهُم فى وجوههم من أثر السجود﴾

ولما دخل «**المنكدر**» على «**عائشة**» رضي الله عنها قال لها : ياأم المؤمنين أصابتنى فاقة[٧٠] .؛ فقالت : ما عندى شيء ، فلو كان عندى عشرة آلاف درهم لبعثت بها إليك ؛ فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند «**خالد ابن أسيد**» فأرسلت بها إليه فى أثره .

وجاء رجل إلى «**طلحة بن عبيد الله**» رضى الله عنه فسأله بِرَحِمٍ[٧١] بينه وبينه ، فقال : هذا حائطى[٧٢] بمكان كذا وكذا وقد أُعْطيت فيه مائة ألف درهم ، فإن شئت فالمال ، وإن شئت فالحائط .

وقال زياد بن جرير : رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف فى مجلس وإنه ليخيط إزاره بيده .

فى عيادة المريض

قال رسول الله ﷺ : [**من عاد مريضاً أو زار أخا فى الله نادى مناد : أن طِبْتَ وطاب ممشاك ، تبوأت من الجنة مَنْزِلاً**][٧٣] .

كثر خطابها

ومر «**عبد الله بن أبى بكر**»[٧٤] رضى الله عنه على منزل فاستقى منه ، فخرجت امرأة ومعها كوز ، وقامت خلف الباب وقالت : تَنحوًا عن الباب فإنى امرأة عَزبٌ مات زوجى ، فشرب «**عبد الله**» وقال : يا غلام احمل إليها عشرة آلاف درهم ، فقالت : سبحان الله أتَسخر بى ؟ فقال : يا غلام احمل إليها عشرين ألفاً ، فقالت : اسأل الله العافية ، فقال يا غلام احمل إليها ثلاثين ألفاً .

---

(٧٠) فقر .

(٧١) بحق القرابة التى تربطهما .

(٧٢) حائطى : بُسْتانى .

(٧٣) رواه أحمد ٢ /٣٢٦ ، ٣٤٤ ، ٣٥٤ . والترمذى بر ٦٤ . وابن ماجه جنائز ٢ .

(٧٤) «**عبد الله بن أبى بكر**» ـــ رضى الله عنه ـــ أخو «**عائشة**» أم المؤمنين لأمها ، وهو الذى كان يرصد تحركات قريش ، وأخبارها يوم الهجرة ، ثم ينقلها لرسول الله ﷺ فى الغار . واستقى : طلب أن يُسْقى .

فما أمست حتى كثر خطابها .

وكان رضي الله عنه ينفق على أربعين داراً من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره ، وأربعين أمامه وأربعين خلفه ، ويبعث إليهم بالأضاحى والكسوة فى الأعياد ، ويعتق فى كل عيد مائة مملوك .

كَسَروا عتبة دارِهِ

ولما مرض «**قيس بن عبادة**»(٧٥) استبطأ إخوانه فى العيادة(٧٦) فسأل عنهم فقيل له : إنهم يستحيون مِمَّا لك عليهم من الدين فقال : أخزى الله مالاً يمنع عنى الإخوان من الزيارة ، ثم أمر منادياً ينادى : من كان لقيس عنده مال فهو منه فى حِلّ ، فكُسِرَتْ عتبة بابه لكثرة عُوّادِه .

قَدْ زِدْناك

وكان «**عبد الله بن جعفر**» يعطيه معاوية ألف ألف درهم فى كل سنة فيفرقها فى الناس ولا يُرى إلا وعليه دَيْن .

ولما مات «**معاوية**» وفَدَ على ابنه «**يزيد**» فقال : «**كم كان أمير المؤمنين «معاوية» يعطيك ؟**» **فقال** : «**كان رحمه الله يعطينى ألف ألف درهم**» **فقال «يزيد»** : «**قد زدناك لترحُّمك عليه ألف ألف**» ، فقال : «**بأبى وأمى أنت**» فقال : «**وهذه ألف ألف**» ، فقيل ليزيد : «**أعطيت هذا المال كله من مال المسلمين لرجل واحد ؟**» فقال : «**والله ما أعطيته إلا لجميع أهل المدينة**»، ثم وَكَل به من صحبه وهو لا يعلم لينظر ما يفعل ، فلما وصل المدينة فرَّق جميع المال حتى احتاج بعد شهر إلى الديْن ، وخرج رضى الله عنه هو «**والحسنان**»(٧٧)

---

(٧٥) «**قيس بن سعد بن عُبادة**» ـــ رضى الله عنه ـــ كان من الصحابة الأعلام ، وهو الذى رفع إليه رسول الله ﷺ راية الانصار يوم فتح مكه بعد أن نزعها فى أبيه «**سعد**» ، وكان «**قيس**» ـــ رضى الله عنه ـــ مشهوداً له بالفضل والكرم والشجاعة .

(٧٦) أحس فى نفسه أنهم لم يسارعوا إلى زيارته فى مرضه .

(٧٧) الحسنان : هُما «**الحسن**» و«**الحسين**» ابنا «**على**» ـــ رضى الله عنهم ـــ

«**وأبو دِحْيه الأنصارى**» رضى الله عنهم من مكة إلى المدينة فأصابتهم السماء بمطر فلجئوا إلى خباء أعرابى فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء ، فذبح لهم الأعرابى شاة فلما ارتحلوا قال «**عبد الله**» للأعرابى : «**إن قدمت المدينة فَسَلْ عنا**» ، فاحتاج الأعرابى بعد سنين ، فقالت له امرأته : «**لو أتيت المدينة فلقيت أولئك الفتيان ؟**» ، فذهب إلى المدينة فلقى «**الحسن**» رضى الله عنه فأمر له بمائة ناقة بفحولها(٧٨) ورُعَاتِها ، ثم أتى «**الحسن**» رضى الله عنه فقال : «**كفانا «أبو محمد» مؤنة الإبل**» فأمر له بألف شاة ، ثم أتى «**عبد الله بن جعفر**» رضى الله عنه فقال : والله ماعندى مثل ما أعطوك .. ولكن آئتنى بإبلك فأُوقرها(٧٩) لك تمراً فَلَم يَزَل اليسار فى عقب(٠) الأعرابى .

قَدْ أَسْرَفْتَ

وقَالَ «**الحسن**» و«**الحسين**» لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه : «**إنك قد أسرفت فى بذل المال**» فقال : «**بأبى أنْتما(٨٠) .. إن الله عز وجل عَودنى أن يتفضَّل على وعوَّدته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى المادة .**»

أَعْطَيْنَاهُ ما يَفْنى وأعطانا ما يَبْقى

وامتدحه «**نصيب**»(٨١) ، فامر له بخيل وأُسْأس(٨٢) ، ودنانير ودراهم فقال له رجل : (مثل هذا الأَسْوَد تعطى له هذا المال ؟) فقال : «**إن كان أسود فإن**

---

(٧٨) جمع فحل : ذكر الإبل .
(٧٩) أوقرها : أَحَمِّلُها .
* العَقِب : الأولاد والأحفاد .
(٨٠) أفديكما بأبى .
(٨١) نصيب : الشاعر ، وكان أَسْوَدَ البشرة .
(٨٢) الذين يسوسونها ويتعهدونها ، والواحد سائس .

ثناءه أبيض[٨٣] .. ولقد استحق بما قال أكثر مما نال .. وهل أعطيناه إلا ثياباً تبلى ، ومالاً يفنى .. وأعطانا مدحاً يُرْوى ، وثناءً يبقى ؟» ...

أَسْخى مِنْ «عَبْد الله بن جَعْفر»

وخرج «عبد الله» رضى الله عنه يوماً إلى ضيعة فنزل على حائط به نخيل لِقَوْمٍ وفيه غلام أسود يقوم عليه ، فأتى الغلام بِقُوتِهِ ثلاثة أقراص ، فدخلَ كلب فدنا من الغلام فرمى إليه بقرص فَأَكله ، ثم رمى إليه بالثانى والثالث فأكلهما ، و «عبد الله» ينظر إليه فقال : (يا غلام كَمْ قُوتُك كل يوم ؟) قال : (ما رأيت) ، قال : (فلم آثرت هذا الكلب على نفسك ؟) قال : (أَرْضُنا ماهى بِأَرْضِ كلاب .. وأنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أردَّه) قال : (فما أنت صانع اليوم ؟) قال : (أطوى[٨٤] يومي هذا) قال «عبد الله بن جعفر» : (أُلامُ على السخاء وإنّ هذا لأَسْخَى مِنى؟) فاشترى الحائط[٨٥] وما فيه من النخل والآلات ووهبها إليه) ، فقال الغلامُ : (إن كان ذلك لى فهو فى سبيل الله تعالى) .. فاستعظم «عبد الله» ذلك منه فقال : (يجود هذا وأبخل أنا ؟ لا كان ذلك أبداً) .

عِنْد زَمْزم

وأتى رجلٌ «عُبَيد الله بن عباس» رضى الله عنهما فقال : (يا « بن عباس » .. إنى لى عندك[٨٦] يداً وقد احتجت إليها .. فصعَّد فيه بصره فلم يعرفه فقال : (ما يدك عندى؟) قال : رأيتك واقفاًبفناء زمزم وغلامك يمتَحُ[٨٧] لك من مائها (يستخرجه) والشمس قد صهرتك فظَلَّلْتُك بفضل كسائى حتى شربت ، فقال : «أجل إنى لأذكر ذلك» ثم قال لغلامه «ما عندك؟» قال : «مائتا دينار

(٨٣) صادق فى قوله صاف النفس .
(٨٤) أى أبيتُ على الطوى : الجوع .
(٨٥) البستان .
(٨٦) معروفا كنت سبقت بتقديمه إليك .
(٨٧) الماتح : الذى يستخرج الماء من البئر .

وعشرة آلاف درهم» فقال : ادفعها إليه وما أراها تفى بحق يده .

أكثرُ من الكَرَم

وقدم «**عبيد الله**» على «**معاوية**» فأهدى إليه حُلَلًا ومِسْكا وآنيةً من ذهب وفِضَّة ووجهها إليه مع حاجبه، فلما وضع بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها .. فقال «**عبيد الله**» : «**هل فى نفسك منها شىء؟**» قال : «**نعم والله فى نفسى منها ما كان فى نفس «يعقوب» من «يوسف»**[88]» فضحك «**عبيد الله**» وقال (خذها فهى لك) ، قال : (جُعلِت فداك أخاف أن يبلغ ذلك «**معاوية**» فيحقد على) قال : (فاختمها بخاتمك ، وسلِّمها إلى الخازن فإذا كان وقت خروجنا حملناها إليك) فقال الحاجب : والله لهذه الحيلة فى الكرم أكثر من الكرم .

أقْسَمْتُ عَلَيْك

ودخل «**الحسن**» على «**معاوية**» وهو مضطجع على سريره فسلَّم عليه وأقعده عند رجليه وقال : (يا «**أبا محمد**» .. ألا تعجب من قول أم المؤمنين «**عائشة**» رضى الله عنها ــ تزعم أنى لست للخلافة أهلا ولا لها موضعا؟) فقال «**الحسن**» : (أوَ عجبا مما قالت أم المؤمنين؟) قال : كل العجب ، قال «**الحسن**» : (وأعجب من هذا كله جلوسى عند رجليك ، فاستحيا «**معاوية**» واستوى جالساً ثم قال : (أقسمت عليك يا «**أبا محمد**» إلَّا ما أخبرتنى كم عليك دين؟) قال : (مائة ألف درهم) فقال : (يا غلام .. أعط «**أبا محمد**» ثلاثمائة ألف درهم .. مائة ألف درهم يقضى بها دينه ، ومائة ألف يفرّقها على مواليه ، ومائة ألف يستعين بها على نوائبه) .

---

(٨٨) وهل كان فى نفسه له إلا الحب والتعلق حتى قالوا له : تالله تفتأ تذكرّ يوسف !!

ابْعَثْ إليه النِّصْـف الثاني

وقطع «**معاوية**» صِلاتِه[٨٩] عن «**الحسين**» رضى الله عنه فقيل :

لو وجهت إلى ابن عمك «**عبد الله بن عباس**» فإنه قَدِم بنحو ألف ألف ؟ فقال «**الحسين**» : (وأنى تقع الألف ألف من «**عبد الله**» .. فوالله لهو أجود من الريح إذا عصفت ، وأسخى من البحر إذا زخر ، ثم وجه إليه رسوله بكتاب يذكر فيه ما فعل «**معاوية**» وضيق حاله وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم .. فلما قرأ «**عبد الله**» كتابه انهملت عيناه[٩٠] وقال : (ويلك يا «**معاوية**» .. أصبحت ليِّن المهاد رفيع العماد[٩١] «**والحسين**» يشكو ضيق الحال وكثرة العيال .، ثم قال لوكيله : (احمل إلى «**الحسين**» نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب ، وأخْبِرهُ أنى شاطرته[٩٢] مالى .. فإن كفاه وإلا فآبعث إليه النصف الثانى) ..

أيْن «يزيد» ؟

وحبس «**الحجاج**» يزيدَ بن المهلَّبَّ فى مائة ألف درهم وجبت عليه خراجا .. فجُمِعَتْ له وهو فى السجن ، فجاءَه الفرزدق يزوره فقال للحاجب (استأذن عليه) فقال : إنه فى مكان لا يمكن الدخول عليه فيه ؛ فقال الفرزدق ، إنما أتيت متوجعاً لما هو فيه ، ولم آت ممتدحا . فَأذن له ، فلما أبصره قال :

أبا خالدٍ ضاقَتْ خُراسانُ بَعْدَكُم ... وقال ذَوُو الحاجاتِ أَيْنَ «يزيد»
فما قَطَرَتْ بالشَّرْق بعدك قَطْرة ... ولا آخضَرَ بالْمَرْوَيْن بَعْدَك عُودُ
وما لِسرُورٍ بَعْد عِزِّك بَهْجَةٌ ... وما لِجَوَادٍ بَعْد جُودِك جُودُ

---

(٨٩) الصِّلات : جمع صِلة وهى العطاء والبر .
(٩٠) بكتا ، وانهمرت دموعهما .
(٩١) لين المهاد تعيش فى نعمة ورخاء والمهاد جمع مهد ولين المهاد دليل النعيم ، ورفيع العماد كناية عن علو المنزلة . يدل على ذلك القصور ذات الأعمدة بعد الخيام .
(٩٢) شاطرته : قاسمته مالى وجعلته شطرين بينى وبينه .

فقال «**يزيد**» للحاجب :

(ادفع إليه المائة ألف درهم ودع «**الحجاج**» ولَحْمِي يفعل فيه مايشاء) .

أنا أعْرِفُ نفسِي

ومر «**يزيد**» بعجوز فذبحت له عنزا فقال لابنه : (مامعك من النفقة ؟) قال : (مائة دينار) .. فقال : (ادفعها إليها) ، فقال : (هذه يرضيها اليسير وهي لاتعرفك..) قال : «إن كان يرضيها فهو لا يرضينا ، وإن كانت لاتعرفنى فأنا أعرف نفسى !» .

الناسِكُ حقًّا

رأت أم المؤمنين «**عائشة**» رضى الله عنها شباناً يمشون وهم مطأطئو الرؤوس ، فقالت : ما هؤلاء ؟ قالوا : شباب نُساك ، قالت : إن «**عمر بن الخطاب**» إذا مشى أسرع ، وإذا قال أَسْمع ، وإذا ضَرَبَ أَوْجَع ، وكان الناسك حقًّا .

لا تحتقر الطاعة والمعصية

قال حكيم : لا تحتقر الطاعة فإنك لا تدري بأي واحدة يغفر لك ، ولا تحتقر المعصية فإنك لا تدري بأي واحدة تُعَذب .

من محاسن العفو

أسر «**مصعب بن الزبير**» رجلًا من أصحاب «**المختار**»[٩٣] فأمر بضرب عنقه ، فقال : أيها الأمير ماأقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة فأتعلق بأطرافك وأقول ربِّ سَلْ «**مصعباً**» فيم قِتلنى ؟ فقال : أطلقوه ، فقال :

(٩٣) «**المختار بن أبى عبيد الثقفى**» أحد الخارجين على «**عبد الملك بن مروان**» ، و«**عبد الله بن الزبير**» قاتله «**مصعب بن الزبير**» فى العراق وهزمه وقتله .

أيها الأمير اجعل لي ماوهبت من عمري فى خَفْض عَيْشٍ ، فقال : أعطوه مائة ألف درهم ، قال : بأبي أنت وأمي أشهدك أن لابن قَيْسٍ[٩٤] منها خَمْسِين ألفاً ، قال : لم ؟ قال : لقوله فيك .

إنَّما مِصْعَبٌ شِهَابٌ من الله   تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ

لماذا لم تُسْلم ؟

قال «ضحّاك بن مزاحم» لنصرانى : لماذا لم تسلم ؟ قال : لحب الخمر ، قال : أسلم ثم شأنك بها ، فلما أسلم قال له : إن شربت حددناك[٩٥] وإن ارتددت قتلناك ، فثبت على إسلامه ..

من يطلب القوت كيف يلام ؟!

قال «محمد بن الحنفية»[٩٦] : لا تَلُم من لا قوت له على طلب قوته ، فبِعُدْمِه عُدْمُ[٩٧] عقله ، وضجر نفسه ، وملّه أهله ، وكان أكثر كَلامه عليه لا له ، فإن كان عالماً جهّلوه ، وإن كان دينا سفهوه ، وإن كان أديبا نبذوه ، ولا يُسمع كلامُه ، ولا يُعرف مقامه ويبغضه أهله وجيرانه .

قال الشاعر :

إن الدراهم فى الأماكن كلها   تَكْسُو الرجال مهابةً وجمالًا
فَهِي اللِّسانُ لمن أراد فصَاحَةً   وهِيَ السِّلاح لَمَنْ أَراد قتالا
لَوْلَا دراهِمهُ الَّتِي يَزْهُو بهَا   لَرَأَيْتَهُ فِى النَّاس أسْوأ حالا

---

(٩٤) ابن قيس الرقيات .

(٩٥) أى أقمنا عليك حد الشرب . وإن رجعت إلى دينك نفذنا فيك عقاب المرتد بعد إسلامه وهو القتل .

(٩٦) هو «محمد بن على بن أبى طالب» ، أمه «خولة بنت جعفر» الحنفية ، من الأبطال الأشداء فى صدر الاسلام .

(٩٧) العُدْم : الفقر وفراغ ذات اليد فهو معدم .

من أخلاقه ﷺ

كان ﷺ أشد الناس تواضعاً ، وأبعدهم عن كِبْر .. يَعُود[٩٨] المساكين ويجالس الفقراء ، ويتفقد أحوالهم[٩٩] ، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم ، وحيثما انتهى به المجلس جلس ، خرج يوماً على أصحابه فتاموا فقال : [**لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد**] وقال «**أبو هريرة**» رضى الله عنه [**دخل رسول الله ﷺ السوق لشراء متاع له فقال للوزان : زِنْ وأرجح ، فوثب الوزان إلى يد رسول الله ﷺ يقبلها فجذب يده وقال : هذا تفعله الأعاجم بملوكها ، ولست بملك إنما أنا رجل منكم ثم أخذ المتاع فذهبت لأحمله فقال : صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله**] ..

الفقيه كُلّ الفقه

قال «**عليٌّ**» كرم الله وجهه : ألا أخبركم بالفقيه كل الفقه ؟ قالوا : بلى ؛ قال : من لم يُقْنِط الناس من رحمة الله[١٠٠] ، ولم يؤمنهم من مكر الله ، ولم يرخص لهم فى معاصى الله[١٠١] ، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد : أيها الناس إن أقربكم اليوم إلى الله أشدكم له خوفاً ، وإن أحبكم إليه أحسنكم له عملاً ، وإن أعظمكم عنده نصيباً أعظمكم فيما عنده رغبة ، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ..

صدق الله وكذب الشاعر

وقف «**شقيق بن سليك**» على «**الحجاج**» فقال : أصلح الله الأمير أعرنى

---

(٩٨) يعود : يزور .
(٩٩) يتعرف على مشاكلهم ويطمئن على حياتهم .
(١٠٠) أى لايدخل اليأس إلى قلوبهم .
(١٠١) يفتح أمامهم باب المعصية .

سمعك ، واغضض عنى بصرك ، واكفف عنى شرك ، وإن سمعت خطأ أو زللا فدونك والعقوبة[١٠٢] ، قال : هات ..، قال : عصى عاص من عرض[١٠٣] العشيرة فحلق على اسمى وهدم منزلى وحرمت من عطائى ، فقال « الحجاج » : أما سمعت قول الشاعر :

جَانِيكَ مَنْ يَجْنِـى عليـك وَقَـدْ　　تُعْدِي الصِّحَاحَ مَبَارِكُ الجُـرْب
فَلَرُبَّ مأخـوذٍ بذنـب عشـيرة　　وَنَجا المقارِفُ صاحِبُ الذَّنْب[١٠٤]

قال : أصلح الله الأمير سمعت الله عز وجل يقول غير ذلك ، قال : وما سمعته يقول ؟ قال : قال الله : ﴿قالُوا يا أيها العَزِيزُ إنَّ لَهُ أَبًا شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ . قَالَ مَعَاذَ اللهِ أن نأْخذ إلا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾[١٠٥] . فقال « الحجاج » ليزيد بن مسلم : امسك لهذا عن اسمه ورتب له عطاءه وابن له منزله ، وأمر منادياً ينادي : صدق الله وكذب الشاعر .

عدد الأنبياء والمرسلين

لم يصل أحد إلى معرفة عدد الأنبياء والمرسلين وقد ذُكِرَ في القرآن منهم خمسةٌ وعشرون يجب حفظ أسمائهم :

آدم — إدريس — نوح — هود — صالح — إبراهيم — إسماعيل — إسحاق — لوط — يعقوب — أيوب — يوسف — شعيب — موسى — هارون — ذو الكفل — داود — سليمان — إلياس — اليسع — يونس — زكريا — يحيى — عيسى — محمد عليهم الصلاة والسلام .

---

(١٠٢) أى لاتؤاخذنى ، ولا تسارع إلى عقابى .
(١٠٣) العرض من الرجال . من يعترض الناس بالباطل . وعرض كل شيء وسطه .
(١٠٤) المقارف من يرتكب الذنب ويفعله ، ويريد أن الإنسان قد يؤخذ بذنب غيره ، وينجو المذنب .
(١٠٥) سورة «يوسف» الآية (٧٩) .

وقد نظمها بَعْضُـهُم فقال :

فى تلـك حجتنـا منهـم ثمانيـة من بعد عَشْـر ويبقى سبعة وَهُمُو
إدريس هُود شُعَيْب صَالِحٌ وكـذا ذُو الكِفْل آدم بِالْمُخْتار قَدْ خُتِمُـوا

لا تحل الاستعانة بالمشرك

لما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر لحقه رجل من المشركين عند الحرَّة[١٠٦] فقال : إنى أريد أن أتبعك وأصيب معك ، قال : «**أتؤمن بالله ورسوله ؟ قال : لا . قال : ارجع فلن نستعين بمشرك ، ثم لحقه عند الشجرة فقال : جئتك لأتبعك وأصيب معك قال : أتؤمن بالله ورسوله ؟ قال : لا قال : ارجع فلن نستعين بمشرك ، ثم لحقه عند ظهر البيداء[١٠٧] فقال له مثل ذلك فأجابه بمثل الأول ، فقال الرجل : نعم ، ففرح به المسلمون وكان له قوة وجلد**»[١٠٨] .

أهل القرآن

وهذا أصل عظيم فى أن لا يستعان بكافر . فهذا الرجل وقد خرج ليقاتل بين يدي النبي ﷺ ويراق دمه ولم يقبله رسول الله ﷺ على شركه فكيف باستعمالهم على رقاب المسلمين ؟

وكتب «**عمر بن عبد العزيز**» رضى الله عنه إلى عماله : أن لا تُوَلُّوا على أعمالنا إلا أهل القرآن فكتبوا إليه : إنا قد وجدنا فيهم خيانة ، فكتب إليهم : إن لم يكن فى أهل القرآن خير فأجدر أن لا يكون فى غيرهم .

---

(١٠٦) الحَرَّة بالفتح : أرض ذات حجارة سود .
(١٠٧) البيداء : الصحراء .
(١٠٨) حديث : «**إنَّا لانستعين بمشرك**» رواه أبو داود فى الجهاد ١٤٢ . وابن ماجه فى الجهاد ٢٧ . والدارمى فى السير ٥٣ .

غيرة الصبيان على نبيهم

حكى أن غلمانا من أهل «**البحرين**» خرجوا يلعبون الكرة وأُسْقُفّ[109] «**البحرين**» قاعد ، فوقعت الكرة على صدره فأخذها ، فجعلوا يطلبونها منه فأبى ، فقال غلام منهم : سألتك بحرمة «**محمد**» ﷺ إلَّا رددتها علينا ، فأبى وأخذ يسب رسول الله ﷺ ، فأقبلوا عليه بعصيهم يضربونه حتى مات ، فرفع ذلك إلى «**عمر**» رضى الله عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحه بقتل الغلمان لذلك الأسقف ، وقال : الآن عَزَّ الإسلام إن أطفالاً صغاراً شتم نبيهم فغضبوا وانتصروا ، وأُهْدَرَدَمَ الأُسْقُفّ .

واعظ الرشيد

قال «**الفضل بن الربيع**»[110] : حج «**هارون الرشيد**» فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت : ياأمير المؤمنين لو أرسلت إلى لأتيتك ، فقال : ويحك قد حاك[111] فى نفسى شيء فانظر لى رجلا ، فقلت : ههنا «**سفيان بن عيينة**» فقال : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعاً فقال : ياأمير المؤمنين لو أرسلت إلى لأتيتك ، فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله ، فحادثه ساعة ثم قال : عليك دَيْن ؟ فقال : نعم ، فقال : يا«**عباس**» اقض دينه ، فلما خرجنا قال لى : ماأغنى صاحبك عنى شيئا . انظر لى رجلا أسأله ، قلت : ههنا «**عبد الرازق بن همام**» قال : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعاً فقال : ياأمير المؤمنين لو أرسلت إلى لأتيتك ، فقال : خذ لما جئناك له ، فحادثه ساعة ، ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم ، قال : يا«**عباس**» اقض دينه ، فلما خرجنا قال : ماأغنى صاحبك عنى شيئاً . انظر لى

---

(١٠٩) الأسقفّ : فوق القسيس ودون المطران والكلمة يونانية .

(١١٠) «**الفضل بن الربيع بن يونس**» وزير «**هارون الرشيد**» ، وكان منافساً للبرامكة .

(١١١) حاك فى نفسى : تحرك واضطرب وساورته مخاوف .

رجلاً أسأله ، قلت : « **الفضيل بن عياض** » قال : امض بنا إليه فأتيناه فإذا هو قائم يصلى ويتلو آية من القرآن يرددها ، قال : اقرع الباب ، فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ، فقال : مالى ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله أما عليك طاعته ؟ فنزل وفتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت ، فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف أمير المؤمنين قبلى إليه ، فقال : يا لها من كف ما ألينها إن نجت من عذاب الله عز وجل ، فقلت فى نفسى ليكلمه الليلة بكلام من قلب تقى ، فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله ، فقال « **الفضيل** » : إن « **عمر بن عبد العزيز** » لما ولى الخلافة دعا « **سالم بن عبد الله** » و « **محمد بن كعب القرظى** » و « **رجاء بن حيوة** » فقال لهم : إنى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي ، فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة ، فقال له « **سالم بن عبد الله** » : إن أردت النجاة من عذاب الله فصُمْ عن الدنيا وليكن إفطارك فيها الموت ، وقال « **محمد بن كعب** » : إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين عندك أبا ، وأوسطهم عندك أخا ، وأصغرهم عندك ولدا ، فوقّر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحنن على ولدك ، وقال « **رجاء بن حيوة** » : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت إن شئت ..

وإنى أقول لك : إنى أخاف عليك أشد الخوف يوم تَزِلّ الأقدام فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء أو من يشير عليك بمثل هذا ؟ فبكى « **هارون** » بكاء شديداً حتى غشى عليه فقلت له : ارفق بأمير المؤمنين رحمك الله ، فقال : يا أمير المؤمنين بلغنى أن عاملا لِعُمْر بن عبد العزيز شكا إليه فكتب إليه « **عمر** » : يا أخى أذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد ، وإياك أن ينصرف بك العمل عن الله فيكون ذلك آخر العهد بك وانقطاع الرجاء منك ، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على « **عمر بن عبد العزيز** » فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبى بكتابك لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عز وجل ، فبكى « **هارون** » بكاء شديداً ثم قال له : زدنى رحمك الله ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن « **العباس** » عم النبى

ﷺ جاء إليه فقال : يارسول الله أمِّرني على إمارة ، فقال له النبي ﷺ : [**إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل**][112] . فبكى «**هارون**» بكاء شديداً ، ثم قال : زدني رحمك الله ، فقال : يا حسن الوجه أنت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة فإن أردت أن تقِي هذا الوجه من النار فإياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غش لأحد من رعيتك ؟ فإن النبي ﷺ قال : [**من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة**][113] . فبكى «**هارون**» وقال له : عليك دَيْن ؟ قال : دَيْن لربى لم يحاسبنى عليه فالويل لى إن سألنى ، والويل لى إن لم ألهم حجتى . قال : إنما أعنى دين العباد ، قال : إن ربى لم يأمرنى بذلك إنما أمرنى أن أصدق وعده وأطيع أمره فقال : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِنْ رِزْق وما أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ**﴾ .[114] فقال له : هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتَقَوَّ بها على طاعة ربك ؛ قال : سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئنى بمثل هذا !! سلمك الله ووفقك ، ثم صمت فلم يكلمه ، فخرجنا من عنده ، فلما صرنا إلى الباب قال «**هارون**» : يا «**عباس**» إذا دللتنى على رجل فدلنى على مثل هذا ، هذا سيد المسلمين .

فدخلت عليه[115] امرأة من نسائه فقالت : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به ؟ فقال لها : مثلى ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه . فلما سمع هارون الكلام قال : ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم «**الفضيل**» خرج فجلس فى السطح على باب الغرفة فجاء «**هارون**» فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه قال «**الفضل**» : فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت : يا هذا قد آذيت

---

(112) رواه النسائى فى البيعة 39 ، والقضاة 5 . وأحمد 2 /448 .

(113) رواه مسلم فى الإمارة 21 .

(114) سورة «**الذاريات**» الآية (57) .

(115) أىّ : إحدى زوجاته «**الفضيل**» .

الشيخ فانصرف رحمك الله فانصرفنا ..!!

الولد سر أبيه

كان بيد «**عمر بن عبد العزيز**» قبل الخلافة ضيعته المعروفة بالسَّهْلة وكانت باليمامة ، وكانت لها غلة عظيمة كثيرة ، وعيش أهل بيته منها ، فلما ولى الخلافة قال لمُزاحِمٍ مولاه — وكان فاضلاً — : إنى عزمت أن أرد السَّهْلة إلى بيت مال المسلمين ، فقال «**مزاحم**» : أتدرى كم ولدك ؟ إنهم كذا وكذا ؟ فذرفت عيناه فجعل يستدمع ويمسح الدمعة بأصبعه الوسطى ويقول : أَكِلُهُم إلى الله أَكلُهُم إلى الله ..!!

فمضى «**مزاحم**» فدخل على «**عبد الملك**» ابنه فقال له : ألا تعلم ما قد عزم عليه أبوك ؟ إنما يريد أن يرد السَّهْلة قال : فما قلت له ؟ قال : ذكرت ولده فجعل يستدمع ويمسح الدمعة بأصبعه الوسطى ويقول : أَكِلُهُم إلى الله . فقال «**عبد الملك**» : بئس وزير الدين أنت ، ثم وثب وانطلق إلى أبيه فقال للحاجب : **استأذن لي عليه . فقال : إنه قد وضع رأسه الساعة للقائله[116] . فقال : استأذن لى عليه فقال : أما ترحمونه ؟ ليس له من الليل والنهار إلا هذه الساعة .**

قال : استأذن لي عليه لا أم لك . فسمع «عمر» كلامهما فقال : ائذن لعبد الملك ، فدخل عليه فقال لعمر : علام عزمت ؟ قال : أردُّ السهلة ، قال : فلا تؤخر ذلك ، ثم قُمِ الآن ، فجعل «عمر» يرفع يديه ويقول : الحمد لله الذى جعل لى من ذريتى من يعيننى على أمر ديني ، نعم يا بنى أصلى الظهر ثم أصعد المنبر فأردها علانية على رؤوس الناس ، قال : ومن لك أن تعيش إلى الظهر ، ثم مَنْ لك أن تسلم نيتك إلى الظهر إن عشت إليها ؟ فقام «عمر» فصعد المنبر وخطب الناس ورد السَّهْلة .

---

(١١٦) لراحة القيلولة عند الظهيرة .

المَوْعِدُ الله

قتل « **المنصور** » « **محمد بن عبد الله بن الحسن** » ــ وكان والده « **عبد الله** » فى السجن ــ فبعث برأسه إليه مع الربيع حاجبه فوُضع بين يديه فقال : « **رحمك الله أبا القاسم فقد كنت ممن يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ، والذين يَصلون ما أمر الله به أن يوصل وَيَخْشَوْن ربهم ويخافُونَ سُوءَ الحساب** » ثم تمثل بقول الشاعر :

فتًى كان يَحْميه من الذُّلِ سَيْفُه ... ويكْفيه سَوْءَات الأُمُور آجْتنابُها

ثم التفت إلى « **الربيع** » فقال له : قُلْ لصاحبك ــ المنصور ــ قد مضى من بؤسنا مدة ومن نعيمك مثلها ؛ والموعد الله تعالى . قال « **الربيع** » : فُما رأيت « **المنصور** » قط أكثر انكساراً منه حين أبلغته الرسالة !

فوائد الأدب

قال « **عبد الملك بن مروان** » : عليكم بالأدب فإن احتجتم إليه كان مالاً ، وإن اسْتَغْنَيْتُم عنه كان جمالاً !

الجهاد السِّلْمِيّ وفضله

قال المغفور له « **أمين الرافعى** » : « إن الحياة وما نصادفه فيها من متاعب وأحزان وضنك وإبعاد ليست إلا ميداناً من ميادين القتال ، فمن استطاع الثبات فيها كان بطلا من أبطالها ، وكثيراً ما يكون أبطال هذا الميدان السِّلْمِيّ أكثر شجاعةً من أبطال ميدان الحروب ، فبينما المحارب يملك سلاحاً كسلاح خصمه للدفاع عن نفسه لا نرى المجاهد السلمى إلا أعزلَ من كل شيء سوى قلبه الذى يقاوم به جميع أعدائه » .

الحق أحقُّ أن يتَّبع

كتب «**عمر بن الخطاب**» إلى «**أبي موسى الأشعرى**» رضى الله عنهما يقول : **ولا يمنعك قضاءٌ قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فَهُديت لِرُشْدك أن** تراجع فيه الحقَّ ، فإن الحق قديم لا يُبْطله شيء[١١٧] .

كمال الإيمان

قال لقمان : ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان :

من إذا رضى فلم يخرجه رضاه إلى الباطل ، وإذا غضب لم يُخرجه غضبُه عن الحق ، وإذا قَدَرَ لم يتناول ما ليس له .

أجِرْنا من أجَرْتَ

أهدر «**المهدي**» دم رجل كان يسعى فى فساد دولته ، وجعل لمن يقتله أو يأتيه به مائة ألف درهم ، فاختفى الرجل زماناً ثم ظهر متنكراً خائفاً يترقب ، **فَبَصُرَ** به رجل فى بعض دُرُوبِ[١١٨] بغداد فعرفه وأخذ بيده وقال : بُغْية[١١٩] أمير المؤمنين ، فاجتمع الناس عليه ليُطْلقوه من يده ، وكان فيهم «**مَعْن بن زائدة**» فناداه الرجل : أجرنى يا «**أبا الوليد**» أجارَكَ الله ، فقال للرجل الذى قبض عليه : ما شأنك ؟ قال : بُغْية أمير المؤمنين . فقال «**معن**» لبعض غلمانه : انزل عن دابتك واحمل هذا الغريم عليها وانطلق به إلى منزلى ، فقال الرجل : أتَحُول بينى وبين بُغْية أمير المؤمنين !؟ فقال «**معن**» . اذهب إلى : أمير المؤمنين وأخبره أنه عندى ، فذهب الرجل وأوصل الخبر إلى «**المهدى**» فبعث إليه ، فركب

---

(١١٧) هذا الكلام لسيدنا «**عمر**» ــ رضى الله عنه ــ وهو : جزء من رسالته إلى «**أبى موسى الأشعرى**» فى القضاء ، وقد اعتمدها «**ابن قيم الجوزية**» ــ رحمه الله ــ أساساً لكتابه «**إعلام الموقعين عن رب العالمين**» .

(١١٨) جمع درب .. والدروب الطرق والأزقة .

(١١٩) أى أمير المؤمنين يبغيك ويطلبك .

«معن» وقال لمن خلفه من غلمانه : لا يخلص إلى هذا الرجل أحد وفيكم عين تطرف[١٢٠] ، فلما دخل على «المهدى» سلّم فلم يرد عليه السلام وقال له : أتجير غريمى[١٢١] ؟ قال : نعم ، قال : ونعم أيضاً !!؟ فقال «معن» : ياأمير المؤمنين لقد قتلت فى طاعتكم خمسة عشر ألفا فى أيام كثيرة عرف فيها بلائى وعنائى فما رأيتمونى أهلا لأن يوهب لى رجل واحد استجار بى ؟ فأطرق «المهدى» ملياً[١٢٢] ثم رفع رأسه وقد سُرِّيَ[١٢٣] عنه وقال : لقد أجرنا من أجرت يا«معن» ! فقال «معن» : فإن رأى أمير المؤمنين أن يَصِلَهُ فيكون قد أحياه وأغناه فقال : قد أمرنا له بخمسين ألفا ، فقال : ياأمير المؤمنين إن صلات الخلفاء تكون على قدر جناياتِ الرعية ، وإن ذنب الرجل عَظِيم ، فأَجْزل له الصِّلة ؛ قال : قد أمرنا له بمائة ألف درهم ، قال : عَجِّلها له فإن خير البر عاجله ، فعُجِّلَتْ له ، فأخذها الرجل وانصرف .

فَخْرُ «فرعون» على «موسى»

لما افتخر «فرعون» على «موسى» بالبيان فى قوله : ﴿أَمْ أَنَا خَيرٌ مِن هذا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ ولايَكادُ يُبِينُ﴾[١٢٤] فلما سمع موسى ذلك ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى ويَسِّر لِى أمْرِى واحْلُلْ عُقْدة مِنْ لِسَانِى يَفْقَهُوا قَوْلِى﴾[١٢٥] . فاستجاب الله دعاءه وسمع نداءه فقال ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلك يا «مُوسَى»﴾[١٢٦] وحلّ الله تلك العقدة ، وأطلق تلك الحبسة .

---

(١٢٠) حذار أن يناله أحد بسوء ، واسهروا على حراسته .
(١٢١) أتمنح عدوى الأمن والأمان ؟
(١٢٢) مَلِيًا : طويلا .
(١٢٣) ذهب عنه ماكان يجعله يطرق .
(١٢٤) الزخرف : ٥٢
(١٢٥) طه : ٢٥ ــ ٢٧
(١٢٦) طه : ٣٦ .

أصبحتْ تطلُبني ثمانية

قيل للإمام «**الشافعي**» رضى الله عنه : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحتُ تطلبنِي ثمانية :

الله تعالى بالفرض .

ورسوله ﷺ بالسُّنَّة .

والدهر بصروفه .

والعيال بِقُوتِهِمْ .

والْحَفظَة بما ينطق لساني .

والشيطان بالمعاصِي .

والنفس بالشهوات .

ومَلَكُ الموت بقبض روحِي .

أَقِلُّوا الكـلام

قال «**الربيع بن خثيم**» : أقلُّوا الكلام إلا بتسع — : تكبير ، وتهليل ، وتحميد ، وسؤالك الخير ، وتعوذك من الشر ، وأمرك ونهيك عن المنكر ، وقراءة القرآن ، وأن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

الحازِمُ والعاجز

قالت الحكماء : الناس حازمان ، وعاجز فَأَحْزم الحازميْن مَن عرف الأمر قبل وقوعه فاحترس مِنْه ، والحازم الذى إذا نزل به الأمر تلقاه بالرأى والحيلة حتى يخرَج منه ، والعاجز من تردد بين بين لا يأتمر رُشْداً ولا يطيع مُرْشداً حتى تفوته النجاة .

وأوصى «**عبد الملك بن صالح**» قائداً على سرية أرسلها إلى قتال عدو فقال له : كن كالتاجر الكيِّس إن وجد ربحاً اتجر وإلَّا حَفِظَ رأس ماله ، ولا تطلب

الغنيمة حتى تحْمَدَ السلامة ، وكن فى احتيالك على عدوك أشد حذراً من احتيال عدوك عليك .

وقال «أبو السرايا» يوصى ولده : يا بنى كن بحيلتك أوثق منك بشدتك ، وبحذرك أوثق منك بشجاعتك ، فإن الحرب ورطة المتهور وغنيمة المتفكر ، وقالوا : لا يصلح الحزم إلا لمن كان له سبع خصال من طبائع الحيوان . قلب الأسد ، وغارة الذئب ، وصبْر النسر ، وحذر الغراب ، وحراسة الكُرْكِى(١٢٧) ، وهداية الحمام ، وحماية الزنْبور .

أخُو الحزْم

وقال الشاعر :

إذا المرءُ لم يحتل وقد جدّ جده   أضاع جمال الْحَزْم وهو مُقَصّرُ
ولكنْ أخُو الحزْم الذي ليس نازلا   بِهِ الأمرُ إلا وَهُو لِلْقَصْد مُبْصِرُ

وقال آخر :

الرأى قَبْلَ شجاعَةِ الشُّجْعان   هُوَ أَوَّلٌ وهي المحلُّ الثاني
فإذا هُما ٱجتمعا لِنَفْسٍ حرَّة   بلغت مِنَ العلْيَاءِ كُلَّ مكانِ
فَلربَّما طَعَن الفتى أقْرانه   بالرأى قَبْل تَطاعُنِ الأَقْرَانِ(١٢٨)

قد يكون فى المصيبة فرج

قال «مسروق» : كان رجل بالبادية له حمار وكلب وديك ، وكان الديك يوقظهم للصلاة . والكلب يحرسهم ، والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم الخيام ، فجاء الثعلب فأخذ الديك فقال الرجل : عسى أن يكون خيراً ، ثم جاء

---

(١٢٧) الكُركى : طائر كبير أغبر اللون طويل العنق والرجلين أبتر الذيل قليل اللحم يأوى إلى الماء أحيانا ويضرب به المثل فى الحراسة .

(١٢٨) الأقران : جمع قِرْن النظير والمثيل فى الحرب وشبيهه فى الحرب ومن يقاومك .

ذئب فخرق بطن الحمار فقتله ، فقال الرجل : عسى أن يكون خيراً ، ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال الرجل : عسى أن يكون خيراً . ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سُبِىَ[١٢٩] من كان حوله وبقوا هم سالمين : وإنما أخذ هؤلاء من أصوات الكلاب والحمير والديكة وكان نجاتهم فى هلاك ما عندهم .

«موسى والخضر» عليهما السلام

لما حان لموسى والخضر أن يتفرقا قال الخضر لموسى : لو صبْرت لأتيت على ألف عجب ، كل عجب أعجب مما رأيت ، فبكى «موسى» على فراقه ثم قال للحضر ، أوصنى فقال : يا «موسى» اجعل هَمَّكَ فى معادك[١٣٠] ، ولا تخض فيما لا يعنيك ، ولا تيأس من الأمن فى خوفك .

فقال «موسى» : زدنى ، فقال يا «موسى» إياك واللجاجة[١٣١] ، ولا تمشِ فى غير حاجة ، ولا تضحك من غير عجب ، ولا تعيرُ أحداً من الخطائين بخطاياهم بعد الندم ، وآبك على خطيئتك يا « بن عمران» . فقال «موسى» : قد أبلغت فى الوصية فأتم الله عليك نعمته وعمرك فى طاعته وكلأك[١٣٢] من عدوه . فقال «الخضر» : وأوصنى أنت . فقال له «موسى» : إياك والغضب إلا فى الله ، ولا ترض عن أحد إلا فى الله ، ولا تحب لدنيا ولا تبغض لدنيا فإن ذلك يخرج من الإيمان ويدخل فى الكفر . فقال «الخضر» : لقد أبلغت فى الوصية ، فأعانك الله على طاعتك وأراك السرور فى أمرك ، وحبّبك إلى خلقه ، وأوسع عليك من فضله ، فقال «موسى» : آمين .

---

(١٢٩) وقعوا سبايا وأسارى .
(١٣٠) الدار الآخرة التى إليها نعود .
(١٣١) اللجاجة : العناد فى الخصومة .
(١٣٢) كلأك حفظك ورعاك وحماك .

لولا الحاكم لَفَسَدتِ الأرْض

قال الله تعالى : ﴿ولولا دَفْعُ الله الناسِ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأرْض﴾* أى لولا أن الله أقام السلطان فى الأرْضِ يدفع القَوِىّ عن الضعيف وينصف المظلوم من الظالم لأهلك القوىُّ الضعيف ، فلا ينتظم لهم حال ، ولا يستقر لهم قرار فتفسد الأرض ومَن عليها ، ثم امتن الله على الخلق بإقامة السلطان وبيَّن فضله بقوله : ﴿ولكن الله ذُو فَضْلٍ على العالمين﴾[١٣٣] فَفضَّل السلطان على الظالم كف يده عن المظلوم وفضله على المظلوم كف يد الظالم عنه .

يزهدان فى القضاء

كتب « **عمر بن عبد العزيز** » إلى « **عدى بن أرطاة** » أن اجمع بين « **إياس بن معاوية** » و « **القاسم بن ربيعة** » فولِّ القضاء أفْقَهَهُما فجمع بينهما فقال له « **إياس** » : أيها الرجل سَلْ عنى وعنه « **الحسن** » و « **ابن سيرين** »[١٣٤] وكان « **القاسم** » يأتيهما و « **إياس** » لا يأتيهما ففهم « **القاسم** » أنه إن سألهما عنه أشارا به ، فقال له : لا تسل عنى ولا عنه فوالله الذى لا إله إلا هو إن « **إياس بن معاوية** » أفقهُ منى وأعلم منى بالقضاء ، فإن كنتُ كاذبا فما عليك أن توليَنى وأنا كاذب وإن كنتُ صادقاً فينبغى أن تقبلَ قولى . فقال له « **إياس** » . إنك جئت برجل وقف به على شفير جهنم فنجىَّ نفسَه منها بيمينٍ كاذبةٍ يستغفر الله تعالى منها وينجو مما يخاف ، فقال له « **عدى** » : إذ فهمتها أنت لها أهل ، فاستقضاه[١٣٥] .

---

* جاء فى التفسير الوسيط : بعد قصة قتل داود جالوت : وهكذا يدفع الله بالصالحين — من الناس — المفسدين في الأرض ، المعطلين لمصالح العباد ، ولولا ذلك لفسدت الأرض ووقع الناس فى الفوضى .

(١٣٣) البقرة : ٢٥١

(١٣٤) يقصد : «الحسن البصرى» و«محمد بن سيرين» — رضى الله عنهما —

(١٣٥) ولاه القضاء ، ولاعجب فى هذا الزهد فمهنة القضاء مهنة شاقة ، لاينجو منها إلا من عصم الله واستخاره وتحرى الحق ، ومن هنا قيل : قاض فى الجنة ، وقاضيان فى النار .

الوفاء ورعاية الذمم

كان «**النعمان بن المنذر**»(١٣٦) يجعل له يومين: يوماً من صادفه فيه قتله، ويوماً من لقيه أحسن إليه وأغناه، وكان رجل طائى قد رماه حادث دهره بسهام فاقته(١٣٧) وفقره فأخرجته الفاقة من محله ليصيب شيئاً لأولاده، فبينما هو كذلك إذ صادفه «**النعمان**» فى يوم بؤسه فلما رآه الطائى علم أنه مقتول وأن دمه مهدور، فقال: حيا الله الأمير إن لى صبية صغاراً وأهلا جياعاً وقد أَرَقْتُ ماء وجهى فى حصول شيء لهم فأقدمنى سوء الحظ عليك فى هذا اليوم العبوس، فإن رأى الملك أن أصلَ إليهم وأُوصِى بهم حتى لا يهلكوا ثم أعود إليك فعلتُ، فلما سمع «**النعمان**» ذلك رق له ورثا لحاله، غير أنه اشترط عليه ضامناً(١٣٨)، وكان «**شريك بن عدى بن شراحيل**»(١٣٩) نديم «**النعمان**» معه فالتفت الطائى إليه وقال:

يا شِـــريكَ بنَ عَـــدِىٍّ ... ما مـن المــوت آنهـــزام
مَنْ لأطفــالٍ ضِعـــافٍ ... عَـــدِموا طَعْـمَ الطَّعـــامِ
بيْـنَ جُـــوعٍ وانتظـــارٍ ... وآفْتقـــارٍ وسِـــقَـــام
يا أخـــا كُلِّ كَـــرِيمٍ ... أنْـــتَ من قَـــوْمٍ كِـــرَام
يا أخـا «النعمـان» جُـدْلِى ... بِضَـمـانٍ والتـــزامِ(١٤٠)
لَـــكَ اللـــــه بِأنِّـــى ... رَاجِـــعٌ قبـــلَ الظَّـــلامِ

فقال «**شريك بن عدى**»: أصلح الله الملك عَلَىَّ ضمانهُ، فمر الطائى مسرعاً وصار «**النعمان**» يقول لشريك: إنَّ صَدْر النهار قد ولَّى ولم يرجع غريمك، و«**شريك**» يقول: ليس للملك علىَّ سبيل حتى يأتى المساء، فلما قرب المساء

(١٣٦) «النعمان بن المنذر»: «أبو قابوس»، أشهر ملوك «الحيرة» فى الجاهلية.
(١٣٧) الفاقة: شدة الاحتياج.
(١٣٨) يضمن عودته.
(١٣٩) نديمه: جليسه الذى ينادمه على الشرب.
(١٤٠) تكرم على بضمانك لى والتزامك لى.

قال « **النعمان** » لشريك : قد حان وقتك فتأهب للقتل ، فبينما هم كذلك وإذا بالطائى قد أقبل مسرعاً وقال : أيها الملك مُرْ بأمرك ، فأطرق « **النعمان** » ثم رفع رأسه وقال : والله ما رأيت أعْجبَ ، منكما ، أما أنت يا طائى ، فما تركت لأحدٍ فى الوفاء مقاماً يقوم فيه ، ولا ذكراً يفتخر به ، وأما أنت يا « **شريك** » فما تركت لكريم سماحة يُذْكَر بها فى الكرماء ، فلا أكون أنا الْأَم الثلاثة ، قد رفعت يوم بؤسي عن الناس ونقضت عادتى كرامة لوفاء الطائى وكرم « **شريك** » فقال الطائى :

وَلَقَدْ دَعَتْنِى لِلْخِلَافِ عَشِيرَتِى ... فَعَدَدْتُ قَوْلَهُمُو من الأضلال[١٤١]
إنّى آمْرؤ مِنّى الوفاء سَجِيَّةٌ ... وفِعال كُلّ مُهَذَّب مِفْضالِ[١٤٢]

جرأة العلماء على الأمراء

حُكى أن « **هشام بن عبد الملك** » قدم حاجاً إلى بيت الله الحرام ، فلما دخل الحرم قال : ائتونى برجل من الصحابة ، فقيل : يا أمير المؤمنين ماتوا قال : فمن التابعين ، فأتى بطا وس[١٤٣] اليمانى ، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية[١٤٤] بساطه ولم يسلم بيا أمير المؤمنين ، ولم يكنّه[١٤٥] وجلس إلى جانبه بغير إذنه : وقال : كيف أنت يا « **هشام** » ؟ فغضب من ذلك غضباً شديداً حتى همَّ بقتله ، فقيل له : أنت يا أمير المؤمنين فى حرم الله وحرم رسول الله ﷺ لا يكون ذلك ، فقال : يا « **طا وس** » ما حملك على ما صنعت ؟ قال : وما صنعت ؟ قال : خلعت نعليك بحاشية بساطى ، ولم تسلم بيا أمير المؤمنين ، ولم تكنّنى ، وجلست بإزائى بغير إذْن ، وقلت : يا « **هشام** » كيف أنت ؟ فقال « **طا وس** » :

---

(١٤١) الخلاف : التخلف عن الوفاء بالعهد ، وعدم العودة إلى النقصان

(١٤٢) سجية : طبيعة وخلق ثابت لايتخلف وهكذا كل مهذب مفضال .

(١٤٣) « طاوس اليمانى » من كبار فقهاء التابعين — رضى الله عنهم —

(١٤٤) الحاشية : الطرف والجانب .

(١٤٥) من التقاليد المرعية أن لاينادى السلطان باسمه بل بيا أمير المؤمنين ، أو يا أبا فلان « كنيته » ، لكنه هنا دخل وقال : السلام عليك ياهشام .

أما خلع نعليَّ بحاشية بساطك فإني أخلعها بين يدى رب العزة فى كل يوم خمس مرات ولا يعاتبنى ولا يغضب عليَّ .

وأما قولك لم تسلم على بإمرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضياً بإمرتك فخفت أن أكون كاذباً .

وأما قولك لم تكنِّنى فإن الله عز وجل سمى أنبياءه فقال : يا « **داود** » يا « **يحيى** » يا « **عيسى** » ، وكنَّى أعداءه فقال : ﴿**تبت يدا أبى لهب**﴾[146] .

وأما قولك جلست بإزائى فإنى سمعت « **على بن أبى طالب** » يقول : إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام ، فقال له : عِظْنِى ، فقال : سمعت « **على بن أبى طالب** » رضى الله عنه يقول : إن فى جهنم حيات وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لم يعدل فى رعيته !

حسن الاستعطاف

أصاب الناس مجاعة على عهد « **هشام بن عبد الملك** » فدخل عليه « **درواس بن حبيب العجلى** » مع جماعة من قومه فقال : ياأمير المؤمنين تتابعت علينا وعلى الناس سنون ثلاث ، أما الأولى : فأكلت اللحم ، وأما الثانية فأذابت الشحم ، وأما الثالثة فَمَصَّت العظم ، وفى أيديكم فضول[147] أموال ، فإن تكن لله فاعطفوا بها على عباده ، وإن تكن لهم فعلام تحبسونها عنهم وتنفقونها إسرافاً وبِدَاراً والله لا يحب المسرفين ؟ وإن تكن لكم فتصدقوا بها عليهم إن الله يجزى المتصدقين ولا يُضيع أجر المحسنين ، فقال « **هشام** » : لله أبوك[148] ماتركت لنا واحدة من ثلاث ، وأمر بمائة ألف فقسمت فى الناس ، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم ، فقال : يا أمير المؤمنين لكل واحد من المسلمين مثلها ؟ قال : لا ولا يقوم بذلك بيت المال ، قال : فلا حاجة لى بما يبعث على ذمِّك ، فألزمه « **هشام** » بها ، فلما عاد إلى منزله قسَّم تسعين ألفاً فى أحياء العرب وحبس عشرة آلاف له

---

(١٤٦) سورة « المسد » . بعض الآية الأولى .

(١٤٧) فضول جمع فضل . والفضل ماكان فاضلا وزائد عن الحاجة .

(١٤٨) لله أبوك ! أسلوب من أساليب التعجب وهو هنا يتعجب من حسن بيانه ، مما يجعله فريدا بين الناس .

ولقومه ، فبلغ ذلك «**هشاماً**» فقال : لله دَرُّه[149] إن الصنيعة عند مثله تبعث على مكارم الأخلاق ..؟

دعني أطلبه ممن هو عنده !

استولى «**الإسكندر**» على مدينة قد تَمَلَّكها سبعةُ ملوك قد هلكوا جميعاً ، فقال : هل بقى من نسلهم أحد ؟ قالوا : نعم رجل يسكن المقابر ، فدعاه فقال له : ما دعاك إلى لزوم المقابر ؟ قال : أردت أن أميز عظام الملوك من عظام العبيد فوجدتها سواء ، فقال له : هل تتبعني فأحيي شرفك وشرف آبائك إن كان لك همة ؟! قال : همتي عظيمة ، قال : ما هي ؟ قال : حياة لا موتَ معها ، وشباب لا هرم بعده ، وغنى لا فقر معه ، وصحة من غير سقم ، وسرور من غير مكروه ، قال : هذا ما لا تجده عندى ، فقال : دعني أطلبه ممن هو عنده ، وبقى بالمقابر حتى لحق بأهله ..

كيف لو نظر الخالق إلينا ؟!

روى أن «**حاتم**» الأصم قال لأولاده : إني أريد الحج ، فبكوا وقالوا : إلى من تكلنا ؟ وكان له بنت فقالت : دعوه يذهب فليس برزّاق ، فخرج فباتوا جياعاً فجعلوا يوبخون تلك البنت فقالت : اللهم لا تُخْجِلْني بينهم ، فمر بهم أمير البلد فقال لبعض أصحابه : اطلب لى ماءً ، فناوله أهل «**حاتم**» كوزاً جديداً وماء بارداً فشرب فقال : دار من هذه ؟ فقالوا : دار «**حاتم الأصم**» فرمى فيها منطقة من ذهب وقال : من أحبني وافقني فرمى العسكر كلهم ، فجعلت البنت تبكي ، فقالت أمها : ما يبكيك وقد وَسَّعَ الله علينا ؟ فقالت : لأن مخلوقاً نظر إلينا فاستغنينا فكيف لو نظر الخالق إلينا !!.

---

(١٤٩) لله دَره ! أسلوب آخر من أساليب التعجب والدر : اللبن . والمقصود بهذا التعبير : لله ماخرج منه من خير !

إياك أن أسبقك إلى هذا الفضل !

جرى بين «**الحسين بن علي**» وبين أخيه «**محمد بن الحنفية**» رضى الله تعالى عنهما كلام وافترقا متغاضبين ، فكتب «**ابن الحَنفيَّة**» إلى «**الحسين**» بعد البسملة : من «**محمد بن على**» إلى أخيه «**الحسين**» .. أما بعد .. فإن لك شرفاً لا أبلغه ، وفضلاً لا أدركه ، فإن أمى امرأة من «**بنى حنيفة**» وأمك «**فاطمة**» بنت رسول الله ﷺ ، ولو كان ملء الأرض نساء مثل أمى ما وفين بأمك ، فإذا قرأت رقعتِى هذه فالبس رداءك وسر إليَّ لترضيَنى ، وإياك أن أسبقَك إلى هذا الفضل الذى أنت أولى به منى والسلام .

يوم الأذان

أتى «**سليمان بن عبد الملك**» برجل جنى جناية يجب فيها التعزير(١٥٠) لا غير ، فأمر بقتله ، فقال : ياأمير المؤمنين اذكر يوم الأذان ؟ قال : ومايوم الأذان ؟ قال : اليوم الذى قال الله تعالى فيه : ﴿**فَأَذن مؤذن بَيْنَهُم أن لَعْنَةُ الله على الظَّالِمِينَ**﴾(١٥١) فبكى «**سليمان**» وأمر بإطلاقه .

قُرْص بألف دينار

حصل فى زمن «**المستنصر(١٥٢) بالله**» غلاء شديد أفسد على الناس عيشهم ، وقد بلغ أمره أن امرأة من أرباب البيوتات(١٥٣) أخذت عقداً لها قيمته ألف دينار ، وعرضته على جماعة فى أن يعطوها به دقيقاً ، وكلٌّ يعتذر إليها ويدفعها عن نفسه إلى أن رحمها بعض الناس وباعها به دقيقاً لا يكاد يذكر بجانب هذا العقد ، فلما

---

(١٥٠) التعزير فى الشريعة : العقوبة التى لاتبلغ الحدّ .

(١٥١) سورة «**الأعراف**» الآية (٤٤) .

(١٥٢) «**المستنصر الفاطمى**» : [مَعَدُّ بن على]

(١٥٣) من بيوت الشرف .

أخذته أعطت بعضه لمن يحميها من النهّابة[١٥٤] فى الطريق ، فلما تسلمته من الحُماةِ تكاثر النّاس عليها ، وانتهبوه منها ولم تأخذ إلا ملء يديها ، ثم عجنته وسوته على النار حتى صار قرصا ثم أخذته ووقفت على مكان مرتفع ورفعت القرص على يدها بحيث يراها الناس ونادت بأعلى صوتها : يأهل «**القاهرة**» ادعوا لمولانا «**المستنصر**» الذى أسعد الله الناس بأيامه ، وأعاد عليهم بركات حسن نظره حتى تقوَّمَ عليَّ هذا القرص بألف دينار[١٥٥] ، فلما علم «**المستنصر**» بذلك أحضر الوالى وتوعده وهدده وأقسم بالله إن لم يظهر الخبز فى الأسواق وينحل السعر ، وإلا ضرب رقبته ، وصادر أمواله . فخرج من بين يديه وأمر بإحضار التجار فدخل عليه واحد منهم فى حالة يسر ورخاء حتى إذا مثل بين يديه قال له : ويلك أما كفاك أنك خنت السلطان واستوليت على مال الديوان إلى أن أخربت الأعمال ومحقت الغلال ، فأدى ذلك إلى اختلال الدولة وهلاك الرعية ، ثم أمر بضرب عنقه فضربت . ثم أمر بإحضار آخر منهم ففعل به مثل ما فعل بالأول ثم أمر بثالث فقام إليه التجار ، وقالوا : أيها الأمير فى بعض ما جرى الكفاية ، وأخرجوا الأقوات للناس .

عبـــرة

كانت «**الخيزران**» زوج الخليفة «**المهدى**» فى مجلسها ذات يوم ومعها «**زينب بنت سليمان بن علي**» فدخلت إحدى جواريها تستأذن لامرأة ذات جمال وبؤس بالباب ، فاستشارت «**الخيزران**» «**زينب**» فأشارت قائلة : لابد من فائدة أو ثواب ..

فدخلت امرأة رائعة الجمال فى أسمال بالية[١٥٦] لا تكاد تستر من جسدها شيئاً ، فوقفت مسلّمة ثم قالت : أنا «**مزنة بنت مروان بن محمد الأموى**» فانتفضت «**الخيزران**» وصاحت لا حياك الله !: أتذكرين ياعدوة الله حين أتاك عجائز

---

(١٥٤) قطاع الطريق الذين يسلبون وينهبون .
(١٥٥) كلفنى ماقيمته ألف دينار !
(١٥٦) أسمال بالية : السمل : الثوب الخلق القديم الممزق والجمع أسمال .

البيت الهاشمى يسألنك أن تكلمى زوجك ليأذن فى دفن **«إبراهيم بن محمد»** فوثبت عليهن وأسْمعتهن مالا سَمِعْن من قبل ؟ وأمرت فَأُخرجْن على تلك الحالة !

فضحكت **«مزنة»** قائلة : يا بنت العم وهل أعجبك ما صار إليه حالى بسبب بَغْيى وعدوانى حتى أردت أن تتأسى[١٥٧] بى ؟! نعم إنى فعلت بنسائك ما قلت فأسلمنى الله لك ذليلة جائعة عريانة ، أو كان الذى فعلت بى مقدار شكرك لله تعالى على ماأولاك ؟! وولت مسرعة فصاحت بها **«الخيزران»** فرجعت ، فأمرت **«الخيزران»** جواريها فأدخلنها الحمام وألبسنها أجمل الثياب وضمَّختها بالعطر[١٥٨] ثم عانقتها وأسكنتها فى مقصورة من مقاصيرها ، وبعثت إليها بكل حاجتها .

يسمع لمن سمع الله قولها

خرج **«الفاروق»** رضى الله عنه ومعه **«المُعَلَّى بن الجارود»** فنادته امرأة من قريش فوقف لها فقالت له : يا **«عمر»** كنا نعرفك مُدةً عُمَيْراً ، ثم صرت من بعد عُمَيْرٍ عُمَر، ثم صرت من بعد عُمَرَ أمير المؤمنين، فاتق الله يا **«بن الخطاب»** وانظر فى أمور الناس فإنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشى الْفَوْت ، فقال **«المعلى»** : إيهاً يا أَمَةَ الله[١٥٩] فقد أبكيت أمير المؤمنين فقال **«عمر»** : **اسكت أتدرى من هذه ؟ هذه «خولة بنت ثعلبة» التى سمع الله** قولها .. فعمر أحرى أن يسمع قولها ويقتدى به .. يشير رضى الله عنه إلى قوله تعالى : **﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إِلَى اللهِ ، واللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾**[١٦٠] الآيات .

---

(١٥٧) تفعل مثلى وتقتدى بى .
(١٥٨) ضَمَّخ جسده بالطيب والعطر لطخه به ورشه عليه .
(١٥٩) أيها يا أمة الله : كُفى عن الحديث .
(١٦٠) سورة «المجادلة» الآية (١) . والمجادلة هى «خوْلة بنت ثعلبة» ـــ رضى الله عنها ـــ

متاع قليل من حبيب مفارق

كان «**الحسن بن على**» رضى الله عنهما مِطْلاقا[١٦١] ومِنْكاحا ، فوجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وأمره أن يدفع إلى كل منهما عشرة آلاف درهم ، فلما رجع إليه قال : أما إحداهما فنكست رأسها ، وأما الأخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول : متاع قليل من حبيب مفارق ، فأطرق «**الحسن**» وترَحَّمَ لها وقال : لو راجعتُ امرأة بعد فراقِها لراجعتها ..

وكان أبوه رضى الله عنه يضجر من كثرة تطليقه حتى قال ذات يوم على المنبر : إن «**حَسناً**» مِطْلاق فلا تُزَوِّجُوه ، فقام رجل من «**همدَان**» فقال : والله ياأمير المؤمنين لَنُنْكِحَنَّه ما شاء ، فإن أحب أمسك ، وإن شاء ترك ، فَسَرَّ ذلك «**عليًّا**» وقال :

وَلَوْ كُنْتُ بَوَّاباً على باب جَنَّةٍ ... لقُلْتُ لِهَمْدَان آدْخُلوا بسلام

الله عند لسان «عمر»

كان اسم امرأةِ «**عمر**» رضى الله عنه «**عاصية**» فغير اسمها إلى «**جميلة**» فغضبت من هذا التغيير وقالت : سميتنى باسم الإماء !! ثم ذهبت إلى النبى ﷺ فاختار لها ما اختاره «**عمر**» من قبل ، فعجبت وقصت عليه قصتها ، فقال : [**أوَ ما عَلِمْتَ أن الله عز وجل عِنْد لسان عُمَرَ وقَلْبه؟ ..**][١٦٢] .

تحريم المتعة

أراد «**المأمون**» أن يعلن يوماً حِلَّ المُتْعَةِ[١٦٣] فدخل عليه القاضى «**يحيى بن**

---

(١٦١) كثير الطلاق ، وكثير الزواج .

(١٦٢) وفى حديث آخر : «**جعل الله الحق على لسان «عمر» وقلبه**» وفى مآثر «**عمر**» ـــ رضى الله عنه ـــ أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ .

(١٦٣) نكاح المتعة : كان معروفاً على عهد رسول الله ﷺ ، أحله ثم حرَّمه ، وقد تشدد فيه أمير المؤمنين «**عمر بن الخطاب**» ـــ رضى الله عنه ـــ فى عهده .

أكثم التيمى » وهو متغير فسأله « المأمون » عن سبب تغيره فقال : غم يا أمير المؤمنين لما حدث فى الإسلام وهو النداء بتحليل الزنا ، قال : الزنا ؟ قال : نعم . الْمُتْعَةُ الزنا . قال : من أين لك هذا ؟ قال : من كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِم حافِظُون إلَّا على أَزْواجِهِم أو ماملَكَتْ أيْمَانُهُم فإِنَّهُم غَيْر مَلُومِين فَمَنِ ابْتَغَى وراءَ ذلك فأُولَئِكَ هُم العَادُونَ﴾[١٦٤] . يا أمير المؤمنين زوجة المتعة مِلْك اليمين ؟ قال : لا ، قال : فهى الزوجة التى عند الله ترث وتورث ولها شرائطها ؟ قال : لا . قال : فقد صار من يتجاوز هذين من العادين ـــ وهذا « الزهرى » يا أمير المؤمنين روى عن « عبد الله وَالحسن ابْنَيْ محمد بن الحنفية » عن أبيهما عن « علي بن أبي طالب » قال : [أمرَني رسول الله ﷺ أن أنادي بالنَّهْيِ عن المتعة وتحريمها بعد أن كان قد أمر بها][١٦٥] ـــ فسأل « المأمون » : عن حديث الزهرى أهو محفوظ ؟ فعلم أنه رواه مالك فقال المأمون : أستغفر الله ، وأمر فَنُودِيَ بِتَحْرِيم الْمُتْعَة .

عاقبة البخل

دخل « الحسن البصرى » رضى الله عنه على رجل يعوده فى مرض موته ، فرآه يصعِّد بصره ويصوِّبه إلى صندوق فى زاوية من بيته ، ثم التفت إلى « الحسن » وقال : « يا أبا سعيد ماتقول فى مائة ألف فى هذا الصندوق لم أفرد منها زكاة ولم أصِلْ منها رحما ؟ » قال : ثكلتك أمك ولمن كنت تجمعها ؟ قال : لروعة الزمان ، وجفوة السلطان ومكاثرة العشيرة[١٦٦] ، ثم مات فشهد « الحسن » جنازته ، فلما فرغ من دفنه ضرب بيده على القبر ثم قال : « انظروا إلى هذا ، أتاه شيطانه فخوفه روعةَ زمانِه وجفوةَ سلطانه بما استودعه إياه ، انظروا إليه كيف خرج منها مذموماً مدحوراً[١٦٧] »؟ ثم التفت إلى وارثِهِ

(١٦٤) سورة « المؤمنون » الآية (٥) .

(١٦٥) رواه البخارى فى المغازى ٣٨ ، والذبائح ٢٨ ، والنكاح ٣١ . ومسلم فى النكاح .

(١٦٦) المكاثرة : المفاخرة بكثرة مايملك ، وفى القرآن ﴿ألهاكم التكاثر﴾ .

(١٦٧) اقتباس من الآية الكريمة : ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً﴾ الإسراء : ١٨ ، ويقول الإمام الطبرى : مدحوراً : مُبْعَداً مُقْصى فى النار .

وقال : «أيها الوارث لأنخدعنّ كما خدع صويحبك[168] بالأمس ، أتاك هذا المال حلالا فلا يكون عليك وبالا ، أتاك عفواً[169] صفواً ممن كان جَمُوعاً[170] منوعا ، من باطل جمعه ومن حق منعه ، قطع فيه لجج البحار ومفاوز القفار ، لم تكدح لك فيه يمين ولم يعرق لك فيه جبين ، إن يوم القيامة ذو حسرات وإن من أعظم الحسرات غداً أن ترى مالك فى ميزان غيرك فيالها من حسرة لاتُقال وتوبة لاتنال .

لمن نرفع حاجتنا ؟!

جاء رجل إلى «الحسين بن على» رضى الله عنه يريد أن يسأله حاجة فقال : ياأخا الأنصار صُنْ وجهك عن ذلة المسألة[171] وارفع إلىّ حاجتك فى رقعة[172] فإنى آت فيها بما هو سارُّك إن شاء الله تعالى . فكتب : ياأبا عبد الله إن لفلان علىّ خمسمائة دينار وقد ألح بى فَكَلِّمْهُ فى أن يُنْظِرَنى إلى ميسرة[173] ، فلما قرأ «الحسين» الرقعة دخل إلى منزله فأخرج صرة فيها ألف دينار وقال : أما الخمسمائة فاقض بها دينك ، وأما خمسمائة فاستعن بها على دهرك ، ولا ترفع حاجتك إلا إلى أحد ثلاثة : إلى ذى دِينٍ أو مروءة أو حَسَب[174] ، فأما ذو الدين فيصونه دينه ، وأما ذو المروءة فإنه يستحى لمروءته ، وأما ذو الحسب فيعلم أنك تكرم وجهك أن تبذله فى حاجتك ، فهو يصون وجهك أن يردَّك بغير قضاء حاجتك .

---

(١٦٨) تصغير صاحب .
(١٦٩) عفوا : دون سعى وتعب .
(١٧٠) جموعا منوعا : كثير الجمع ، وكثير المنع للخير وفى القرآن : ﴿وإذا مسه الخير منوعاً﴾ المعارج : ٢١ .
(١٧١) المسألة : سؤال الناس .
(١٧٢) رقعة : بطاقة .. ورقة .
(١٧٣) يُنظرنى : يؤجلنى وينتظر على حتى يسر الله لى .
(١٧٤) الحسب : الأصل الشريف .

هكذا كانوا يقدرون المعلمين !!

وأسلم رضى الله عنه ولده إلى معلمه «**أبى عبد الرحمن السلمى**» فعلمه الفاتحة فلما قرأها على أبيه أعطى معلمه ألف دينار وحشا فاهُ دُرّاً فقيل له فى ذلك ، فقال : وأين يقع هذا من عطائه (يعنى تعلمه) وأنشد رضى الله عنه :

إذا جادَتِ الدُّنيـــا علـــيك فَجُــــد بها
على النـــاس طُراً قبـــل أن تَتَفَـــلَّت
فلا الجودُ يُفْـــــنيها إذا هى أقْبـــلَتْ
ولا البُخْـــل يُبْـــقيها إذا ماتَـــوَلَّت

حوار بناء مع الخوارج !

قال «**عبد الله بن عباس**» رضى الله عنهما : لما اعتزلت الخوارج دخلوا دورهم بستة آلاف وأجمعوا على أن يخرجوا عَلى «**عَلِىّ بن أبى طالب**» فلما كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر فقلت له : ياأمير المؤمنين أبرِدْ(١٧٥) بالصلاة لَعَلِّى أدخل على هؤلاء القوم فأُكلمهم فقال : إنى أحلف عليك فقلت : كلا ، وكنت رجلا حسن الخلق لاأوذى أحداً ، فأذن لى فلبست حلة من أحسن مايكون من اليمن وترجَّلت(١٧٦) فدخلت عليهم نصف النهار . دخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً ، جباههم قَرِحَةٌ من السجود كأنها ثفن(١٧٧) الإبل ، وعليهم قُمُص مرحضة(١٧٨) ، مشمرين ، مسهمة وجوههم من السهر ، فسلمت عليهم فقالوا مرحبا بابن عباس ماجاء بك ؟ فقلت أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم ،

---

(١٧٥) الإبراد بالصلاة : تأخير صلاة الظهر قليلا حتى تميل الشمس عن استوائها العامودى :تجنبا لشدة الحر .
(١٧٦) ترجلت : سرحت شعرى . وقد يكون المراد : وسرت إليهم راجلا .
(١٧٧) جمع ثفنة ، وهى ركبة البعير ، أى خشنة مثلها .
(١٧٨)القُمُص : جمع قميص ـــ مرحضة : مغسولة .

فقالت طائفة منهم : لاتخاصموا ، فقال اثنان أو ثلاثة : لنكلمنه ، فقلت : هاتوا ما نقمتم على صِهْر رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار ، قالوا : ثلاثاً ، قلت : هاتوا ، قالوا : أما إحداهن فإنه حكَّم الرجال فى أمر الله وقد قال الله عز وجل : ﴿إن الحُكْم إلّا لله﴾[١٧٩] فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل ؟ قلت : هذه واحدة .

قالوا : وأما الثانية فإنه قاتل وقتل ، ولم يَسْبِ ولم يَغْنَم ، فإن كانوا مؤمنين فَلِمَ حَلّ لنا قتالُهم وقتلهم ولم يحل لنا سَبْيُهمْ ؟

قلتُ : وما الثالثة ؟ قالوا فإنه محا عن نفسه أمير المؤمنين[١٨٠] فإنه إذا لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأميرُ الكافرين ، قلت : هل عندكم غير هذا ؟ قالوا : كفانا هذا .

قلت لهم : أما قولكم حكَّم الرجال فى أمر الله أَقْرَأُ عليكم فى كتاب الله ماينقض هذا ، فإذا نقض قولَكُم أترجعون ؟

قالوا : نعم ، نعم . قلت : فإن الله قد صيَّر من حكمه إلى الرجال فى ربع درهم ثمن أرنب فقال تعالى : ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لاتقتلوا الصَّيْدَ وأنتم حُرُم ومن قَتَله منكم مُتَعَمِّداً فجزاءٌ مثْل ماقَتَل مِنَ النَّعم يَحْكُم به ذوا عَدْل مِنكُم هَدْياً بالغ الكَعبة أو كفارة طعام مساكِينَ أَوْ عدل ذلك صياماً لِيذُوقَ وَبالَ أمْرِهِ﴾[١٨١] وقال فى المرأة وزوجها : ﴿وإنْ خِفْتُم شِقَاقَ بَيْنهما فَابْعَثوا حكَماً من أهْلِهِ وحَكَماً من أَهْلها إنْ يُرِيدا إصْلاحاً يُوَفِّق الله بَيْنَهما﴾[١٨٢] فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال فى إصلاح ذات بينهم وفى حَقْن

---

(١٧٩) بعض الآية ٥٧ من سورة الأنعام و٤٠ ، ٦٧ من سورة يوسف .

(١٨٠) وسبب ذلك أنه لما رضى بالتحكيم بينه وبين معاوية اعتبروا ذلك تنصلا من الإمارة التى قاتل عليها معاوية .

(١٨١) سورة «المائدة» الآية (٩٥) .

(١٨٢) سورة «النساء» الآية (٣٥) .

دمائهم أفضل أم حكمهم فى أرنب وبُضْع[١٨٣] امرأة فأيهما ترون أفضل ؟ قالوا : بل هذه ، قلت : خرجت من هذه ؟ قالوا : نعم .

قلت : وأما قولكم : قاتَلَ ولم يَسْبِ ولم يغنم ، فَتَسْبُون أمكم عائشة رضى الله عنها[١٨٤] فو الله لئن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام ، ووالله لئن قلتم لَنَسْبِيَنّها ونستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الإسلام فأنتم بين ضلالتين لأن الله عز وجل قال : ﴿**النبيُّ أَولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجُه أمَّهاتُهم**﴾[١٨٥] أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم ، قلت : وأما قولكم : محا عن نفسه أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن تَرْضَوْن . إن النبى ﷺ يوم «**الحديبية**» صالح المشركين «**أبا سفيان بن حرب**» و«**سهيل بن عمرو**» فقال لعلىّ رضى الله عنه : «**اكتب لهم كتابا**» فكتب لهم علىّ : هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله ، فقال المشركون : والله ما نعلم أنك رسول الله ، لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلنا ، فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم إنك تعلم أنى رسول الله . امحُ يا «على» واكتب : هذا مااصطلح عَلَيْه محمد بن عبد الله**» فو الله لرسولُ الله ﷺ خير من «على» وقد محا الرسالة عن نفسه ، قال : فرجع منهم ألفان ، وخرج سائرهم فَقُتِلوا[١٨٦] .

أين فى العلم إفساد ماينتفع به ؟

قال « ابن الجوزى » فى كتابه« تلبيس إبليس » :

كان فى الصوفية من إذا لبس ثوبا خرق بعضه وربما أفسد الثوب الرفيع القَدْر ؛ ثم قال : أخبرنا « أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز أخبرنا » أبو بكر أحمد بن على بن ثابت أخبرنا الحسن بن غالب المقرىء قال : سمعت

---

(١٨٣) البضع يطلق على الفرج والجماع ويطلق على التزوّج كالنكاح يطلق على العقد والجماع .

(١٨٤) كانت عائشة فيمن قاتل عليا ــ رضى الله عنهما ــ .

(١٨٥) سورة «الأحزاب» الآية (٦) .

(١٨٦) خرجوا لقتاله خارجين على أمره بعدما تبين لهم الحق !

« عيسى بن على » الوزير يقول : كان « ابن مجاهد » يوما عند أبى فقيل له : « الشّبلىُّ »[187] فقال : يدخل ، فقال « ابن مجاهد » : سأسكته الساعة بين يديك ، وكان من عادة « الشّبلى » إذا لبس شيئا خرق فيه موضعاً فلما جلس قال له « ابن مجاهد » : يا« أبا بكر » أين فى العلم إفساد ماينْتَفَعُ به ؟[188] فقال « الشبلى » : ﴿فَطَفِقَ مَسْحا بالسوقِ والأعْناق﴾[189] فسكت « ابن مجاهد » فقال له أبى : أردت أن تسكته فأسكتك ثم قال الشبلى قد أجمع الناس أنك مقرىء الوقت ، فأين فى القرآن أن الحبيب لايعذِّب حبيبَه ؟ فسكت « ابن مجاهد » فقال أبى : قل يا« أبا بكر » (يعنى الشّبْلى) فقال قوله تعالى : ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قُلْ فَلم يُعَذِّبكم﴾[190] قال « ابن مجاهد » : كأننى ماسمعتها قط . ا هـ .

قال « ابن الجوزى » : قلت هذه الحكاية أنا مرتاب فى صحتها لأن « الحسن بن غالب » كان لايوثق به ؛ أخبرنا « القزاز » أخبرنا « أبو بكر الخطيب » قال : ادعى « الحسن بن غالب » أشياء تبين لنا فيها كذبه واختلاقه فإن كانت صحيحة فقد أبانت عن قلة فهم « الشبلى » حين احتج بهذه الآية وقلة فهم « ابن مجاهد » حين سكت عن جوابه ، وذلك أن قوله تعالى : ﴿فَطَفِقَ مَسْحاً بالسوقِ والأعْناق﴾ لايجوز أن ينسب إلى نبى معصوم أنه فعل الفساد ، والمفسرون قد اختلفوا فى معنى الآية ، فمنهم من قال مسح على أعناقها وسوقها وقال : أنْتِ فى سبيلِ الله ، فهذا إصلاح ، ومنهم مَن قال : عَقَرَها ، وذَبْح الخيل وأكل لحمها جائز ، فما فعل شيئا فيه جُناح فأما إفْساد ثوب صحيح فإنه لايجوز ، ومن الجائز أن يكون فى شريعة « سليمان »

---

(١٨٧) الشبلىّ بالباب يستأذن .

(١٨٨) وفى هذا التساؤل تعريض بالشبلى الذى لايترك الجديد على جدته بل يخرقه .

(١٨٩) سورة «ص» الآية (٣٣) ويقول الطبرى فى تفسير المراد بهذه الآية ماخلاصته : عندما شغل حب الخيل داود عن صلاة العصر حتى توارت الشمس فى مغيبها طلب إعادة عرض الخيل عليه فجعل يمسح منها السوق وهى جمع الساق والأعناق ..ضرب أعناقها وكف عراقيبها ولابن الجوزى تعليق يريح النفس !

(١٩٠) المائدة : ١٨

جواز مافعل ، ولايكون فى شرعنا . ا هـ

فضل « على » كرم الله وجهه

عن « أنس » رضى الله عنه : [بينما النبى ﷺ فى مجلس إذ أقبل « على » رضى الله عنه فسلم ثم وقف ، فنظر النبى ﷺ فى وجوه الصحابة أيهم يفسح له ، وكان « أبو بكر » رضى الله عنه عن يمين رسول الله ﷺ فتزحزح له عن مجلسه ، وقال : ههنا يا « أبا الحسن » فجلس بين النبى ﷺ وبين « أبى بكر » فَعُرِفَ الْبِشْر فى وجه رسول الله ﷺ وقال : يا « أبا بكر » إنما يعرف الفضل من الناس ذو الْفَضْلِ »] .

وصية أعرابية لابنها

قال « أبان بن تغلب » : شهدت أعرابية توصى ولدا لها يريد سفرا وتقول له : أى بُنَىّ اجلس أمنحك وصيتى وبالله توفيقك ، فإن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك ، ثم قالت :

إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين ، وإياك والتعرض للعيوب فَتتخذَ غرضا ، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام ، وقلَّما اعتورت السهام غرضا إلا كلمته(١٩١) حتى يهى(١٩٢) مااشتد من قوته .

وإياك والجود بدينك والبخل بمالك ، وإذا هززت فاهزز كريما يلين لهزتك ، ولا تهز اللئيم ، فإنه صخرة لاينفجر ماؤها ، ومثل لنفسك مثال مااستحسنت من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فإن المرء لايرى عيب نفسه ، ومن كانت مودته بشره وخالف ذلك منه فعله كان

---

(١٩١) كَلَمَتْهُ : جَرَحَتْهُ .

(١٩٢) يهى : يَضْعُف .

صديقه منه على مثل الريح فى تصرفها ، والغدر أقبح ماتعامل به الناس بينهم ، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلّة ريطتها وَسِرْ بالها(١٩٣) ..

مروءة وذكاء

لما حج « المنصور » عرض عليه جوهر ثمين نفيس له قيمته فعرفه وقال : هذا كان لهشام بن عبد الملك بن مروان فانتقل إلى ابنه « محمد بن هشام » ومابقى من بنى أمية غيره ، ولابُدّلى منه ، ثم التفت إلى حاجبه « الربيع » وقال : إذا صليت بالناس غداً فى المسجد الحرام واجتمع الناس كلهم فأغلق الأبواب كلها ووكل بها جماعة من الثقات وافتح بابا واحدا وَقِفْ عليه ولاتخرج أحداً حتى تعرفه ، فإذا ظفرت بمحمد بن هشام فَأْت بِهِ ..

فلما كان الغد فعل «الربيع» مأمره به «المنصور» وكان «محمد بن هشام» فى المسجد فعرف أنه المطلوب وأيقن أنه مأخوذ مقتول فتحير وارتاب واضطرب ، فبينما هو على تلك الحال إذ أقبل «محمد بن زيد بن على بن الحسين» فرآه متحيرا ــ وكان لايعرفه ــ فتقدم إليه وقال : ياهذا مابالك ؟ فقال : لاشيء ، فقال : خبرنى ولك الأمان إن شاء الله على نفسك ، قال «محمد بن هشام» : فمن أنت ؟ قال : أنا «محمد بن زيد بن على بن الحسين» فزاد خوفه وطار عقله وتحقق الموت ، فقال له : لاتجزع فلست قاتل أبى ولاجَدى وليس لى عليك ثأر ، وأنا أجتهد فى خلاصك إن شاء الله ، ولكن تعذرنى فيما أنا صانع بك من مكروه وقبيح خطاب فقال له : افعل ماشئت ، فطرح رداءه على وجهه وغطى به رأسه وجذبه وسحبه إلى أن قرب من «الربيع» حاجب «المنصور» وهو على الباب ، فلما وقعت عين «الربيع» عليهما لطمه «محمد بن زيد» لطماتٍ على رأسه وجاء به إلى «الربيع» وقال : يا«أبا الفضل» إن هذا الخبيث جَمّال من أهل الكوفة أكرانى جمالاً فلما دفعت

(١٩٣) الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسيجا واحداً والسربال القميص والمراد أنه قد تحلى بأحسن الصفات ذلك الذى جمع بين الحلم والسخاء .

له الكراء هرب منى وذهب ، فأكرى جماله لبعض أهل «خراسان» ، ولى عليه شهود ، وأريد منك من يوصله معى إلى القاضى ويُمسك جماله عن الذهاب مع الخرسانيين ، فدفع إليه اثنين ليوصلاه إلى القاضى، و«محمد» قابض على الرداء وقد استتر وجهه به ، فخرجوا جميعا من المسجد ، فلما بعدوا عن «الربيع» قال له «محمد» : اذهب إلى حال سبيلك فقبل «محمد ابن هشام» يده ورأسه وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته، ثم خرج له جواهر قيمتها عظيمة وقال : بالله يابْنَ بنت رسول الله شرفنى بقبول هذا ، فقال له : اذهب بمتاعك فنحن أهل بيت لانقبل على اصطناع المعروف مكافأة ، واحترس على نفسك من هذا الرجل إلى أن تخرج فإنه مُجِد فى طلبك .

دستور «عمر بن عبد العزيز»

لما تمت البيعة لعمر بن عبد العزيز وذلك سنة ٩٩ هجرية خطب فى الرعية خطبة منها :

« أيها الناس إنه لاكتاب بعد القرآن ، ولانبى بعد محمد ، ألا وإنى لست بقاض ولكني منفذ ، ولست بمبتدع ولكنى متبع ، ولست بخير من أحدكم ولكنى أثْقَلُكُم حِمْلا ، ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . هذا هو دستور «عمر» الذى سار عليه فى خلافته فسجل له التاريخ عهداً يحاكى عهد جده لأمه «عمر بن الخطاب» .

مايجب فى صحبة الأمراء

قال : «**عمر بن عبد العزيز**» رضى الله عنه : إن قوما صحبوا الملك بغير ما يحق لله عليهم ــ أكلوا بخلاقهم ، وعاشوا بألسنتهم ، وحلفوا الأمة بالمكروه والخديعة والخيانة ، كل ذلك فى النار ، ألا فلا يصحبنا من أولئك أحد ، فمن صحبنا بخمس خصال ــ فأبلغنا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، ودلنا على مالا نهتدى إليه من العدل ، وأعاننا على الخير ، وسكت عما لا يعنيه ، وأدى الأمانة التى احتملها من عامة المسلمين فحى هَلْ(١٩٤) .

---

(١٩٤) حى هَلا ، وهَيْهَلْ اسم فعل بمعنى أقبل وعجل . وحَىّ هَلْ بفلان : آدْعُهُ .

صلاحُ الراعى والرعية

قال بعض الحكماء : لا يصلح الأمير إلا بالتقوى ، ولا يقيمه إلا الطاعة ، ولا تصلح الرعية إلا بالعدل ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس مروءة وعقلا من ظلم من هو دونه .

الإخلاص لله والثّناء عليه

هو أن تعلم أن الله تعالى واحد لاشريك له ، فرد لامثيل له ،صمدلاند له ، أزلى قائم ، أبدى دائم ، لاأول لوجوده ولا آخر لأبديته . قيوم لايفنيه الأبد ولايغيره الأمد . بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن منزه عن الجسمية ، ليس كمثله شيء وهو فوق كل شيء ، فوقيته لاتزيده بعداً عن عباده . وهو أقرب إلى العبيد من حبل الوريد . وهو على كل شيء شهيد ، وهو معكم أينما كنتم . لايشابه قربه قرب الأجسام ، كما لاتشابه ذاته ذوات الأجرام(١٩٥) ، منزه عن أن يحده زمان ، مقدس عن أن يحيط به مكان ، تراه أبصار الأبرار فى دار القرار على مادلت عليه الآيات والأخبار حى قادر جبار ، قاهر لايعتريه عجز ولاقصور ، ولا تأخذه سنة ولانوم ، له الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لاتحصى مقدوراته ، ولاتتناهى معلوماته ، عالم بجميع المعلومات لايعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ، ولا فى السموات ، يعلم السر وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر ، مريد للكائنات مدبر للحادثات ، لايجرى فى ملكه قليل ولاكثير ولاجليل ولاحقير — خير أو شر ، نفع أو ضر ، إلا بقضائه وقدرِهِ ، وحكمه ومشيئته ، فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن فهو المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، لامعقب لحكمه ولاراد لقضائه ، ولامهرب لعبد من معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ، ولاقوة له على طاعته إلا بمحبته وإرادته لو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته لعجزوا ، سميع بصير متكلم بكلام لايشبهه كلام خلقه ، وكل

---

(١٩٥) الأجرام : جمع جرم : الجسم .

ماسواه سبحانه وتعالى فهو حادث ، أوجده بقدرته ، وما من حركه وسكون إلا وله فى ذلك حكمة دالة على وحدانيته قال تعالى : ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾[196]

وقال أبو العتاهية :

فيا عجباً كيف يُعصى الـ ... إلهُ أم كيف يجحدهُ الجاحدُ
وفى كلِّ شيء لهُ آيـة ... تدُلُّ على أنَّـهُ الواحدُ
ولِلّهِ فى كُلِّ تحريكـة ... وتَسْكِينةٍ فى الورى شاهِدُ

وقال «على» كرم الله وجهه ــ فى وصيته لبعض ولده ــ : يابنى إنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد لايضاده فى ملكه أحد . وقال ﷺ : «**مايتصور فى الأذهان فالله سبحانه بخلافه**» .

فى الله أيضاً !!

وقال «لبيد بن ربيعه» :

ألا كُلُّ شَىْءٍ ماخـلا الله باطِـلُ ... وَكُـلُّ نعيـم لامَحالَـةَ زائِـلُ
وكل ابن أُنثى لَوْ تطاوَلَ عُمْـره ... إلى الغاية الْقُصْوى فَلِلْقَبْر آيـلُ
وكُـلُّ أُناسٍ سَوْف تَدْخلُ بَيْنَهُم ... دويهيـةٌ تصفـرُّ[197] منها الأنامِـلُ
وكل امرىءٍ يَوْمـا سَيَعْرِفُ سَعْيَهُ ... إذا حَصلَتْ عِنْد الإلـهِ الحصائِلُ

الإقرار برسالة «محمد» ﷺ

ثم بعد ذلك الاعتقاد لابد فى الإقرار بالشهادة بأن سيدنا «محمداً» ﷺ بعثه ربه إلى الخلائق كافةً وجعله سيد البشر والشفيع المشفع فى المحشر،

---

(١٩٦) سورة «آل عمران» الآية (١٩٠) .

(١٩٧) دويهية : تصغير داهية والمراد بها الموت .

وأوجب على الخلق تصديقه فيما أخبر . فلا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بكل ماجاء به فى أمور الدنيا والدين ، فيؤمن بسؤال منكر ونكير ، وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد فى قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان له : من ربك ؟ ومادينك ؟ ومن نبيك ؟؟ ويؤمن بعذاب القبر وأنه حق وأن الميزان حق والصراط حق والحساب حق وأن الجنة حق ، وأن الله تعالى يدخل الجنة من يشاء بغير حساب وهم المقربون ، وأنه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لايبقى فى جهنم من فى قلبه ذرة من الإيمان ، ويؤمن بشفاعة الأنبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء ، وأن يعتقد فضل الصحابة رضى الله عنهم ويحسن الظن بجميعهم على ماوردت به الأخبار وشهدت به الآثار ، فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا به فهو من أهل الحق والسنة مفارق لعصابة الضلال والبدعة ، رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا للدوام إلى الممات على التمسك والاعتصام بحبلها إنه سميع مجيب . فهذه العقيدة قد اشتملت على أحد أركان الإسلام الخمسة ، قال رسول الله ﷺ : «**بُنِىَ الإسْلام على خمْس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؛ وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا**»(١٩٨) .

كيف تكون مسلماً ؟

قال الحسن رضى الله عنه :
يا ابن آدم ، كيف تكون مسلماً ، ولم يسلم منك جارك ؟!
وكيف تكون مؤمناً ، ولم يأمنك الناس ؟!

---

(١٩٨) رواه البخارى فى الإيمان ١ ، ٢ . ومسلم فى الإيمان ١٩ — ٢٢ .

(مع الأخبار)

وصية «أبى طالب» لقريش :

أوصى «أبو طالب» عم النبى ﷺ قريشاً عند موته فقال : يامعشر قريش : أنتم صفوة الله من خلقه وأنتم قلب العرب وفيكم السيد المطاع والمقدام الشجاع ، والواسع الباع .
واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولاشرفاً إلا أدركتموه. فلكم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة.. والناس لكم حرب ، وعلى حربكم إِلْبٌ ..(١٩٩) وإنى أوصيكم بتعظيم هذه الْبَنِيَّة (يعنى الكعبة) فإن فيها مرضاةً للرب وقواماً للمعاش وثباتاً للوطأة(٢٠٠) ، وَصِلُوا أرحامكم فإن فى صلة الرحم منسأة (أى فسحة فى الأجل) وزيادة فى العدد ، واتركوا البغىَ والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم ، وأجيبوا داعى الله وأعطوا السائل ؛ فإن فيهما شرف الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيها محبة فى الخاص ومكرمة فى العام، وأوصيكم بـ«محمد» خيراً فإنه الأمين فى قريش، والصديق فى العرب ، وهو الجامع لكل ماأوصيتكم به ، وقد جاء بأمر قَبلَهُ الجَنان(٢٠١) وأنكره اللسان مخافة الشنآن(٢٠٢) ، وأيْمُ الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف(٢٠٣)

---

(١٩٩) الإِلْب : القوم تجمعهم عداوة واحد يقال : «هم عَلَىَّ إِلْبٌ واحد» .
(٢٠٠) الأخذة الشديدة .
(٢٠١) الجنان : القلب والعقل .
(٢٠٢) البغض والكراهية .
(٢٠٣) المحيطين بمكة وحولها والنائين عنها من غير قريش .

والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ودورها خراباً وضعفاؤها أرباباً ، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد منحته العرب(٢٠٤) ودادها وأعطته قيادها(٢٠٥) .. يامعشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة .. والله لايسلك أحد سبيله إلا رشد ، ولايأخذ بهديه إلا سعد ، ولو كان لنفسى مدة ولأجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز(٢٠٦) ولدفعت عنه الدواهى . وقال لهم مرة : لن تزالوا بخير ماسمعتم من «محمد» وما آتَّبعتم أَمْرهُ فأطيعوه ترشدوا .

حديثه عن «محمد» ﷺ

قال «على» رضي الله عنه : سمعت «أبا طالب» يقول : حدثنى «محمد» ابن أخى وكان والله صَدُوقاً قلت له : بم بعثت يا «محمد» ؟؟ قال : بصلة الأرحام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة . وفى رواية : حدثنى «محمد» ابن أخى أن الله أمره بصلة الأرحام وأن يعبد الله لايعبد معه أحدا . و«محمد» عندي الصدوق الأمين ، وقال أيضا : سمعت ابن أخي يقول : اشكر ترزق ولاتكفر تعذب . ومرض «أبو طالب» فعاده النبى ﷺ فقال : يا بْن أخى ادْعُ الله أن يعافينى ، فقال ﷺ : **«اللهم اشْف عمى»** فقام وكأنه نشط من عقال .

دفاعه عن النبى ﷺ وحبه له

جاء كفار قريش إلى «أبى طالب» ومعهم «عمارة بن الوليد بن المغيرة» ــ وكان من أحسن فتيان قريش ــ وقالوا له : خذ هذا بدل «محمد» يكن كالابن لك وأعطنا «محمداً» نقتله . فقال : ماأنصفتمونى يا معشر قريش آخذ آبنكم أربيه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه !! ثم قال :

---

(٢٠٤) أخلصت له .

(٢٠٥) أسلمته أمرها .

(٢٠٦) الهزاهز: الفتن يهتز فيها الناس كما جاء فى المصباح .
والهزائز الشدائد [ولا واحد لها من لفظها] كما جاء فى المنجد .

والله لَنْ يَصِلُوا إلَـيْكَ بجمعهـم حتـى أُوَسَّد فى التـراب دفينـا
فاصْدَعْ بأمْرِكَ ماعَلَيْك غضاضة وابشر وقـر منك عيونـا
ودعوتنى وعلـمت أنك صادق ولقـد صدقت وكـنت ثم أمينـا
ولقـد علـمت بأن ديـن محمـد من خير أديـان البريـة دينـا

من شعر «أبى طالب» فى النبى ﷺ :

وأبيض يُسْتَسْقَى الغمام(٢٠٧) بوجهه ثمال(٢٠٨) اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى رحمةٍ وفواضل

وجاء أعرابى إلى النبى ﷺ وشكى الجدب والقحط فقام النبى ﷺ وصعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ودعا فما رَدَّ يديه حتى التقت السماء بأبراقها(٢٠٩) . حتى ضج الناس من كثرة المطرخوف الغرق ، فقال ﷺ : «اللهم حوالينا ولاعلينا» ؛ وضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه(٢١٠) ثم قال : «لله دَرُّ «أبى طالب» لو كان حيا لَقَرتْ عيناه ، من ينشدنا قوله ؟ فقال «على» رضى الله عنه : كأنك تريد !

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال ﷺ: (أَجَلْ)

ولما حصرت قريش بنى هاشم فى الشِّعْب نظم أبو طالب قصيدة طويلة فى مدحه ﷺ جاء فيها مايأتى :

لَعَمْرى لقد كَلِفتُ وجْداً بأحْمدَ وأحببته حُبَّ المُحِب المُواصِلِ
وقدْ عَلِمُوا أنَّ آبننا لايكذب لَدَيْنا ولايعْزى لِقَوْل الأباطل

---

(٢٠٧) الغمام : المطر والسحاب .
(٢٠٨) يقال أثمل اللبن أى كثرت ثمالته رغوته التى تصنع الزبد فهو ثمال اليتامى وهو الباق لهم بعد فقد عائلهم .
(٢٠٩) جمع برق .
(٢١٠) النواجذ جمع ناجذ . والنواجذ أقصى الأضراس وهى أربعة .

فمن مثله فى النـاس أىّ مُؤمّـل إذا قاسه الحكام عنـد التفـاضُل
حليم رشيـد عاقـل غير طائش يوالى إلٰهـاً ليس عنـه بغافِـل
وأصبح فينا «أحمد» فى أرومة[211] تقصر عنها سورة المتطـاول
حدبتُ[212] بنـفس دونـه وحميتـه ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

تفاخره بمحمد ﷺ

لما تزوج ﷺ بخديجة — رضى الله عنها — خطب «أبو طالب» فى حفل قرانِهِ فقال : (الحمد لله الذى جعلنا من ذرية «إبراهيم» ، وزرع «إسماعيل» وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه ، وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس .. ثم إن ابن أخى «محمد بن عبد الله» لايوزن برجل إلا رجح شرفا ونبلا وفضلا وعقلا ، وهو بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جسيم) .

وقال فيه مرة

إذا أجمعت يومـا قريش لمفخـر فعبدُ منافٍ سرُّهـا وصَميمُهـا
فإنْ حَصلت أنساب عبد منافهـا ففـى هاشم أشرافهـا وقديمهـا
وإن فخرت يوما فإن «محمداً» هو المصطفى من سرها وكريمهـا

من ذكاء «عضد الدولة» :

قدم تاجر من «خراسان» ليحج ، فلما تأهب للحج بقى معه ألف دينار لايحتاج إليها فقال : إن حملتها خاطرت بها ، وإن أودعتها خفت جحد[213]

(٢١١) الأرومة الأصل .
(٢١٢) حدبت : عطفت وحميت .
(٢١٣) الجَحْد : الإنكار ومثله الجحود .

المودَع ؛ فمضى إلى الصحراء فرأى شجرة خرْوَع فحفر تحتها ودفنها ولم يره أحد ، ثم خرج إلى الحج وعاد فحضر المكان فلم يجد شيئا فجعل يبكى ويقول : الأرض سرقت مالى ، فقيل له : لو قصدت «عضد الدولة» فإن له فطنة وذكاء ، فقال : أو يعلم الغيب ؟ ثم ذهب إليه فأخبره بقصته فجمع الأطباء وقال لهم : هل داويتم أحداً بعروق الخروع ؟ فقال أحدهم : أنا داويت فلانا وهو فى خواصك فقال : علىَّ به ، فجاء فقال له : هل تداويت فى هذه السنة بعروق الخروع ؟ قال : نعم .

قال : من جاءك به ؟ قال : فلان الفراش ، قال : علىَّ به فلما جاء قال : من أين أخذت عروق الخروع ؟ فقال : من المكان الفلانى ، فقال : اذهب بهذا معك فأره المكان الذى أخذت منه ، فذهب معه بصاحب المال إلى تلك الشجرة وقال : من هذه الشجرة أخذت ، فقال الرجل : ههنا والله تركت مالى ؟؟ فرجع إلى «عضد الدولة» فأخبره ، فقال «عضد الدولة» للفراش : هلم المال فتلكأ ، فأوعده[٢١٤] .. فأحضر المال .

فى الصـلاة

كانت «رابعة العدوية» رضى الله عنها تصلى فى اليوم والليلة مائة ركعة وتقول : ماأريد بها ثواباً ولكنى ليُسَرَّ بها رسول الله ﷺ ويقول للأنبياء انظروا إلى امرأة من أمتى هذا عملها فى اليوم والليلة .

وصلى «الحَجَّاج» بجوار «سعيد بن المسيب» رضى الله عنه فرآه يرفع قبل الإمام ويسجد قبله ، فلما سلّم أخذ بثوبه حتى فرغ من صلاته فقال : ياسارق ياخائن تصلى هذه الصلاة لقد هممت أن أضرب بها وجهك .

ولما وَلِىَ «الحجاج» المدينة دخل من فوره إلى المسجد قاصدا مجلس «سعيد» فقال : جزاك الله من معلم ومؤدب خيراً ماصليت بعدك إلا ذاكراً قولك .

---

(٢١٤) أوعده : توعده بإنزال عقاب به إذا لم يعترف .

وصلى «سعيد بن المسيب» الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة وقال رضى الله عنه : حججت أربعين حجة مافاتتنى التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة.

وقال «حاتم الأصم»[٢١٥] : فاتتنى الصلاة بجماعة فعزّانى أبو إسحاق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عدة آلاف ؛ لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا !

فى الموت قُولُوا خيْراً

لما احتضر سيدنا «إبراهيم» على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال : هل رأيت خليلا يقبض روح خليله ؟؟ فأوحى الله إليه : هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله ؟؟ قال : فاقبض روحى الساعة . وقال ﷺ : **«إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة تؤمن على ماتقولون»**[٢١٦] .

أَمَرْتَنا فعَصَينا

ودعا «عمرو بن العاص» رضى الله عنه عند احتضاره بغل وقيد فلبسهما ثم قال : **«سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن التوبة مبسوطة مالم يغرغر ابن آدم بنفسه»**[٢١٧] ، ثم استقبل القبلة فقال : اللهم أمرتنا فعصينا ، ونهيتنا فارتكبنا ، هذا مقام العائذ بك ، فإن تعف فأهل العفو أنت ،وإن تعاقب فبما قدمت يداى ، سبحانك لا إلٰه إلا أنت إنى كنت من الظالمين . فمات وهو مغلول[٢١٨] مقيد فبلغ «الحسن بن على» فقال : لعله ينفعه .

(٢١٥) **«حاتم الأصم»** : **«حاتم بن عنوان»** ، زاهد اشتهر بالورع والتقشف ، كان قوالا بالحكمة حتى لقب **«لقمان»** هذه الأمة .

(٢١٦) رواه مسلم فى الجنائز ٦ . وأبو داود فى الجنائز ١٥ . والنسائى فى الجنائز ٣٠٥ . وابن ماجه فى الجنائز ٤ .

(٢١٧) رواه الترمذى فى الدعوات ٩٨ . وابن ماجه فى الزهد ٣٠ . وأحمد ٢ /١٣٢ ، ١٥٣ ؛ ٣ /٤٢٥ .

(٢١٨) الغل فى العنق .. والقيد فى القدمين .

أصبحتُ راحلاً

وقال «المزنى» : دخلت على «الشافعى» فى مرض موته فقلت : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحتُ من الدنيا راحلا وللإخوان مفارقا وبسوء عملى ملاقيا وبكأس المنية شاربا وعلى الله واردا ، فلا أدرى أن روحى تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأُعزّيها ، ثم أنشأ يقول :

ولمّا قسا قَلْبى وضاقت مذاهبى — جعلتُ رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته — بعفوك ربى كان عفوك أعظما

ألا تستحون

(وخرج رسول الله ﷺ فى جنازة فرأى ناسا ركوبا فقال : ألا تستحون ..؟؟ إن ملائكة الله يمشون على أقدامهم وأنتم على ظهور الدواب)[٢١٩] .

ثواب الله خير

(وعزى «سلمان الفارسى» رضى الله عنه رسول الله ﷺ فى ابنة له فقال : يارسول الله القبر خير لها وثواب الله خير لك منها . أعظم الله لك الأجر فَنِعم الصِّهْرُ الْقَبْر . فتبسّم رسول الله ﷺ وقال : **«هذه التعزية التى عزى بها جبريل عليه السلام ..»**) .

أول تحفة المؤمن

وقال ﷺ : **«أول تحفة المؤمن إذا مات أن يغفر الله لكل من شيع جنازته»**[٢٢٠] .

---

(٢١٩) رواه مسلم فى الفتن ١١٦ . والترمذى فى الجنائز ٢٨ . وأحمد ١ /١٣٣ .

(٢٢٠) انظر مزيداً من الأحاديث النبوية فى هذا الصدد ، فى المصادر الآتية : سنن أبى داود ، الجنائز ٤١ ، ومسند أحمد ٣ /٢٠ . وابن ماجه ، الزهد ١٦ .

قال ﷺ فى وصيته لأبى ذَرّ : «زُرِ القُبور تذكر بها الآخرة ، ولاتزرها بالليل ، وصل على الجنازة لعل ذلك يحزنك فإن الحزين فى ظل الله تعالى»[٢٢١] .

يا أهل القبور

ومر «على» رضى الله عنه بمقبرة فنادى : «ياأهل القبور ألا أخبركم بما حدث بعدكم .. ؟؟ تزوجت نساؤكم ، وبيعت مساكنكم ، وٱقْتُسمت أموالكم ، فهل أنتم مخبرون بما عاينتم ؟ ثم قال : ألا إنهم لو أذن لهم فى الجواب لقالوا : وجدنا خير الزاد التقوى» .

وقال الشاعر :

فَلَــوْ أنّــا إذا مِتْــــا تُرِكْنــــا لكـــان الموت راحــــة كل حى
ولكنـــا إذا متنـــا بعثنـــا ونسأل بعــــــده عن كل شىء

فى الولاة والقضاة

قال الله تعالى : ﴿ياداود إنّا جَعَلْناك خَلِيفَةً فى الْأَرْض فاَحْكُم بَيْن الناسِ بِالْحَقّ ولاتَتّبِع الهوى فيضلَّك عنْ سَبيلِ الله﴾[٢٢٢] وقال ﷺ : «مَنْ وَلِىَ من أمر المسلمين شيئا ثم لم يُحِطْهُم بنصحه كما يحوط أهل بيته فَلْيَتَبوأْ مقعده من النار»[**] .

---

(٢٢١) للرسول ﷺ أحاديث أخرى فى هذا المعنى ، مثل : «زوروا القبور فإنها تذكركم الموت» رواه مسلم فى الجنائز ١٠٨ . والترمذى فى الجنائز ٦٠ . والنسائى فى الجنائز ١٠١ . وابن ماجه فى الجنائز ٤٧ ، ٤٨ . ومثل قوله «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها» رواه مسلم فى الجنائز ١٠٦ .

(٢٢٢) سورة «ص» الآية (٢٦) .

** البخارى فى الأحكام ٨ . وأحمد ٥/ ٢٧ .

وقال ﷺ : **«صنفان من أمتى لاتنالهما شفاعتى يوم القيامة : إمام ظالم غشوم ، وغالٍ فى الدين مارق منه»** وقال «أبو هريرة» رضى الله عنه : مامن أمير يُؤمَّر على عشرة إلا جىء به يوم القيامة مغلولا نجاهُ عمله أو أهلكه .

ودخل «ابن شهاب الزهرى» رضى الله عنه على «الوليد بن عبد الملك» فقال : يا «ابن شهاب» ماحديث يحدثنا به أهل الشام ؟ قال : وماهو ياأمير المؤمنين ؟ قال : حدثونا أن الله تبارك وتعالى إذا آسترعى عبداً رعيا كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات ، قال : كذبوا ياأمير المؤمنين . أنبى خليفة أقرب إلى الله أم خليفة ليس بنبى ؟ قال : نبى خليفة ، قال : فأنا أحدثك ياأمير المؤمنين بما لاتشك فيه ، قال الله تعالى لنبيه «داود» : **﴿ياداود إنّا جعلْناك خليفةً فى الأرض فآحْكُم بيْن الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديدٌ بما نَسُوا يوم الحساب﴾** ياأمير المؤمنين هذا وعيد الله لنبى خليفة فماظنك بخليفة غير نبى ؟؟ فقال «الوليد» : إن الناس لَيَغُرُّوننا عن ديننا .

ودخل «صالح بن بشر» على «المهدى» فقال له : عِظْنى ، فقال : أليس قد جلس هذا المجلس أبوك وعمّك قبلك ؟؟ قال : نعم ، قال : فكانت لهما أعمال نرجو لهما النجاة بها ؟ قال : نعم ، قال : فكانت لهما أعمال تخاف عليهما الهلكة منها ؟ قال : نعم ، قال : فانظر مارجوت لهما فيه النجاة فأْتِه وماخِفْت عليهما فيه الهلكة فآجْتنبه .

فى المعروف

قال ﷺ : **«من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس إليه ، فإن لم يحمل هذه فقد عرض تلك النعمة للزوال»** .

وقال ﷺ : **«إن لله عند أقوام نعماً يُقرها عندهم ماداموا فى حوائج الناس مالم يملوا فإذا ملُّوا نقلها إلى غيرهم»** .

وقيل لعبد الله بن جعفر[٢٢٣] ـ وكان جواداً : اقتصد فى العطاء فإن من ذهب ماله ذَلّ . فقال : إن الله عَوَّدنى بالإفضال عليَّ ووعدته بالإفضال على عباده ، فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى المادة ثم تلا قوله تعالى : ﴿**إن الله لايُغَيِّر مابِقَوْمٍ حتى يُغَيِّروا ما بأنفُسهم**﴾[٢٢٤] .

من لايعرف الجود ملك بلا جُنُود

وقيل لعبد الله بن طاهر : أنفق ، وأمسك بعض الإمساك ، فقال : إنّ سِمَنَ الكيس[٢٢٥] وَنَيْل الذّكْر لايجتمعان أبدا .

وقال بعض الحكماء سُؤْدُدٌ[٢٢٦] بلا جود كملك بلا جنود .

وقالوا : جود الرجل يحببه إلى أضداده ، وبخله يبغضه إلى أولاده .

قال بعض الحكماء : ثواب الجود خلف ومكافأة ومحبة ، وثواب البخل حرمان وإتلاف ومذمة . وقال «على بن أبى طالب» رضى الله عنه : إن للنعمة أجنحةً ، فإن أُمْسِكَتْ بالإحسان قَرَّت ، وإلا فَرَّت .

وقال «محمد بن الحنفية» رضى الله عنه : إن أفضل المال ماأفاد شكرا ، وأورث ذكرا ، وأوجب أجرا ، ولو رأيتم المعروف لرأيتموه حسنا جميلا .

وقال الشاعر : *

العُـرْفُ زينَـةُ ذى النُّهـى وَذخِيـرة ... يلقـى جوائزهـا بكـل مكـان
ماضاعَ معروفٌ أُتيتَ إلى امرىء ... فعـدا وراح يُذيعـه بلسان

---

(٢٢٣) «**عبد الله بن جعفر بن أبى طالب**» كان من أجود الناس ، وله فى جوده قصص وطرائف .

(٢٢٤) سورة «**الرعد**» بعض الآية (١١) .

(٢٢٥) المقصود امتلاء الكيس بالنقود .

(٢٢٦) سيادة وشرف .

* النهى : العقل جمع نهية .

السياسة الحكيمة

قال الحكماء : السياسة أن يخلط الوعد بالوعيد ، والعطاء بالمنع ، والحلم بالإيقاع[٢٢٧] ؛ فإن الناس لايصلحون إلا على الثواب والعقاب والإطماع والإخافة والشدة واللين ، والعفو والانتقام والبذل والمنع ، ويوم يؤخذون بهذا يعود الشر خيرا ، والمنع عطاء والمكروه نفعاً ، قال الله عز وجل : ﴿وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢٢٨] فأحسن الناس سياسة لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرهبة .

وكان «أنو شروان»[٢٢٩] إذا ولى رجلا وقَّع على كتاب الولاية بخطه سُسْ خيار الناس بالمحبة ، وأفرِج لِلْعامة الرغبة والرهبة ، وسُسْ سِفْلَة الناس بالمخافة[٢٣٠]

حائط الإسلام

وخطب «سعيد بن شريك» بحمص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن للإسلام حائطاً منيعاً وباباً وثيقاً فحائط الإسلام الحق وبابه العدل ، ولايزال الإسلام منيعاً مااشتد السلطان ، وليس شدة السلطان قتّلا بالسيف ولاضربا بالسوط ولَكْزاً .

قضاءٌ بالحق وأَخْذ بالعدل

وكتب «عبد الملك» إلى «الحجاج» أن يكتب إليه بسيرته فكتب : إنى

---

(٢٢٧) الإيقاع : النيل من المعتدى والبطش به . والعقاب له .

(٢٢٨) سورة «البقرة» الآية (١٧٩) .

(٢٢٩) كسرى ملك الفرس .

(٢٣٠) السفلة ضد العلية وهم سقط الناس وغوغاؤهم وماأجمل ذلك التوقيع . فأخيار الناس : التعامل بالمحبة أما عامتهم فمزيج من الرغبة والرهبة ، وأما السفلة اللئام فلهم التخويف على مدى الأيام .

أيقظت رأيى وأَنَمْتُ هوايَ فَأدنَيْت السيد المطاع(٢٣١) فى قومه ووليت الحرب الحازم فى أمره ، وقلّدت الخراج(٢٣٢) الأمين لأمانته ، وقسمت لكل امرىء فى نفسى قَسْماً فأعطيته حظا من نظرى ولطيف عنايتى وصرفت السيف إلى المسيء والثواب إلى المحسن البرىء ليخاف المريب صولة العقاب ويتمسك المحسن بحظّه من الثواب ، ويرغب أهل العفاف فى أداء الأمانة ويتجنب أهل الشر الخيانة وأمّلت على ذلك فى الله النجاة وفى خليفته المكافأة .

من روائع المكارم

قال «على» كرم الله وجهه : لما أتينا بسبايا «طىْ» كانت فى النساء جارية هيفاء(٢٣٣) سمراء كحلاء خميصة الخصر(٢٣٤) هضيمة الكشح(٢٣٥) مفصولة المتن(٢٣٦) ، فلما رأيتها أعجبت بها فلما تكلمت أنستنى بمقالها ومارأيته من جمالها فكان من كلامها أن قالت : يا«محمد» هلك الوالد وغاب الرافد(٢٣٧) فإن رأيْت أن تَمُنَّ علىَّ وتُخَلِى عَنّى ولاتُشَمِّت بى أحياء العرب فانى ابنة سيّد قومها : إن أبى كان يحمى الذمار(٢٣٨) ويفكّ العانى(٢٣٩) ويشبع الجائع ويكسو العارى ويُفشى السلام ولايرد طالب حاجة أبداً ، فقال الرسول ﷺ : أبوها من ؟؟ قالوا : «حاتم الطَّائى» فقال عليه السلام : «**لو كان أبوها مسلما**

---

(٢٣١) قربنه منى .

(٢٣٢) الخراج ماحصل من غلة الأرض ؛ ولذا أطلق على الجزية ، ومتولى الخراج من يقوم بتحصيله وجمعه ممن يقلدهم السلطان ولاية الخراج، ويشبهون فى أيامنا [مأمورى الضرائب] والمحصلين والصيارفة .

(٢٣٣) هيفاء : ضامرة البطن رقيقة الخصر .

(٢٣٤) خميصة الخصر : ضامرة البطن .

(٢٣٥) الكشح من الجسم مابين السرة ووسط الظهر . وهضيم الكشح : لطف كشحه ورق . وامرأة هضيم خمصاء البطن .

(٢٣٦) المتن الظهر .

(٢٣٧) المعطى والرفد : العطاء .

(٢٣٨) الذمار : مايلزم حمايته وحفظه والدفاع عنه .

(٢٣٩) العانى : الأسير .

لَتَرحمنا عليه خَلُّوا عنها فإن أباها كان يُحِبُّ مكارم الأخلاق » فخرجت إلى أخيها « عدى » وكان بدُومَة الجَنْدل ــ فقالت : إيتِ هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله(٢٤٠) فإني رأيت هَدْيا ورأيا ستغلب به أهل الغلب، رأيت خصالا أعجبتنى ، رأيته يحب الفقير ويفك الأسير ويرحم الصغير ويعرف حق الكبير ومارأيت أحداً أجود منه ولا أكرم ﷺ .

زُهْدٌ وزُهْد

قال « هارون الرشيد » لِـ « الفضيل بن عياض » رضى الله عنه : ماأشدَّ زُهْدَكَ ؟؟ قال : ياأمير المؤمنين أنتَ أزهدُ مِنّى ؛ لأنى زَهِدْتُ فى فانٍ وَأَنْت زَهِدْتَ فى باقٍ ..

مِنْ خِلالِ الْمَلِك

ينبغى للملك أن يكون سَخِيًّا لايبلغ التبذير ، وحافظاً لايبلغ البخل ، وشجاعاً لايبلغ التهور ، ومحترسا لايبلغ الجبن ، وقائلا لايبلغ الهذر(٢٤١) ، وصمُوتاً لا يبلغ العِى(٢٤٢) ، وحليما لا يبلغ العجز ..

وقال « عبد الله بن طاهر » :

لاينبغى للملك أن يظلم وبه يستدفع الظلم ، ولا أن يعجل ومنه تُلْتَمَسُ الْأناة ، ولا أن يبخل ومنه يُتَوَقَّعُ الجود ..

وقال « معاوية » رضى الله عنه :

لاينبغى للملك أن يكون كذابا ، ولا حديداً(٢٤٣) ، ولابخيلا ، ولاجبانا ،

---

(٢٤٠) الحبائل : جمع حُباله وهى شباك الصياد . والمراد قبل أن تقع أسيرا فى يده .
(٢٤١) الهذر : سَقَطُ الكلام الذى لايعبأ به .
(٢٤٢) العى : العجز عن النطق .
(٢٤٣) رجل حديد : ذو حدة فى الفهم أو الغضب .

ولاحسودا ..

فإنه إن كان كذابا ووعد بخير لم يُرْج ، أو وعد بشر لم يُخَفْ ،

وإن كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية .

وإن كان بخيلا لم يُناصِحْه أَحد ، ولاتصلح الولاية إلا بالمناصحة ، وإن كان جبانا آجترأ عليه عدوه وضاعت ثغوره(٢٤٤) فَذَلَّ ، وإن كان حسودا لم يشرف أبداً ، ولايصلح الناس إلا بأشرافهم .

رباطة الجأش(٢٤٥)

لما ظفر «المعتصم» بـ «تميم بن جميل» ومثل بين يديه دعا بالنِّطْع(٢٤٦) والسيف فَأُحْضرا وجعل «تميم» يصعِّد النظر إلى ذلك ولايقول شيئاً فرأى «المعتصم» أن يستنطقه(٢٤٧) ليرى أين جَنانُهُ(٢٤٨) ولسانه من جسمه ومنظره ، فقال : يا«تميم» إن كان لك عُذْر فأْت به أو حُجَّةٌ فَأَدْلِ بها ، فقال : أما إذ قد أذنت لى ياأمير المؤمنين بالكلام فأقول : الحمد لله الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سُلالَةٍ من ماء مهين ، ياأمير المؤمنين جبر الله بك صَدْع الدين ، ولَأَمَ بك شعث(٢٤٩) الأمة ؛ وأُخْمَدَ بِكَ شِهاب الباطل ، وأُوْضَحَ بك سِراجَ الحق ، ياأمير المؤمنين إن الذنوب تُخْرِس الألسنةَ ، وتصدع الأفئدة . ولقد عظمت الجريرة(٢٥٠) ، وكبر الذنب وساء الظن ، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما إليك أَوْلاهما بأمانتك وأشبههما بخلافتك ، ثم أنشد :

---

(٢٤٤) الثغور : جمع ثغر والمراد المدن على حدود البلاد وأطرافها .

(٢٤٥) الجأش : القلب والصدر ويقال جأش قلبه اضطرب من حزن أو فزع : ورابط الجأش . أى شجاع .

(٢٤٦) النِّطع : بساط من جلد يفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب أو بقطع الرأس .

(٢٤٧) يلجئه إلى النطق .

(٢٤٨) الجَنان : العقل .

(٢٤٩) شعث الأمة : ماتفرق منها .

(٢٥٠) الجريرة : الذنب .

أرى الْمَـوْتَ بَيْـن السَّيْـف والنَّطْـع كامِنــاً
يلاحظنـــــي من حيثما أتلـــــــفت
وأكبر ظنـــــي أنك اليــــوم قاتلي
وأى امــــرىء مما قضى الله يُفْـــلِتُ ؟!
ومَــنْ ذا الَّــذى يُدْلى بِعُـــذْرٍ وَحُجَّـــةٍ
وَسَيْــفُ المنايــا بَيْـــن عَيْنَيْـــه مُصْلَتُ
يَعِـــزّ على أَبْنـــاء تَغْـــلبَ مَوقـــف
يُسَلُّ علـــىَّ السَّيْـــفُ فيـه وَأَسْكُتُ[٢٥١]
وماجزعـــى مِن أَنْ أَمُـــوت وإننـــى
لأَعْلَـــمُ أَنَّ الْمَــــوْتَ شيءٌ مُؤَقَّتُ
ولكــنَّ خلْفــي صِبيـــة قد تركتهم
وأَكْبادُهُـــــم مِنْ حَسْرةٍ تَتَفَـــــتَّتُ
كَأَنى أراهُـــم حيـــنَ أُنعـــى إليْهـــم
وَقَــدْ خمشُوا تِلك الوُجُــوه وَصَوَّتُــوا
فإن عِشْتُ عاشُوا خافضين بِغِبطَـــــةٍ
أَذُودُ الـــرَّدى عَنهـــم وإن مِتُّ مَوَّتُوا[٢٥٢]
وكم قائِـــــلٍ : لايُبْعِـــــد الله دارَهُ
وآخـــر جَزلان يُسَرُّ ويَشْمُتُ[٢٥٣]

فتبسم «المعتصم» وقال : إنَّ منَ الْبَيانِ لَسِحْرا . كاد ـــ والله يا «تميم» ـــ أن يسبق السَّيْف العَذَل[٢٥٤] ، اذهب فقد غفرت لك الهفوة ووهبتك لله وللصبية ، وأعطاه خمسين ألف درهم .

---

(٢٥١) أى يشتد : كناية عن الأنفة مِن هذا الموقف الذى يسل فيه السيف عليه وهو ساكت !

(٢٥٢) عاشوا خافضين : خفض العيش نعيمه ولينه وهناءته . والغبطة السرور والسعادة .

(٢٥٣) الناس أمام مايمتحن به المرء فريقان : منهم من يتعاطف معى ويدعو لى أن لاأفارقهم ، ومنهم من يفرح ويشمت .

(٢٥٤) العذل اللوم . وهذا مثل قاله قائله لما لامه الناس على قتله قاتل ابنه فى الحرم .

خير الملوك وشرها

من حِكَمِ الهند : خير الملوك من أَمِنَهُ البرىء وخافه المجرم . وشر الملوك من أمِنَه المجرم وخافه البرىء .

وقالوا : شر خصال الملوك الجبن من الأعداء ، والقسوة على الضعفاء ، والبخل عند الإعطاء .

وصف الزمان

وقال «معاوية» رضى الله عنه لابن اللواء : صف لى الزمان ، فقال : أنت الزمان إن تصلح يصلح وإن تفسد يفسد ، وأنت المثل السائر(٢٥٥) فى كل زمان وعلى كل لسان ، والناس على دين ملوكهم .

الملك العادل

وقالوا : الملك العادل كالنَّهر الصافى ينتفع به الأشرار والأخيار ، ولايضر أحداً ، والملك السوء كالجيفة يسرع إليها شرار .

هكذا كانت صبيانهم

قام «أبو يزيد البسطامى» يتهجد بالليل ، فرأى طفله الصغير يقوم بجواره ؛ فأشفق عليه لصغر سنه من برد الليل ومشقة السهر ، فقال له : ارقد يابنى فأمامك ليل طويل ، فقال له الولد : فما بالك أنت قد قمت ؟ فقال «أبو يزيد» : يابنى قد طلب منى أن أقوم له ، فقال الغلام : لقد حفظت فيما أنزل الله من قوله تعالى : **﴿إنَّ رَبَّك يَعلم أنَّك تَقُومُ أدنى من ثُلُثَى الليل وَنصفَهُ**

(٢٥٥) المثل السائر هو الذى يدور على كل لسان ويكتب له الخلود .

وثلثَهُ وطائفةٌ من الذين معك﴾[٢٥٦] فمن هؤلاء الذين قاموا مع نبى الله ؟ فقال أبوه : هم يابنى أصحابه ، فقال الغلام : فلا تحرمنى من شرف صحبتك فى طاعة الله ، فقال «أبو يزيد» وقد تملكه الدهَش ، يابنى أنت طفل لم تبلغ الحُلُم بعد ، فقال الغلام : ياأبت لقد رأيت أمى وهى توقد النار تبدأ بصغار قطع الخشب لتشتعل فى كبارها ؛ فأخشى أن يبدأ الله يوم القيامة بنا قبل الرجال إن أهملنا فى طاعته .. ، فعند ذلك انتفض أبوه من خشية الله وقال : سبحان الله قم يابنى فأنت أولى بالله من أبيك .

عَمِيَت عينى وتَفَتَّحَ قلبى

يروى أن «عمر»رضى الله عنه كانت له جارية تسمى «زنيرة» قد أسلمت قبل أن يسلم ، فكان يضربها على إسلامها ضربا شديداً أفقدها بصرها ، فقالت : «عميت عينى وتفتح قلبى» فزادها ضَرْبا وإيلاما حتى شُلَّت رِجْلها فقالت : والله لولا خشية عجزى عن الوقوف بين يدى الله لقلت لك زدنى فأنستها حلاوة الإيمان مرارة الإيلام .

ثمرة حُبِّهِ ﷺ

احتجم النبى ﷺ مرة فأمر الحجام بإراقة دمه فشربه ، فقال له النبى ﷺ : «لن يجتمع دمى ودم أحد فى النار»[٢٥٧] .

ألهتْهُ الكُبْرى عن الصغرى

كان سيدنا «زين العابدين» رضى الله عنه إذا قام إلى الصلاة لم يحس بشىء

---

(٢٥٦) سورة «المزّمّل» الآية (٢٠) .

(٢٥٧) رواه أحمد وغيره .

فكانت النار تتأجج حوله ويقول الناس : يَابْنَ بنت رسول الله النار النار !!
حتى إذا سلَّم قالوا : ألم تحس بالنار حَوْلك ؟ قال : ألهتنى عن ناركم الصغرى
نار الله الكبرى .

المعروف إلى اللئام والكرام

قال بعض الحكماء : المعروف إلى الكرام يعقب خيراً وإلى اللئام يعقب شرا
ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤاً ، وتشرب منه الأفاعي
فتعقب سماً ، وصدق الشاعر إذ يقول :

وإنْ أنْتَ أكْـــرَمْتَ الكـــريم مَلَكْتَـــهُ
وإن أنْتَ أكْـــرَمْتَ اللّـــئيم تَمَـــرَّدا

اثنان لايستغنى أحدهما عن الآخر

قال حكيم : الدين والسلطان تَوْأمان ، وقال «أزد شير» لابنه : يابنى إن
المُلْكَ والدين أخوان لاغنى لأحدهما عن الآخر فالدين أُسّ والملك حارس ،
ومالم يكن له أس فهو مهدوم ، ومالم يكن له حارس فهو ضائع ، يابنى اجعل
حديثك مع أهل المراتب وعطيتك لأهل الجهاد ، ويُسْرك لأهل الدين ، وَسِرَّك
لِمَنْ عناهُ ماعناك ، ولتكن من أهل العقلْ .

مايجب أن يكون عليه الحاكم

قال بعض الحكماء : ظفر الملك بعدوه على حساب عدله فى رعيته ،
ونكوبه فى حروبه على حساب جَوْره فيها ، وإصلاح الرعية أنفع من كثرة
الجنود . قالوا : وتاج المُلْك عفافه وحِصْنُه إنْصافه ، وسلاحه كفاءته ، وماله
رعيته .

وقالت حكماء الهند : لاظفر مع بغى ، ولاصِحَّةَ مع نَهَمٍ ، ولابقاء مع كِبْرٍ ، ولاشرف مع سوء أدب ، ولابِرَّ مع شُحّ ، ولا اجتناب مُحَرَّمٍ مع حرص ، ولا ولايةَ حُكْمٍ مع عَدَمِ فِقْهٍ ، ولا سؤدد[٢٥٨] مع انتقام ، ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة[٢٥٩] وزارةٍ .

وقال «بزُرْجُمَهْر» : سُوسُوا أحرار الناس بمحض المودة ، والعامة بالرغبة والرهبة ، والسُّفْلة من الناس بالمخافة[٢٦٠] ..

ولما وَلِيَ «أبو بكر» رضى الله عنه قال : أيها الناس إنه لا أحد أقوى عندى من المظلوم حتى آخذ له بحقه ، ولا أضعف من الظالم حتى آخذ الحق منه ..

وقال «معاوية» رضى الله عنه : إنى لا أضع سيفى حيث يكفينى سَوْطى ، ولا سَوْطى حيث يكفينى لسانى ، ولو أن بينى وبين الناس شعرة ماآنقطعت ، إذا مَدُّوها خَلَّيْتُها ، وإذا خَلُّوها مَدَدْتُها .

أركان الملك

قال «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه : لايصلح الملك إلا بأربع خصال ، إن نقصت واحدة لم يصلح له أمر ولانهى : قوة على جمع المال من أبواب حِلِّه ، ووضعه فى حقه ، وشدة لاجبروتَ فيها ، ولين لاوَهَنَ فيه .

أَرْكانُ المُلْك وقوائم السَّرير

وقال «أبو جعفر المنصور» :

ماأحوجنى أن يكون على بابى أربعة ، لايكون على بابى أَعَفُّ منهم ، قيل : من هم ؟ قال : هم أربعة أركان الملك ، لايصلح المُلْكُ إلا بها ، كما أن السرير

(٢٥٨) السؤدد : الشرف والمجد .

(٢٥٩) جهالة من استوزرهم . واتخذهم وزراء .

(٢٦٠) سبق أن نسبت هذه النصيحة إلى أنو شروان .

لايصلح إلا بأربع قوائم ، فإن نقص منه قائمة واحدة عابَهُ ذلك .

أحدهم : قاضٍ لاتأخذه فى الله لومة لائم .

ثانيهم : صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى .

وثالثهم : صاحب خراج يَستَقصى ولا يظلم الرعيَّة ؛ فإنى غَنِيٌّ عن ظلمهم .

ثم عَضَّ على أصْبعه السّبابة ثلاث مرات يقول فى كل مرة : آهٍ آهٍ ، قالوا : من هُوَ ياأمير المؤمنين .. ؟؟ قال : صاحب بريد يكتب إلىَّ بخبر هؤلاء على الصِّحة[٢٦١] . وأشد مايحتاج إليه الحاكم : العلم والفقه فى الدين ؛ لأنه إذا كان خاليا منهما ركب هواه وأضَرَّ برعيَّتِهِ كالدابة بلا راعٍ تمر فى غير طريق وقد تُتْلِفُ ماتمر به ؛ لأنه قد نصب لممارسة أخلاق الناس وفَصْل خصوماتهم وتعاطى حكوماتهم ؛ وكل ذلك يحتاج إلى عِلْم بارِع ، ونظر ثاقب ، وبصيرة قوية ، ودراسة طويلة .

وقالوا : آفة العقل الهوى ، وآفة الأمير سخافة الوزير .

وقيل لبعض الكتاب : لقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمر ، فقال : لا أبالى ، فقيل : ولم لاتبالى ؟ قال : إن صدق الناقل إلى أمير المؤمنين وَسِعَنِي عَفْوُه ، وإن كذب الناقل وَسِعَنى عَدْله .

كريم «بنى هاشم»

تفاخَرَ عَبْدان ، عَبْد لبنى هاشم وعبد لبنى أمية ، فكل واحد منهما قال : موالىَّ[٢٦٢] أكرم من مواليك ، فقالا : نمْضى ونجرِّب ، فمضى عبد بنى أمية إلى بعض مواليه وشكا من ضائقته وتألم من فاقَتِهِ فأعطاه عشرة آلاف درهم ، ومضى إلى آخر من مواليه فأعطاه عشرة آلاف درهم ، حتى طاف على عشرة

---

(٢٦١) عامل البريد الذى ينقل إليه الأخبار ولايخفيها عنه على وجهها الصحيح .

(٢٦٢) سادتى . والمولى : المعتِق ، والمولى الحليف ، والمولى الناصر .

منهم فاجتمع له مائة ألف درهم ، وقال : امْضِ أنت إلى «بنى هاشم» وجَرِّبهم فانظر إلى كرمهم .. ؟؟

فأتى إلى «الحسين بن على» رضى الله عنهما وشكا إليه حاله وفقره فأعطاه مائة ألف درهم ، ثم مضى إلى «عبد الله بن جعفر» وشكا إليه فأعطاه مائة ألف درهم ، ثم مضى إلى «عبد الله بن ربيعة» فأعطاه مائة ألف درهم ، ثم مضى بالمال إلى مولى بنى أمية فقال له : إن مواليك تعلموا الكرم من مواليَّ ، ولكن عُدْ بنا نُجرِّبْهم مرة ثانية ونعيد المال إليهم ، فمضى مولى بني أمية إليهم وقال لهم : قد آستغنيت عن هذه الدراهم وقد سهّل الله لى فُتُوحاً أَسُدُّ بها فقرى ولم يبق لى فى هذا المال حاجة وَأَعَدْتُه إليكم ، فأخذ كل واحد منهم دراهمه .

وحمل مولى «بنى هاشم» الدراهم إلى سادته وقال لهم : قد تَيَسر لى من مكان ما ، مازالتْ به حاجتى وانقضت فاقتى[٢٦٣] ، وقد أعدت المال الذى أخذته منكم فخذوه ، فقالوا له : نحن لانأخذ شيئا قد وهبْناه ، ولا تَعُودُ هِباتُنا تَخْتلط بأموالنا ، فإن كنت قد آستغنيت عن المال فَتصَّدق به !!!

خذلانُ النَّمام

فاسِقٌ أو مَشاءٌ بنميم

جاء رجل إلى «عمر بن عبد العزيز» رضى الله عنه فذكر عنده وشاية[٢٦٤] فى رجل، فقال: إن شئت حقّقنا هذا الأمر الذى تقول فيه ونظرنا فيما نسبته إليه ، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية ﴿إنْ جَاءَكُم فاسِقٌ بنبأ فَتبينوا﴾[٢٦٥] وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية ﴿هَمّازٍ مَشَّاءٍ

---

(٢٦٣) الفاقة : الفقر .

(٢٦٤) الوشاية النميمة والسعى بالفساد .

(٢٦٥) سورة «الحجرات» الآية (٦) .

بنميم﴾[٢٦٦] وإن شئت عفونا عنك . قال : العفو ياأمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً ..

النمام لايكون صدوقاً

وجاء رجل إلى «سليمان بن عبد الملك» فقال له : إن فلانا يقول عليك كذا ، فقال : ومن أخبرك ؟ فقال : أخبرنى صدوق فقال «سليمان» لايكون النَّمّامُ صدوقا ..

الساعى لعنهُ الله

وكتب رجل فى زمن «المعتصم» إن فلانا مات وخلف مالا كثيراً وليس له وارث غير ابن واحد ، فكتب «المعتصم» : أما المال فثمَّره الله ، وأما الميت فرحمه الله ، وأما اليتيم فَأَنْبَتَهُ الله نباتاً حسنا ، وأما السّاعى فَلَعَنَهُ الله[٢٦٧] ..

على الساعى ألف ألف لعنة ؟

وكتب رجل إلى «الصَّاحب بن عبّاد» : إن فلانا مات وترك عشرة آلاف درهم ولم يخلّف إلا بنتا واحدة ، فكتب على ظهر المكتوب : النِّصف للبنت ، والباق يُرَدُّ عليها ، وعلى الساعى ألف ألف لعنة .

لا تشك لغير الله

شكا رجل إلى آخر الفقر فقيل : ياهذا تشكو من يرحمك إلى من لايرحمك . وقال «الأحنف بن قيس» : شكوت إلى عمى وجعا فى بَطنى فنهرنى ثم قال : يا بن أخى إذا نزل بك شىء فلا تشكه إلى أحد ، فإنما الناس رجلان : صديق تسوؤه وعدو تسره ، والذى بك لاتشكه إلى مخلوق مثلك

---

(٢٦٦) سورة «القلم» الآية (١١) .

(٢٦٧) الساعى فى الفساد .

لايقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن آشكُ لمن ابتلاك به فهو قادر على أن يُفرِّج عليك ؛ يا بن أخى إحدى عينى هاتين ماأُبْصِرُ بها سَهْلا ولاجَبَلاً من أربعين سنة وماأطلعتُ على ذلك امرأتى ولا أحداً من أهلى .

هذا بقضاء الله

شكا جماعة من الصالحين لأمير المؤمنين ضرر الأتراك فقال لهم : أنتم تعتقدون أن هذا بقضاء الله فكيف أدفع قضاء الله ؟ فقال له أحدهم : صاحب القضاء قال : ﴿**وَلَوْلا دفعُ الله الناس بعضهم ببعض لفَسَدَت الأَرْض**﴾(٢٦٨) فأُفحِم الأمير .

الحكمة ضالَّةُ المؤمن

قال بعض العلماء : من تفرَّد بالعلم لم توحشه خلوة ، ومن تسلى بالكتب لم تَفُتْهُ سَلْوة ، وإن القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم . والحكمة شجرة تنبت فى القلب وتثمر فى اللسان ، وهى موقظة للقلوب من سنة الغفلة ، ومُنقذة للبصائر من سَكرة الحيرة ، ومُحيية لها من موت الجهالة ، ومستخرجة لها من ضيق الضلالة ، وقد أثنى الله سبحانه على الحكمة فقال ﴿**وَمَنْ يُؤت الحِكْمةَ فقَدْ أُوتِى خيْراً كثيراً**﴾(٢٦٩) ووصف الله بها «لقمان» عليه السلام فقال ﴿**وَلَقَدْ آتينا لُقمان الحكمة**﴾(٢٧٠) .

وقال ﷺ : «**قلبٌ ليس فيه من الحكمة شيء كبيت خراب** ،

(٢٦٨) سورة «البقرة» الآية (٢٥١) .
(٢٦٩) سورة «البقرة» الآية (٢٦٩) .
(٢٧٠) سورة «لقمان» الآية (١٢) .

ولا عامِرَ لَه»[٢٧١] وقال ﷺ : «**الحكمة ضالَّةُ المؤمن حيثما وجدها قَيَّدها**»[٢٧٢] ، وقال «لقمان» : «إن القلب ليحيا بالكلمة من الحكمة كما تحيا الأرض بوابل المطر» وقال «أبان بن مسلم» : كلمة حكمة من أخيك خير لك من مال يعطيك ، لأن المال يطغيك والكلمة من الحكمة تهديك .

وقال «بُقْراط» : من اتخذ الحكمة لجاماً اتَّخذه الناس إماما .

«ففهمناها سليمان»

صعد «سليمان بن عبد الملك» المنبر يوم الجمعة فسمع صوت ناقوس فقال : ماهذا ؟ قالوا : بيعة[٢٧٣] ياأمير المؤمنين ، فأمر بهدمها فهدمت ، فبلغ ذلك ملك الروم فكتب إليه : إن هذه البيعة أقرها من كان قبلك فإن كانوا أصابوا فقد أخطأت ، وإن تكن أصبت فقد أخطئوا ، فسأل «سليمان» من خواص دولته الجواب فأعياهم فقال «الفرذدق» : عن إذن أمير المؤمنين . قال : قُلْ . قال : يُكْتَبُ إليه ﴿**ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما**﴾[٢٧٤] فَسر بذلك وأمر له بعشرة آلاف درهم .

---

(٢٧١) وقال الرسول ﷺ أيضاً : «**نعم المجلس مجلس ينشر فيه الحكمة**» رواه الدارمى فى المقدمة ٢٨ . وقال ﷺ : «**عليك بالحكمة فإن الخير فى الحكمة**» رواه الدارمى فى المقدمة ٣٤ . وقال : «**ليس هدية أفضل من كلمة حكمة**» الدارمى فى المقدمة ٣٢ .

(٢٧٢) رواه الترمذى فى العلم ١٩ . وابن ماجه فى الزهد ١٥ .

(٢٧٣) البيعة : المعبد للنصارى واليهود .

(٢٧٤) سورة «**الأنبياء**» الآية (٧٩) .

كُفْرُ الشياطين

وَوَلى «المنصور» «سُليمان بن راشد» الموصل وضم إليه ألفا من العجم وقال له : قد ضممت لك ألف شيطان تُذِلُّ بهم الخلق . فلما أتى الموصل عاثوا فى البلاد وقطعوا السبل فآنتهى خبرهم إلى «المنصور» فكتب إليه : أكفرت النعمة يا «سليمان» ؟ فأجاب : ﴿**وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا**﴾ فقبل «المنصور» عذره وصرفهم عنه .

فسادُ الملك وصلاحيته

خلا «المقتدر» يوما ببطانته فقال إنا كنا فى أوّل أمْرنا لاننكر من حالنا ولا من حال الجند ولا حال الرعية شيئا . ثم صِرْنا ننكر الأحوال الثلاث : فليتكلم كل بما عنده . فأطرق الجماعة فقال : مالكم لاتتكلمون ؟ فقال «على بن عيسى الجراح» : أيد الله أمير المؤمنين إن مثل هذا لا يتكلم فيه أحد إلا خلوة ، قال «المقتدر» : فليقعد من عنده جواب عن ذلك ، فقاموا جميعاً إلا «على بن عيسى» ثم قال : سَدد الله الآراء العالية ومدها بالمعقبات الحافظة . إن الأمور (يعنى أمور الدولة) صلاحها واختلالها من قبل الوزراء وهم ولاة التدبير والنظر فكان أول وزير نظر فى الأعمال أمينا فى أموالكم كافيا فى خاصتكم عادلا فى رعيتكم ، فلم ينكر مولانا أمير المؤمنين من الأحوال الثلاثة شيئا ، إلا أن لهذا الوزير حسادا حسدوه على مكانه من السلطان ، وثناء الناس عليه فعملوا على عزله وإبعاده وكان ذلك ، وولى الثانى فلم يكن له بد من سد المكان الذى أتى منه الأول فآشتغل بمداراة الخاصة وقَبِل الجاهات ، وآحتاج إلى المصانعات ، فلم يكن له بُدٌّ من جور(٢٧٥) الرعية وهى أول مايمد يده إليها ليكفى أهل الجاه والشفاعات ، فضجت منه وخرجت عليه ، فلم يكن له بد من عزله . وولى الثالث فاحتاج إلى سدّ المكانين وإرضاء الجهتين ، وقد

---

(٢٧٥) جور الرعية : ظلمهم .

تشعبت الأحوال وتقلصت الأموال ، فلم يكن له بد من التغيير والتبديل لحاجة السلطان إلى ذلك ، فعم الاختلال فى الأحوال الثلاث .

فاستحسن المقتدر ذلك من «على» وقال : فما يصلح مااختل ويقبل ماأُدْبر ؟ قال : أن تولى من يقدم خوف الله فتأمن معه الرعية ، ثم يخافك فتأمنه فيما يجبيه إليك وفيما يخرجه عنك ، وإذا خاف الله وخافك احتجت أن تسد له مكان الخوف من الناس بكثرة استدعائهم والعمل بما أشار به ، وأن لاتجعل بينك وبينه واسطة ، فبهذا تتوفر الأموال وتصلح الأحوال وتبسط الأيدى بالدعاء وتكف أكُفّ الشفاعات والجاهات ، فقال «المقتدر» : قد قلدناك ماوراء(٢٧٦) بابنا واشترطنا لك ماشرطته لمن يتولى ذلك ، فقبل وانصرف إلى مكان الوزارة ، فكان أول مااستفتح به أن جعل الخرج أقل من الدخل ، وولى الكفاية ، وبلغ من السياسة والأمانة الغاية فصلحت الأحوال وانتظمت الرعية .

وصية «أبى بكر»

أوصى «أبو بكر» «عمر» رضى الله عنهما فقال : يا «عمر» إنى مستخلفك من بعدى وموصيك بتقوى الله تعالى ، إن لله عَملاً بالليل لايقبله بالنهار ، وعملا بالنهار لايقبله بالليل ، وإنه لايقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحق لميزان لايوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة بآتباعهم الباطل وخفته عليهم ، وحق لميزان لايوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا ، وأن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فإذا سمعت بهم قلت : إنى أخاف أن لاأكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأقبح أعمالهم وأمسك عن حسناتهم فإذا سمعت بهم قُلت أنا خير من هؤلاء ، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون

(٢٧٦) يصبح حاجبا له . والحجابة كالوزارة .

العبد راغبا راهبا ، ولايتمنى على الله غير الحق ، فإذا حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت ، ولن تُعجْزه .

عندى خير من ذلك

كان لـ «عبد الله بن الزبير» أرض قريبة لأرض «معاوية» فيها عبيد يعمرونها فدخلوا فى أرض «عبد الله» فكتب إلى «معاوية» : (أما بعد فإنه يا«معاوية» إن لاتمنع عبيدك من الدخول فى أرضى وإلا كان لى ولك شأن) فلما وقف «معاوية» على الكتاب دفعه إلى ابنه «يزيد» فلما قرأه قال : ماترى ؟؟ قال : أرى أن تنفذ إليه جيشاً أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه ، فقال : يابنى عندى خير من ذلك ، على بدواة وقرطاس وكتب إلى «عبد الله» يقول : وقفت على كتابك يا بن حوارى[٢٧٧] رسول الله ﷺ وساءنى والله ماساءك ، والدنيا هينة عندى فى جنب رضاك ، ولتضف الأرض إلى أرضك والعبيد إلى عبيدك ، والسلام .. فلما وقف «عبد الله» على كتاب «معاوية» كتب إليه : وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فلا عَدِم الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل .. والسلام . فلما وقف «معاوية» على كتاب «عبد الله» رماهُ إلى ابنه «يزيد» فلما قرأه بهت فقال «معاوية» : يابنى إذا رميت بهذا الداء داوه بهذا الدواء .

أعجب مارأى

قيل لـ«معاوية بن أبى سفيان» رضى الله تعالى عنهما : إن بالحيرة رجلا من «بنى جرْهم» قد عمر ورأى أعاجيب ، فقال «معاوية» : على به ، فلما حضر قال : مَن الرجل ؟؟ قال : «عبيد بن شربة» قال : ثم مِمَّن ؟ قال : من قوم لم يبق منهم بقية ، فقال : فكم مضى من عمرك ؟ قال : عشرون ومائة

---

(٢٧٧) قال رسول الله ﷺ : «لكل نبى حوارى ، وحواريى «الزبير»»

سنة ، قال : أخبرنى بأعجب مارأيت فى عمرك ؛ قال : نعم ياأمير المؤمنين ، كنت فى حى من العرب فمات عندهم ميت يقال له «عشير بن لبيد العذرى» فمشيت فى جنازته وتأسيت بجماعته ، فلما دفن فى قبره أدركتنى عليه عبرة ولم أستطع ردها وتمثلت بأبيات كنت سمعتها قديما ، وعلق الآن فى خاطرى منها هذه الأبيات :

ياقلْبُ إنك من أسْماء مغرور
فاذكر وهل ينفعك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ماتخفيه من أحد
حتى جرت لك إطلاقا محاظير
فلست تدرى ولاتدرى أعاجلها
أدنى لرشدك أم مافيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به
فبينما العُسْر إذ دارت مياسير
وبينما المرء فى الأحياء مغتبط (٢٧٨)
إذا هو فى الرمس تعفوه الأعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه
وذو قرابته فى الحى مسرور

فبينما أردد هذه الأبيات وعيناى تنسكبان إذ قال لى رجل إلى جنبى من «عذرة» : ياعبد الله هل تعرف قائل هذا الشعر ؟ قلت : لا والله ، قال : قائله هذا الميت الذى دفناه ، وأنت الغريب الذى تبكى عليه ولاتعرفه ولاتعلم أنه قائل هذه الأبيات ، وذو قرابته الذى ذكرت أنه مسرور هو ذاك ، وأشار إلى رجل فى الجماعة ، فرأيته لايستطيع كتمان ماهو عليه من المسرَّة .

فقال معاوية : يا أخا جُرهم سل ماشئت . قال : مامضى من عمرى ترده ، والأجل إذا حَضَر تدفعه ؟ قال : ليس ذلك لى سل غيره قال : ياأمير

---

(٢٧٨) الرمس : القبر ، وتعفوه الأعاصير . أى يصبح ترابا تذروه الرياح وتعفوه تمحوه .

المؤمنين ليس إليك رد شبابى ولا الآخرة فتكرم مآبى[279] ، والمال قد أخذت منه فى عنفوانى ماكفانى ؛ قال : لابد أن تسألنى ، قال : أما إذا شئت فمر لى برغيفين أتغدى بأحدهما وأتعشى بالآخر ، وآتق الله ، وآعلم أنك مفارق ماأنت فيه وقادم على ماقدمت ؛ فأمر له «معاوية» بأشياء من حنطة وغيرها فردها وقال : إن أعطيت المسلمين كلهم مثل ماأعطيتنى وإلا فلا حاجة لى فى ذلك ، ثم ودعه وآنصرف .

من الشجاع ؟

والشجاع من تكون شجاعته عند الفرار وفقد الأنصار .. ومن ذلك ثبات رسول الله ﷺ يوم «حنين» لايتزحزح ولايتخلخل وليس معه إلا عمه «العباس» آخذ بلجام دابته وابن عمه أبو سفيان بن الحارث ، وكان المسلمون يومئذ اثنى عشر ألفا فأعجبتهم كثرتهم حتى قال قائلهم : لن نغلب اليوم من قلة ، فانهزموا وثبت ﷺ وأخذ كفا من تراب فرمى به وجوه المشركين وقال : «**شاهت الوجوه**» فانهزموا .

أشجع الناس

وقال «أنس بن مالك» رضى الله عنه : [كان ﷺ أجمل الناس وجها ، وأجود الناس كفا ، وأشجع الناس قلبا ، لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس ثائرين قبل الصوت[280] فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا قد سبقهم إلى الصوت وسبر[281] الخبر على فرس لأبى طلحة عرى والسيف فى عنقه وهو يقول : «**لن تراعوا لن تراعوا**»[282] .

---

(٢٧٩) المآب : الرجعة .

(٢٨٠) قبل : ناحية وتجاه .

(٢٨١) عرف مصدره وسره .

(٢٨٢) ليس هناك مايروعكم .

شجاعة أبى بكر

ومن الشجعان «أبو بكر الصديق» رضى الله عنه فقد عرف بقوة الجأش وثبات القلب وشجاعة النفس والصبر فى المواطن الكريهة ، لما مات رسول الله ﷺ وانتقل إلى الرفيق الأعلى كذب «عمر» بموته وقال : ما مات وإنما واعده ربه كما واعد «موسى» وليُرجعنّه الله ، من قال : إن «محمداً» ﷺ مات علوته بسيفى هذا ، واعتراه ذهول حتى صار لايدرى أين يذهب .

وأما «عثمان» رضى الله عنه فدهش فجعل لايكلم أحداً ، وأما «على» رضى الله عنه فقعد فى البيت لم يبرح منه .

أما «أبو بكر» فقد كان فى ناحية من نواحى المدينة ، على ميل منها ، فلما بلغه الخبر دخل على رسول الله ﷺ وهو مُسَجى[٢٨٣] فكشف عن وجهه الكريم وأكب عليه وقبله وقال : طبت حيا وميتا وأعْوَلَ[٢٨٤] بالبكاء ثم خرج وهو رابط الجأش وثابت القلب مصيب فى القول فصعد المنبر وقال : بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لايموت ، ثم تلا : ﴿**وما محمد إلا رَسُول قد خَلَتْ من قَبْلِهِ الرُّسُل أفإ نْ ماتَ أو قُتل ٱنقلبتم على أعقابكم وَمَنْ يَنقَلبْ على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين**﴾[٢٨٥] فثاب[٢٨٦] إلى «عمر» عقله وقال : والله لكأنى لم أسمع بها قط فى كتاب الله قبل ماتنزل علينا .

ومن شجاعة أبى بكر موقفه من المرتدين ومانعى الزكاة ومقاتلتهم وردهم على أعقابهم خاسرين بعد معارك شرسه .

---

(٢٨٣) مُسَجى : مغطى بثياب .

(٢٨٤) العويل رفع الصوت بالبكاء والصياح .

(٢٨٥) سورة «آل عمران» الآية (١٤٤)

(٢٨٦) ثاب : رجع .

شجاعة «عمر»

ومن الشجعان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استجاب الله فيه دعوة رسوله ﷺ «**اللهم انصر الإسلام بأحد العمرين**»[٢٨٧] وكان من شجاعته أنه يضع يده اليمنى على أذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزه[٢٨٨] ويثب على فرسه فكأنما خلق على متنه[٢٨٩] .

لا فتى إلا «علىّ»

ومن الشجعان «على بن أبى طالب» رضى الله عنه وكان إذا ضرب لايثنى[٢٩٠] ومن كلامه : «**والله لاأبالى أسقطت على الموت أم سقط الموت على**» .

من أمثلة الشجاعة

ومن الشجعان «الأوس» و«الخزرج» من الأنصار ، قال «ابن عباس» فيهم : ماسُلت السيوف ولا زحفت الزحوف ولا أقيمت الصفوف حتى أسلم أبناء قيلة (يعنى الأوس والخزرج) ؛ وقد وصفهم مادح فقال : كانوا يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ويرغبون فى الآخرة كما ترغبون فى الدنيا ؛ وقال فيهم رسول الله ﷺ : «**إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلُّون عند الطمع**»[٢٩١] أى أنهم يريدون بقتالهم وجه الله والدار الآخرة لا يبتغون به مغنما من مغانم الدنيا .

---

(٢٨٧) «**عمر بن الخطاب**» ـــ رضى الله عنه ـــ و«**عمرو بن هشام**» ـــ«**أبو جهل**» قاتله الله ولعنه .
(٢٨٨) يقال جرمز أى انقبض واجتمع بعضه إلى بعض والجرامز : بدن الإنسان .
(٢٨٩) على ظهره .
(٢٩٠) يضربها ضربة واحدة .
(٢٩١) وصفهم بالشجاعة والعفة .

ومن الشجعان «معاذ بن عفراء» قطع كفه يوم «بدر» فبقى معلقا بجلدة بطنه ، فلم يزل يقاتل يومه أجمع وهو معلق حتى وجد ألمه ، فوضع رجله على يده وتمطى حتى قطع الجلدة .

ومن الشجعان «حكيم بن جبلة» حمل عليه[٢٩٢] رجل فى يوم من أيام حرة فقطع ساقه فأخذها فى يده وضرب بها من قطعها فصرعه ، ثم أتاه واتكأ عليه فقتله ، وقال مرتجزا :

ياساق لن تراعى * إن معى ذراعى
أحمى بها كراعى[٢٩٣]

سيف الله «خالد»

ومن الشجعان «خالد بن الوليد» رضى الله عنه لم يكن فى الجاهلية ولا فى الإسلام أشجع منه ، ولشجاعته سماه رسول الله ﷺ «سيف الله» ، وذلك أنه لم يهزم فى جاهلية ولا إسلام ، قال عند موته : مافى جسدى موضع إلا وفيه ضربه بسيف أو طعنة برمح أو جرح بسهم ، وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعير ، فلا نامت أعْيُنُ الجبناء .

ومن الشجعان «الزبير بن العوام» و«حارثة» و«المقداد بن الأسود» . يروى أن «عمرو بن العاص» بعث إلى «عمر بن الخطاب» وهو يحاصر مصر يطلب منه ثلاثة آلاف فارس فبعث إليه بهؤلاء الثلاثة ــ «الزبير» و«المقداد» و«حارثة» ــ فأقام كل واحد منهم مقام ألف فارس ، رضى الله عنهم .

رثاء «عمر» لرسول الله ﷺ

رؤى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد موت الرسول ﷺ يبكى

---

(٢٩٢) هجم وكرّ .
(٢٩٣) الكُراع من الإنسان مادون الركبة من مقدم الساق والجمع أكرع وأكارع .

ويقول : بأبى أنت وأمى[٢٩٤] يارسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتُسْمعهم فما حن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن ، فأمتك كانت بالحنين إليك لما فارقتهم أولى .

بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل ﴿ **مَنْ يُطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾[٢٩٥] .

بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب ، فقال الله تعالى : ﴿**عفا الله عنك لم أذنت لهم**﴾[٢٩٦] .

بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم فقال عز وجل : ﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم**﴾[٢٩٧] .

بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ﴿**ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا**﴾*

بأبى أنت وأمى يارسول الله لئن كان «موسى بن عمران» أعطاه الله حجراً تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نَبَعَ منها الماء ، صلى الله عليك .

بأبى أنت وأمى يارسول الله لئن كان «سليمان بن داود» أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر ، فماذا بأعجب من البُراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصُّبْح من ليلك بالأبطح[٢٩٨] صلى الله عليك .

---

(٢٩٤) أفديك .

(٢٩٥) سورة «النساء» الآية (٨٠) .

(٢٩٦) سورة «التوبة» الآية (٤٣) .

(٢٩٧) سورة «الأحزاب» الآية (٧) . * سورة «الأحزاب» الآية : ٦٦ .

(٢٩٨) الأبطح : أحد جبال «مكة» .

بأبى أنت وأمى يارسول الله لئن كان «عيسى بن مريم» أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مشوية فقالت لك الذراع : لاتأكلنى فإنى مسمومة .

بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد دعا «نوح» على قومه فقال : ﴿**رَبِّ لاتَذَرْ على الأرض من الكافرين دياراً**﴾* ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا ، فقد وطىء ظهرُك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك[299] فأبيت أن تقول إلا خيراً فقلت : [اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون] بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد اتبعك فى قلة سنك وقصر عمرك مالم يتبع «نُوحاً» فى كثرة سنه وطول عمره ، ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل .

بأبى أنت وأمى يارسول الله لو لم تجالس إلا كفؤا لك ماجالستنا ، ولو لم تنكح إلا كفؤا لك مانكحت إلينا ، ولو لم تواكل إلا كفؤا لك ماواكلتنا ، فلقد والله جالستنا ونكحت[300] إلينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك[301] ووضعت طعامك على الأرض ولعقت أصابعك تواضعاً منك صلى الله عليك وسلم .

دعاء الفرج

قال «الربيع» حاجب «المنصور» : لما تولى «أبو جعفر المنصور» الخلافة قال لى : يا«ربيع» ابعث إلى «جعفر بن محمد» فوالله لتأتنى به ولأقتلنه شر قتله فذهبت إليه فقلت : يا«أبا عبد الله» أجب أمير المؤمنين ، فقام معى فلما دنونا من الباب قام فحرك شفتيه ثم دخل فسلم فلم يرد عليه السلام ، ووقف فلم يجلس ثم رفع رأسه إليه فقال : يا«جعفر» أنت الذى ألبت على . !!

---

(٢٩٩) رباعيتك : الرَّباعية ــ بوزن الثمانية ــ : السن التى بين الثنية والناب والجمع رباعيات بالتخفيف . * **والآية رقم ٢٦ من سورة نوح .**

(٣٠٠) صاهرتنا وتزوجت منا .

(٣٠١) سمحت لغيرك أن يشاركك ركوب الدابة ، فقد أردف ابن عباس خلفه .

حدثنى أبى عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال : «**يُنصب للغادر لواء يوم القيامة يُعْرف به**»(٣٠٢) قال «جعفر بن محمد» : حدثنى أبى عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال : «**ينادى مناد يوم القيامة من بطنان العرش ألا فليقم من كان أجره على الله فلا يقوم من عباد الله إلا المتفضلون**» فسكن «أبو جعفر» ولان ، ثم قال : اجلس «أبا عبد الله» ثم دعا بطعام فأطعمه ، ثم قال للربيع أن يتبعه جائزته ، قال «الربيع» يا«أبا عبد الله» شهدت مالم تشهد وسمعت مالم تسمع وقد دخلت ورأيتك تحرك شفتيك عند دخولك إليه ، أشىء تأثره(٣٠٣) عن آبائك الصالحين !؟ قال : لا بل حدثنى أبى عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ كان إذا أحزَبَه أمر دعا بهذا الدعاء وكان يقول : (هو دعاء الفرج : «**اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام ، واكنِفنى بركنك الذى لايرام ، واحفظنى بعزك الذى لايضام(٣٠٤) ، وآكلأنى(٣٠٥) فى الليل والنهار ، وارحمنى بقدرتك علىَّ ، أنت ثقتى ورجائى فكم من نعمة أنعمت بها على قلَّ لك بها شكرى ، وكم من بلية ابتليتنى بها قل لك بها صبرى ، وكم لى خطيئة ركبتها فلم تفضحنى ، فيا من قل عند نعمته شكرى فلم يحرمنى ، ويا من قل عند بلائه صبرى فلم يخذلنى ، ويامن رآنى على الخطايا فلم يعاقبنى ، ياذا المعروف الذى لاينقضى أبداً ، وياذا الأيادى التى لاتحصى عددا ، وياذا الوجه الذى لايبلى أبداً ، وياذا النور الذى لايطفأ سرمداً ، أسألك أن تصلى على «محمد» وعلى آل «محمد» كما صليت وباركت وترحمت على «إبراهيم» وأن تكفينى شر كل ذى شر.بك أدرأ فى نحره وأعوذ بك من شره وأستعينك عليه . اللهم أعنى على دينى بدنياى ، وعلى آخرتى بالتقوى ، واحفظنى فيما غبت عنه ولا تكلنى إلى نفسى فيما حضرته ، يامن**

---

(٣٠٢) رواه البخارى فى الجزية ٢٢ ، والأدب ٩٩ ، والحيل ٩ . وأبو داود فى الجهاد ١٥٠ . والترمذى فى السير ٢٨ . واللواء : الراية .

(٣٠٣) أثر الحديث يأثره [مثل قتل يقتل] نقله .

(٣٠٤) الضيم : الذل .

(٣٠٥) احرسنى واحفظنى .

لاتضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اغفر لى مالايضرك ، وهب لى مالاينقصك ، ياإلهى أسألك فرجا قريباً وصبراً جميلا وأسألك العافية من كل بلية وأسألك الشكر على العافية ، وأسألك دوام العافية وأسألك الغنى عن الناس ، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ؛ اللهم بك أستدفع مكروه ما أنا فيه وأعوذ بك من شره ياأرحم الراحمين» ..

من مكارم الأخلاق

قال «خالد بن صفوان» : شهدت «عمرو بن عُبَيْد» ورجل يشتمه فما ترك منه شيئا[٣٠٦] ، فلما فرغ قال له «عمرو» : آجرك الله على ماذكرت من صواب وغفر لك ماذكرت من خطأ . قال : فما حسدت أحداً حسدى لعمرو على هاتين الكلمتين .

وشتم رجل «أبا ذر» فقال له : يا هذا لا تستغرق[٣٠٧] فى شتمنا ودع للصلح موضعا فإنا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .

ولقى رجل «علىّ بن الحسين» رضى الله عنهما فسبَّه فثارت عليه العبيد والموالى فقال «على» : مهلا أيها الرجل ، ثم أقبل عليه فقال : ماستر عنك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل ورجع إلى نفسه يلومها ، فألقى عليه على ثوباً كان عليه وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك يقول : أشهد أنك من أولاد الرسل .

ومر «المسيح» عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شراً وقال لهم خيراً ، فقيل له : إنهم يقولون شراً وتقول لهم خيراً فقال : كل واحد ينفق مما عنده .

ووفد قوم من قريش على «معاوية» رضى الله عنه فقالوا : السلام عليك يا«معاوية» ، فبسط لهم وجهه وألان قوله فطلبوا منه المصالحة فقال : ياوجوه قريش مالكم أتيتم من مكان بعيد ثم لم تجعلوا بين السلام والمصالحة حاجة

---

(٣٠٦) قال فيه مافى الخمر ، وجمع له الشتائم كلها .

(٣٠٧) لاتسرف ، ولاتتماد ، ولاتكثر واجعل لك حدا تقف عنده حتى يكون هناك مجال للصلح .

تطلبونها ؟! فقالوا ، والله ياأمير المؤمنين ماأتيناك إلا مفاخرين بأحسابنا مباهين لك برجالنا ، متعززين عليك بسيوفنا طالبين من مالك غير راضين باليسير من نوالك[٣٠٨] ، ولكنك بسطت الوجه وألنت المقال فاستغنينا بذلك عن طلب المال ، فقال : إذن والله لأجمعن لكم بين الحُسنيين[٣٠٩] ولأصرفنكم بما يقدم من تخلف عنكم[٣١٠] .

لا أعْلم !!! نصف العلم

سأل رجل «ابن عمر» رضى الله عنهما عن شيء فقال : لا أعلم ، ثم قال الرجل بعد أن ولى : نعم ماقال «ابن عمر» لما لم يعلم : لاأعلم .

وسئل «مالك بن أنس» رضى الله عنه عن ثمان وأربعين مسألة فقال فى اثنتين وثلاثين منها . لا أدرى .

وكان «عبد الله بن يزيد» يقول : ينبغى للعالم أن يورث جلساءه من بعده : لاأدرى ، حتى يكون أصلا منه فى أيديهم إذا سئل أحدهم عما لايعلم أن يقول : لاأدرى . لاأدرى .

وسئل «الشعبى» عن مسألة فقال : لاأعلم ، فقيل : ألا تستحى وأنت فقيه العراقين[٣١١] ؟ قال : لا أستحى مما لاتستحى منه الملائكة حين قالت : ﴿لا عِلْمَ لَنا إلا ماعَلَّمْتَنا﴾[٣١٢] .. وقال «سفيان بن عيينة» : كنت فى حلقة رجل من ولد «عبد الله بن عمر» رضى الله عنهما فسئل عن شيء فقال : لاأدرى ، فقال «يحى بن سعيد» : العجب منك كل العجب تقول لا أدرى وأنت ابن إمام الهدى ؟ فقال : أعجب منى عند الله من قال بغير علم

---

(٣٠٨) النوال : العطاء والجود والكرم .

(٣٠٩) حسن اللقاء ، وكريم العطاء .

(٣١٠) يجعله يُقدم على كل قدمه راغبا فى حسن لقائى وكريم عطائى .

(٣١١) العراقين : الكوفة والبصرة .

(٣١٢) سورة «البقرة» الآية (٣٢) .

وحدَّث بغير ثقة .

وسئل «على» كرم الله وجهه عن شيء وهو على المنبر فقال : لاأدرى ، فقيل : ليس هذا مكان الجهال ، فقال : هذا مكان الذى يعلم شيئا ويجهل شيئا ، وأما من يعلم ولايجهل فليس له مكان[٣١٣] .

.. وسئل «أبو يوسف» عن شيء فقال : لاأدرى ، فقيل له : تأكل من بيت المال كل يوم كذا وكذا وتقول لاأدرى . فقال : آكل منه بقدر علمى ، ولو أكلت بقدر جهلى ماكفانى مافى الدنيا جميعاً .. وقال أعرابى : لاتقل فيما لاتعلم فتتهم فيما تعلم ..

لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق

عن «على» كرم الله وجهه(أن رسول الله ﷺ بعث جيشا وأمَّر عليهم رجلا[٣١٤] وأَمَرَهم أن يسمعوا له ويطيعوه ، فأجج ناراً وأمرهم أن يقتحموا فيها فأبى القوم أن يدخلوها وقالوا : إنما فررنا من النار .

وأراد قوم أن يدخُلوها فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : **«لو دَخلُوها لم يزالوا فيها وقال : لا طاعة فى معصية الله إنما الطاعة فى المعروف»**[٣١٥]

مايجب على الصديق للصديق

يجب للصديق على صديقة : النصيحة جهده ، فقد قالوا : صديقُ الرَّجُلِ مرآته ، تُريِه حسناتِه وسيئاته .

وقالوا : **«الصديق من صدقك وُدَّه ، وبذل لك رِفدَه»**[٣١٦] .

(٣١٣) يعنى الله تعالى ، الذى وسع كل شيء علما .

(٣١٤) الرجل : هو «عبد الله بن حذافة» السهمى — رضى الله عنه — ، من صحابة رسول الله ﷺ ، وكانت فيه دُعابة .

(٣١٥) رواه البخارى فى الأحكام ٤ ، والآحاد ١ . ومسلم فى الإمارة ٤٩ ، ٤٠ . وأبو داود فى الجهاد ٨٧ .

(٣١٦) الرِّفد — بكسر الراء — العطاء والصلة . ورفده : أعانه .

وقالوا : «خير الإخوان من أقبل عليك ، إذا أدبر الزمان عنك .

وقال الشاعر :

فإن أولى الموالى أن تواليه . . عند السرور لمن واساك فى الحزنِ
إن الكرام إذا ماأسهلوا[317] ذكروا . . من كان يألفهم فى المنزل الخشِنِ[318]

«ابن المسيب» وعمر بن عبد العزيز

سمع «سعيد بن المسيب»[319] ذات ليلة فى مسجد رسول الله ﷺ «عمر ابن عبد العزيز» يجهر بالقراءة فى صلاته ، وكان حسن الصوت ، وهو إذ ذاك أمير المدينه ، فرفع «سعيد» صوته وقال : أيها المصلى ، إن كنت تريد الله بصلاتك فاخفض صوتك ، وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، فسكت وخفف ركعته ثم أخذ نعله وخرج .

فضل العقل

يقال : العقل كالبعل ، والنفس كالزوجة ، والجسم كالبيت ، فإذا سلط العقل على النفس اشتغلت النفس بمصالح الجسم كما تشتغل المرأة المقهورة بمصالح البيت ، فصلحت الجملة ، وإن غلبت النفس كان سعيها فاسداً كالمرأة التى قهرت زوجها ففسدت الجملة ..

لم تضرُّهُ ذنُوبُهُ

وعن «أنس» رضى الله عنه قال : [يارسول الله يكون الرجل حسن العقل كثير الذنوب ؟ قال : مامن آدمى إلا وله ذنوب وخطايا يقترفها ، فمن كانت

---

(٣١٧) أى إذا ماوُسِّعَ عليهم .

(٣١٨) أى وقت شدتهم .

(٣١٩) «سعيد بن المسيب» ، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بـ «المدينة» ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع .. ، كانت وفاته سنة (٩٤) هـ . ـــ رضى الله عنه ـــ .

سجيته وغريزته اليقين لم تضره ذنوبه) .

قيل : لأنه كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة وندامة على ماكان منه ، فيمحو ذنوبه ، ويبقى له فضل فيدخل به الجنة .

الإخاء والصحبة

قال ﷺ : «**تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة**»(٣٢٠) وقال «على» رضى الله عنه : لايكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه فى ثلاث : فى نكبته وغيبته ووفاته .

وقال «عمر» رضى الله عنه : ثلاث يثبتن الود فى صدر أخيك : أن تبدأه بالسلام ، وأن توسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه .

وقال «سقراط» : أثْنِ على ذى المودة خيراً عند من لقيت ، فإن رأس المودة حسن الثناء ، كما أن رأس العداوة سوء الذكر .

وقال أيضاً : لاتكون كاملا حتى يأمنك عدوك ، فكيف بك إذا لم يأمنك صديقك ؟

وكان «هشام بن عبد الملك» يَعْتم(٣٢١) فقام إليه «الأبرش الكلبى» ليسوى عمامته فقال : مَه(٣٢٢) إنا لانتخذ الإخوان خولا(٣٢٣) (خدما) .

وقام «عمر بن عبد العزيز» رضى الله عنه فأصلح سراجه فقال له بعض جلسائه : لم لَمْ تأمرنى بذلك ؟ قال : ليس من المروءة استخدام المرء جليسه ؛

وقال فيلسوف : الصَّديق اسم بلا مُسَمّى .

---

(٣٢٠) رواه الترمذى فى كتاب البر من السنن .
(٣٢١) يقوم بإدارة العمامة على رأسه .
(٣٢٢) مه : اسم فعل أمر بمعنى كف وتوقف واسكت .
(٣٢٣) الخول : الخدم وهم من خولناهم خدمتنا .

وقال آخر : أبعد الناس سفراً من كان سفره فى طلب أخ صالح ، وقال «أبو الحسن» :

تَطَلَّبْتُ فى الدنيا خليلا فَلَمْ أجد
وما أحد غَيْرى لذلك واجد
فَكَمْ مُضمِرٍ بغضاً يُريك مَحَبَّة
وفى الزند[٣٢٤] نار وهو فى اللمس بارد

وقال آخر :

سَأَلْتُ النَّـــاس عن حُرٍّ وَفـــــىٍّ
فقالـــــوا : ما إلى هذا سبيـــــل
تَمَسَّك إنْ ظَفِـــرْتَ بودِّ حُـــر
فإن الحرّ فى الدُّنيـــــا قليـــــل

وقال «أبو الحسن» رضى الله عنه : إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب[٣٢٥] .

وكان «ابن المبارك» لايجالس إلا كُتُبَهُ فقيل: ألا تَسْتَوْحِشْ؟[٣٢٦] فقال كيف أستوحش وأنا أجالس الله تعالى والملائكة والأنبياء والعلماء والخلفاء والأولياء والشهداء ؟! أفَتَرَوْن أَنْ أَدَعَ مجالسة هؤلاء وأُجالسكم ؟!

وقيل لإبراهيم بن أدهم : لم لاتَصْحَب الناس ؟ فقال : إن صَحِبْت من هو دونى آذانى بجَهْله ، وإن صحبت من هو فوقى تكبَّر على وإن صحبت من هو مثلى حسدنى ، فاشتغلت بمن ليس فى صحبته ملال ولا فى وصله انقطاع ولا فى الأنس به وحشة .

---

(٣٢٤) الزند موصل الذراع فى الكف والمراد اليد .
(٣٢٥) لاهمّ لهم إلا التجسس على العيوب .
(٣٢٦) ألا تحس بالوحشة بسبب عدم مجالسة الناس ؟!

فى الأكل بين الاعتدال والشَّرَه

قال ﷺ «ماأكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده»[٣٢٧] وقال لقمان : من احتمى من الأغذية استغنى عن الأدوية .

وقيل ليوسف عليه السلام : مالك لاتشبع وفى يدك خزائن الأرض ؟ فقال : «إنى إذا شبعت نسيت الجائعين». وعن «أنس» رضى الله عنه قال : إن من السرف أن تأكل كل مااشتهيت .

حُسْن الخلق

قال الله تعالى : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[٣٢٨] وقال ﷺ : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٣٢٩] . وقال «عبيد بن عمير» : «قلت لعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : صفى لى خُلُق رسول الله ﷺ ، فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ كان خلقه القرآن».. والقرآن يجمع كل فضيلة ويحث عليها ، وينهى عن كل نقيصة ويخوِّف منها . ولما نزل قوله تعالى : ﴿خُذِ العفو وأْمُر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[٣٣٠] قال النبى ﷺ : «ماهذا ياجبريل ؟ قال : إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك»[٣٣١] .

وإنما اقتصر «جبريل» على هذه الكلمات لأنها أصول الفضائل وينبوع المناقب ، لأن فى أخذ العفو صلة القاطع والصفح عن الظالم وإعطاء المانع .

---

(٣٢٧) رواه البخارى فى البيوع ١٥ .
(٣٢٨) سورة «القلم» الآية (٤) .
(٣٢٩) رواه مالك فى الموطأ ، باب حسن الخلق ، ٨ .
(٣٣٠) الأعراف : ١٩٩ .
(٣٣١) انظر البخارى باب بدء الوحى ٣ ؛ ففيه قول خديجة لرسول الله ﷺ الذى تصفه فيه بهذه الصفات .

وفى الأمر بالمعروف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان وغض الطرف عن المحرمات .

وفى تقوى الله يدخل جميع آداب الشرع فَرْضها ونفلها .

وفى الإعراض عن الجاهلين الصفح والحلم وقوة النفس عن مماراة السفيه . فهذه الأصول الثلاثة تتضمن محاسن الشرع نصاً وتنبيهاً وضمنا واعتباراً . وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى : ﴿**وقُولُوا للناس حُسْنا**﴾[٣٣٢] أى كل من لقيته فقل له حسناً من القول . قال «أبو هريرة» رضى الله عنه : (قيل للنبى ﷺ : ادع على المشركين) ، فقال : «**إنى لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة**»[٣٣٣] وقال «يعقوب» لبنيه : (احفظوا عنى خصلتين : ما انتصفت من ظالم قط قولا وفعلا ومارأيت حسنة إلا وأفشيتها ، ومارأيت سيئة إلا وسترتها ، كذلك فافعلوا) .

بَيْن «يحيى» و«عيسى» عليهما السلام

وروى أن «عيسى» و«يحيى» عليهما السلام التقيا فقال «يحيى» لعيسى : (تلقانى ضاحكا كأنك آمنٌ .. ؟! فقال «عيسى» : وأنت تلقانى عابسا كأنك يائس ، فأوحى الله إليهما أن أحبكما إلىَّ أَبَشّكُما بصاحبه) .

وروى أن «أبا عثمان الحيرى» دعاه إنسان إلى ضيافته فلما جاء إلى باب الدار قال : ياأستاذ ليس لى حاجة فى دخولك إلى دارى ولقد ندمت ؛ فانصرف رحمك الله .

ورجع «أبو عثمان» ، فلما رجع إلى منزله رجع إليه الرجل يعتذر وقال : احضر الساعة ، فقام «أبو عثمان» معه فلما وافى باب داره قال له الرجل مثل ماقال فى الأولى وأخذ يعتذر ، يفعل به ذلك أربع مرات وأبو عثمان ينصرف

---

(٣٣٢) سورة «البقرة» الآية (٨٣) .

(٣٣٣) رواه مسلم فى البر ٨٧ .

ويعود فقال الرجل : ياأستاذ أردت اختبارك والوقوف على أخلاقك ، وجعل يعتذر ويمدحه فقال «أبو عثمان» : لا تمدحني على خُلُق تجد مثله في الكلاب ، فالكلب إذا دُعي حضر ، وإذا زُجرَ آنزَجَر .

وكان لبعض النساك شاة فرآها على ثلاث قوائم فقال : من فعل هذا بها ؟ فقال غلامه : أنا فعلته ، قال : ولم ؟ قال : لأغمَّك بها ، فقال الناسك . لأُغُمَّنَّ من أمرك بهذا (يعني الشيطان) اذهب فأنت حُرّ .

وَصْف منبره ﷺ

ذكر «ابن بطوطة»[٣٣٤] في رحلته أن «تميما الداري» رضي الله عنه هو الذي صنع المنبر الشريف ؛ وقيل : إن غلاما للعباس رضي الله عنه هو الذي صنعه ، وقيل غلام لامرأة من الأنصار ، وورد ذلك في الحديث الصحيح ، وصُنِع من طرفاء الغابة ، وقيل من الأثل ،[٣٣٥] وكان له ثلاث درجات فكان رسول الله ﷺ يقعد على عُلْياهُنَّ ويضع رجليه الكريمتين في وُسْطاهن فلما ولي «أبو بكر» رضي الله عنه قعد على وسطاهن ووضع رجليه في أولاهُنَّ ، فلما ولي «عمر» رضي الله عنه جلس على أولاهن وجعل رجليه على الأرض ، وفعل ذلك «عثمان» رضي الله عنه صدراً من خلافته ثم ترقى إلى الثالثة ، ولما أن صار الأمر إلى «معاوية» رضي الله عنه أراد نقل المنبر إلى الشام فضج المسلمون ، فلما رأى ذلك تركه وزاد فيه ست درجات .

رجل من العامة يقاضي «المأمون»

دخل رجل على «المأمون» وفي يده رقعة فيها مَظْلمة من أمير المؤمنين ، فقال أمظلمة مني ؟ فقال الرجل : أفأخاطب ياأمير المؤمنين سواك ؟ قال : وما هي ظُلامَتكَ ؟ قال : إن «سعيداً» وكيلك اشترى مني جواهر بثلاثين ألف

---

(٣٣٤) الرحالة الطنجي : «محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي» صاحب كتاب : [تُحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار] .

(٣٣٥) الطرفاء والأثل : نباتان صحراويان ، من الشجر .

دينار .. ، قال : فإذا اشترى «سعيد» منك الجواهر تشكو الظلامة منى ؟ قال : نعم إذا كانت الوكالة قد صحت منك . قال : لعل «سعيداً» قد اشترى منك الجواهر وحمل إليك المال أو اشتراه لنفسه وعليه حقه فلا يلزمنى لك حق ، ولا أعرف لك ظلامة ، فقال له : إن فى وصية «عمر بن الخطاب» لقضاتكم : «البينة على من ادعى واليمين على من أنكر» قال «المأمون» : إنك قد عدمت البينة فما يجب لك إلا حلفة ، ولئن حلفتها لأنا صادق إذ كنت لأعرف لك حقا يلزمنى . قال الرجل : إذن أدعوك إلى القاضى الذى نصبته لرعيتك ، قال : نعم ؛ ياغلام على بيحيى بن أكثم ، فإذا هو قد مثل بين يديه ، فقال له «المأمون» : اقض بيننا ، قال : فى حكم وقضية ؟ قال : نعم ، قال : إنك لم تجعل ذلك مجلس قضاء ! قال : قد فعلت ، قال : فإنى أبدأ بالعامة أولا ليصلح المجلس للقضاء ، قال : افعل ، ففتح الباب ، وقعد فى ناحية من الباب وأذن للعامة ، ثم دعا بالرجل المتظلم ، فقال له «يحيى» : ماتقول ؟ قال : أقول أن تدعو بخصمى أمير المؤمنين «المأمون» ، فنادى المنادى ، فإذا «المأمون» قد خرج ومعه غلام يحمل مصلى حتى وقف على «يحيى» وهو جالس ، فقال له «يحيى» : اجلس ، فطرح المصلى ليقعد عليها ، فقال «يحيى» : ياأمير المؤمنين لا تأخذ على خصمك شرف المجلس ، فطرح مصلى لخصمه ، ثم نظر دعوى الرجل وطالب «المأمون» باليمين ، فحلف ، ووثب «يحيى» بعد فراغ «المأمون» من يمينه فقام على رجْلَيْه فقال له «المأمون» : ماهذا ؟ قال : إنى كنت فى حق الله عز وجل حتى أخذته منك ، وليس الآن من حقى أن أتصدر عليك ، فأمر «المأمون» بالمال المدَّعى وقال ليحيى : خُذهُ إليك ، والله ماكنت أحلف على يمين فاجرة ثم أسمح لك بالمال فأفسد دينى ودنياى .

لاشىء أمر من الفقر !!

○ قال «لقمان» لابنه : يابنى أكلتُ الحنظل وذُقْتُ الصبر فلم أر شيئاً أمر

من الفقر ، فإن افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ، ولكن آسأل الله تعالى من فضله ، فمن ذا الذى سأل الله فلم يعطه ؟ أو دعاه فلم يجبه ؟ أو تضرَّعَ إليه فلم يكشف مابه ؟ .

رأى العباس بن عبد المطلب

○ وكان «العباس»(٣٣٦) رضى الله عنه يقول : الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس ، وهو عندهم أعذب من الماء ، وأرفع من السماء ، وأحلى من الشهد ، وأذكى من الورد ، خطؤه صواب ؛ وسيئاته حسنات ، وقوله مقبول ، يرفع مجلسه ، ولا يمل حديثه .

والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب ، وأثقل من الرصاص ، لايُسلَّم عليه إن قدم ، ولايُسْأَل عنه إن غاب ، .. إن حضر آزدروه ، وإن غاب شتموه ، وإن غضب صفعوه .. مصافحته تنقض الوضوء ، وقراءته تقطع الصلاة .

○ وقال بعضهم : شهدت الزحوف(٣٣٧) وغالبت الأقران(٣٣٨) فلم أر قريناً أغلب للرجل من المرأة السوء ، ونظرت إلى كل مايذل القوىَّ ويكسره ، فلم أر شيئاً أذل له ولا أكسر من الفاقة ، وقال الشاعر :

وَكُلُّ مُقِلٍّ(٣٣٩) حينَ يغدو لِحاجَةٍ
إلى كل مايَلقى مِنَ الناس مُذْنب
وكان بَنُو عَمّي يقولون مَرْحباً
فلما رأوني مُعدماً(٣٤٠) مات (مَـرْحَبُ)

---

(٣٣٦) «العباس بن عبد المطلب» ــ رضى الله عنه ــ ، عم النبى ﷺ ، وكان مشهوراً بحبه للمال وحرصه عليه .

(٣٣٧) جمع زحف . الحروب والمعارك .

(٣٣٨) المماثلين فى الشجاعة .

(٣٣٩) المقل : من ليس لديه مال .. الفقير .

(٣٤٠) مُعدما ، فقيرا ..

«عمرو بن عبيد» و«المنصور»

دخل «عمرو بن عبيد»(٣٤١) على «المنصور» فقرأ ﴿والفَجْر وليالٍ عَشْرٍ﴾ حتى بلغ : ﴿إنّ رَبَّكَ لَبالمِرْصاد﴾(٣٤٢) ثم قال : أى لهم ولمن عمل مثل عملهم ، فاتق الله ياأمير المؤمنين فإن ببابك نيراناً تتأجج لا يعمل فيها بكتاب الله ، ولا بسنة رسول الله ﷺ ، وأنت مسئول عما اجترحوا(٣٤٣) وليسوا مسئولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك .

أما والله لو علم عمالك أنه لايرضيك منهم إلا العدل لتقرب به إليك من لايريده ، فقال له «سليمان بن مجالد» : اسكت فقد غَمَمْت أمير المؤمنين ، فقال «عمرو» : ويلك يا «ابن مجالد» كفاك أنك خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين حتى أردت أن تحول بينه وبين من ينصحه .

اتق الله ياأمير المؤمنين فإن هؤلاء قد اتخذوك سُلَّما إلى شهواتهم ، فأنت كالماسك بالقرون وغيرك يحلب ، وإن هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيئا !! ..

ذل السؤال

عن «عبد الرحمن بن عوف» رضى الله عنه قال : (كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : «ألا تبايعون رسول الله ﷺ ؟» فبسطنا أيدينا وكنا حديثى عهد بالمبايعة فقلنا : قد بايعناك يارسول الله ، فعلام نبايعك ؟ قال : «أن تعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله» وأسرَّ كلمة خفية وهى «ولا تسألوا الناس شيئا» قال «عبد الرحمن» : فرأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه) .. رواه مسلم .

---

(٣٤١) «عمرو بن عبيد» ، أبو عثمان البصرى ، شيخ من شيوخ المعتزلة ، وأحد الزهاد المشهورين .
(٣٤٢) الفجر (من ١ — ١٤) .
(٣٤٣) اجترح الإثم : ارتكبه .

وقال ﷺ : «**لأن يأخذ أحدكم حَبْله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا فيسأله أعطاهُ أوْ مَنَعَهُ**»(٣٤٤) وأوحى الله إلى «موسى» عليه السلام « لأن تدخل يدك فى فم التنين إلى المرفق خير لك من أن تبسطها إلى غنى قد نشأ فى الفقر » وقال «لقمان» لابنه : (يابنى إياك والسؤال فإنه يذهب ماء الحياء من الوجه ، وأعظم من هذا استخفاف الناس بك) وقال رجل لابنه : إياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه ، وقيل : أحب الناس إلى الله من سأله ، وأبغض الناس إلى الناس من احتاج إليهم .

أربع ... وأربع

[من الحديث الشريف] :

(أربع) من سنن المرسلين : الختان والسواك والتعطر والنكاح .

(أربع) لو شد إليهن المطايا(٣٤٥) كان قليلا : لايَرجُون عبد إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه ، ولا يستحى الجاهل أن يتعلم ، ولا يستحى العالم إذا سئل عما لايعلم أن يقول : لا أعلم .

(أربع) من كن فيه وجبت له الجنة ، من ملك نفسه حين يرغب ، وحين يرهب ، وحين يغضب ، وحين يشتهى .

(أربع) خصال لن تعدموهن : إذا مس أحدكم ضُرٌّ فليحدث إخوانه فإما مواساة ، أو معونة بجاه ، أو مشورة مباركة أو دعاءٌ مستجابٌ .

رُبَاعِيَّات

(أربعة) يسود بها المرء : الأدب والعلم والعفة والأمانة .

---

(٣٤٤) رواه النسائى فى الزكاة ٨٥ . ومالك فى الصدقة ١٠ .

(٣٤٥) لو تعب الإنسان فى سبيلهن وتحمل ماتحمل من مشاق السفر إليهن لكان قليلا فى سبيل الحصول عليها ، والتحلى بها .

(أربعة) ينبغى للعاقل أن يمنع نفسه منها : العجلة واللجاجة والعجب والتوانى .

(أربع) لابقاء لها : مودة الأشرار ، والبيت الذى ليس فيه تقدير ، والمال الحرام ، والكسب الذى ليس معه تدبير .

(أربع) إذا كن فى الرجل أهلكته : محبة النساء والقمار والصيد والخمر .

(أربع) كلمات أجمعت العرب والعجم عليها : لاتحملنَّ على نفسك مالا تطيق ، ولا تعملن عملا ليس لك فيه منفعة ، ولا تثق بامرأة ، ولاتغتر بمال وإن كثر .

(أربع) يهرمن العمر وربما قتلن : الحَمَّامُ على البِطْنة (امتلاء البطن) ، والمجامعة على الامتلاء ، وأكل القديد الجاف ، وشرب الماء البارد على الريق .

(أربعة) تزيد ماء الوجه : الوفاء بالعهد ، والكرم ، والكلام الطيب ، وطاعة الله سبحانه وتعالى .

(أربعة) لاتدرك بأربع : الشباب بالخضاب ، والغِنَى بالمُنَى ، والبقاء بالدواء ، والصحة بالبطنة .

(أربع) ترفع الرَّجُل وإن قل علمه : الحلم ، والتواضع ، والسخاء وحسن الخلق .

(أربعة) أشياء لاتطلبها فى آخر الزمان فإنك لاتجدها : لاتطلب عالماً يعمل ؛ فتبقى جاهلا ، ولا تطلب طعاما بغير شهية ، فتبقى جائعاً ، ولاتطلب صديقا بغير عيب ؛ فتبقى وحيداً ، ولا تطلب عملا بغير رياء ، فتبقى بلا عمل .

(أربعة) لا يثبت معها ملك : غش الوزير ، وسوء التدبير ، وخبث النية ، وظلم الرعية .

(أربعة) تؤكد المحبة : حسن الْبِشْر وبذل البر وقصد الوفاق وترك الشقاق .

(أربعة) من علامات الكرم ، بذل الندى وكف الأذى وتعجيل المثوبة وتأخير العقوبة .

(أربعة) من علامات اللؤم : إفشاء السر ، واعتقاد الغدر ، وغيبة الإخوان ، وإساءة الجوار .

(أربعة) تؤدى إلى أربعة : الصمت إلى السلامة ، والبر إلى الكرامة ، والجود إلى السياسة ، والشكر إلى الزيادة .

(أربعة) تعرف بأربعة : الكاتب بكتابته ، والعالم بجوابه ، والحكيم بأفعاله ، والحليم باحتماله .

(أربعة) تقوى البدن : أكل اللحم ، وشم الطيب ، وكثرة الغسل بغير جماع ، ولبس الكتان .

(أربعة) تمرض الجسم : الكلام الكثير ، والنوم الكثير ، والأكل الكثير ، والجماع الكثير .

(أربع) تزيد فى العقل : ترك فضول الكلام ، والسواك ، ومجالسة الصالحين ، ومصاحبة العلماء ..

المال فيه صلاح الأمة وفسادها

هكذا كانت الرسل ..

قال الإمام «الطرطوشى» صاحب «سراج الملوك» : كانت الرسل والخلفاء من بعدهم تبذل الأموال ولا تدخرها ، وتصنع الرعية وتوسع عليها ، فكانت الرعية هم الأجناد والحماة .

مثل من سيرة نبينا ﷺ

وهذه سيرة نبينا ﷺ وقد علمتم أن جوعه كان أكثر من شبعه ، وأنه مات ودرعه مرهونة فى صاع من شعير عند يهودى ، وكذلك الخلفاء الراشدون بعده «أبو بكر» و«عمر» و«عثمان» و«على» وابنه «الحسن» و«عمر بن عبد العزيز» .

حتى لايبقى فى البيت درهم

وروى «أبو داود» فى السنن : (أن النبى ﷺ صلى العشاء الآخرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعا وفى يده خُريقة(٣٤٦) فيها ذهب فقسمه ثم قال : « ماظَنُّ آل محمد لو أدركه الموت وهذا عنده ») ؛ ولم يكن للنبى ﷺ بيت مال ولا للخلفاء الراشدين بعده ، وإنما كان الخلفاء تقسم الأموال التى جُبيت من حِلهِّا بين المسلمين ، وربما يفضل منها فضلات فيجعل فى بيت ، فمن حضر من غائب أو احتاج من حاضر ، قسم له حظه ، ثم يفرق حتى لا يبقى فى البيت منه درهم .

لو قد جاءَنى مال

ولما وَلى «أبو بكر الصديق» رضى الله عنه جاءه أموال من عماله فَصُب فى المسجد وأمر فنادى : من كان له عند رسول الله ﷺ دَيْن أو عدة(٣٤٧) فليحضر ، قال «أبو أيوب الأنصاري» : فجئته فقلت : ياخليفة رسول الله إن النبى ﷺ قال لى : «**لو قد جاءنى مال أعطيتك هكذا وهكذا**» وأشار بكفيه ، فسكت «أبو بكر» فانصرفت ، ثم عاودته فسكت عنه ثم انصرفت ، وعاودته فقلت : إما أن تعطينى وإما أن تبخل عنى ، فقال : ما أبخل عنك ، اذهب فَخُذْ ، فحفنت حفنة ، قال : عدها فعددتها فوجدت فيها خمسمائة دينار .

---

(٣٤٦) الخرقة : قطعة من الثياب . والخريقة تصغير خرقة .

(٣٤٧) وعده بمال عند الميسرة .

لا وربِّ الكعْبة !!

ولما فتحت العراق جيء بالمال إلى «عمر» فقال صاحب بيت المال : أدخله بيت المال ؟ فقال : لا ورب الكعبة لايوضع تحت سقف بيت حتى نقسمه ، فغطى فى المسجد بالأنطاع[٣٤٨] وحرسها رجال من المهاجرين والأنصار ، فلما أصبح نظر إلى الذهب والفضة والياقوت والزبرجد والدر يتلألأ فبكى ، فقال له «العباس» أو «عبد الرحمن بن عوف» : ياأمير المؤمنين والله ماهذا بيوم بكاء ولكنه يوم شكر وسرور ، فقال : إنى والله ماذهبت حيث ذهبت[٣٤٩] ولكنه والله ماكثر هذا فى قوم إلا وقع بأسهم بينهم ؛ ثم أقبل على القبلة ورفع يديه وقال : اللهم إنى أعوذ بك من أن أكون مستدرجاً فإنى أسمعك تقول : «**سَنَستدرجُهم من حَيْث لايعلمون**»[٣٥٠] ثم قال : أين «سراقة بن مالك بن جعشم» فأتى به أشعر الذراعين دقيقهما وأعطاه سوارى كسرى وقال : البسهما ، ففعل ، فقال : الله أكبر الله أكبر . قل الحمد لله الذى سلبهما «كسرى» وألبسهما «سراقة بن جعشم» أعرابيا من بنى مدلج ثم قبلهما وقال : إن الذى أدى هذا لأمين ، فقال رجل : أنا أخبرك .

أنت أمين الله تعالى وهم يؤدون إليك ماأديت لله تعالى ، فإذا رتعت رتعوا ، قال : صدقت . وإنما ألبسهما «سراقة» لأن النبى ﷺ قال لسراقة فى طريق الهجرة وقد نظر إلى ذراعيه «**كأنى بك وقد لبست سوارى «كسرى»**» ولم يجعل له إلا السوارين .

---

(٣٤٨) الأنطاع : مفردها : نطع ، وهى : الجلود .

(٣٤٩) لم أفكر فيما فكرت فيه .

(٣٥٠) سورة «الأعراف» الآية (١٨٢) ، ويقول الإمام الطبرى فى تفسير هذه الآية : أصل الاستدراج أخذ المستدرج برفق حتى يورط المكروه .

لو كانت لى دعوة مجابة

قال «فضيل» : لو كانت لى دعوة مستجابة لما جعلتها إلا فى الإمام لأنه إذا صلح الإمام أمن العباد والبلاد فقبل «ابن المبارك» رأسه وقال : يامعلم الخير من يحسن هذا غيرك ؟!

كثرة الخطا إلى المساجد

كان بين مسجد رسول الله ﷺ وبين ديار «بنى سليم» مسافة بعيدة ، فعزموا على شراء بيوت بجوار رسول الله ﷺ فنهاهم عن ذلك وقال لهم : «دياركم تكتب لكم آثاركم» (٣٥١) فنزل قوله تعالى : ﴿وَنَكْتُبُ ما قدموا وآثارَهُم﴾ (٣٥٢) الآية .

سُلْطة القضاء

كان «عبيد بن ظبيان» قاضى «الرشيد» بالرقة ، فجاءه رجل يشكو إليه «عيسى بن جعفر» — وكان أميراً عليها — فكتب إليه القاضى : أما بعد .. فقد أتانى رجل فذكر أن له على الأمير خمسمائة ألف درهم ، فإن رأى الأمير يحضر مجلس الحكم ، أو يوكل وكيلا يناظر خصمه أو يرضيه فعل ؛ ودفع الكتاب إلى حاجبه فأوصله إليه . فلما وقف على الكتاب قال لخادمه : قل له : كُل هذا الكتاب ؛ فرجع الرجل إلى القاضى فأخبره فكتب إليه : لابد أن تصير أنت أو وكيلك إلى مجلس الحكم ، فإن أبيت أنهيت أمرك إلى أمير المؤمنين ، ثم وجه الكتاب إليه مع رجلين من أصحابه فدفعا إليه كتاب القاضى ، فلم يقرأه ورمى به ، فعادا إلى القاضى فأبلغاه ذلك ، فأغلق بابه وقعد فى بيته ، فبلغ الخبر إلى «الرشيد» فدعاه وسأله عن أمره فأخبره الخبر قال : ياأمير المؤمنين ، أعفنى من هذه الولاية فو الله لاأفلح قاضٍ لايقيم الحق على القوى والضعيف .

---

(٣٥١) رواه مسلم فى المساجد ٢٨٠ .

(٣٥٢) سورة «يس» الآية (١٢) .

فقال له «الرشيد» : من يمنعك من إقامة الحق ؟ فقال : «عيسى بن جعفر» ؛ فقال «الرشيد» لإبراهيم بن عثمان : سر إلى دار «عيسى بن جعفر» واختم أبوابه كلها ، ولا يخرج منها أحد ولا يدخل إليها أحد حتى يخرج إلى الرجل من حقه ، أو يسير معه إلى مجلس الحكم ، فأحاط «إبراهيم» بدار «عيسى» ومعه خمسمائة فارس ، فارتاع «عيسى» لهذا الحصار .. وارتفع الصراخ فى منزله وضج النساء فأسكتهن ، فلما أعلموه وأخبروه بخبر القاضى «ابن ظبيان» فأمر بإحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فأحضرت ، وأمر أن تدفع إلى الرجل ، فجاء «إبراهيم» إلى «الرشيد» فأخبره ، فقال : إذا قبض الرجل ماله فافتح أبوابه وعرفه أن القاضى من عمل حكمه فيك مارأيت فإياك ومعارضته .

تقبيل اليد

دخل «عطية بن عبد الرحمن» على «مروان بن محمد» فلما صار على طرف البساط تكلم فأعجبه ، ثم قال : ائذن لى يا أمير المؤمنين فى تقبيل يدك ، فقال له «مروان» : قد عرفنا فضلك ومكانك فى قومك ، وإن القُبْلة من المسلم ذِلة ومن الكافر خديعة ، ولا حاجة لك أن تذل أو تخدع ، فأنت الأثير على كل حال عندنا .

إن استطعت فافعل

كتب رجل إلى «ابن عمر» رضى الله عنهما يسأله عن العلم فأجابه : إن العلم أكثر من أن أكتب به إليك ، ولكن إن استطعت أن تلقى الله كاف اللسان من أعراض المسلمين ، خفيف الظهر من دمائهم ، خميص البطن من أموالهم ، لازما لجماعتهم ، فافعل .

هذه هى المروءة

كان فتى من «طيئ» يجلس إلى «الأحنف» وكان يعجبه فقال له يوما : يافتى هل تزين جمالك بشيء ؟ قال : نعم — إذا حدَّثتُ صدقت ، وإذا حُدثت استمتعت ، وإذا عاهدت وفيت ، وإذا وعدت أنجزت ، وإذا اؤتمنت لم أخن ، فقال «الأحنف» : هذه هى المروءة حقاً .

لاتكن مملوكا بعد أن كنت مالكا

أَسر «معاوية» رضى الله عنه إلى «عمرو بن عُتبه بن أبى سفيان» حديثاً قال «عمرو» فأتيت أبى فقلت : إن أمير المؤمنين أسرَّ إلى حديثا أفحدثك به ؟ قال : لا لأنه من كتم حديثه كان الخيار له ، ومن أظهره كان الخيار عليه ، [٣٥٣] فلا تجعل نفسك مملوكا بعد أن كنت مالكا ، فقلت : أو يكون هذا بين الرجل وأبيه ، قال : لا ، ولكن أكره أن تعود لسانك إذاعة السر . قال : فرجعت إلى «معاوية» فأخبرته بذلك ، فقال : أعتقك ابن أخى من رق الخطأ .

كيف تنصح أخاك ؟

قال «حاتم الأصم» : إذا رأيت من أخيك عيباً فإن كتمت عنه فقد خنته وإن قلته لغيره فقد آغتبته ، وإن واجهته به أوحَشْته ، فقال : كيف أصنع ؟ قال : تكنى عنه وتعرض به وتجعله فى جملة الحديث[٣٥٤] .

لا يسأل غير الله

دخل «سالم بن عبد الله» على «هشام بن عبد الملك» فى الكعبة فقال له

---

(٣٥٣) وشبيه بهذا قولهم : سرك أسيرك فإذا تحدثت به كنت أسيره .

(٣٥٤) وهكذا علمنا رسول الله ﷺ فقد كان يقول : مابال أحدكم ، أو مابال الرجل منكم .

«هشام» : سل حاجتك ، فقال : أكره أن أسأل فى بيت الله غير الله .

الذليل من ظَلَمَ

شكا رجل إلى «جعفر الصادق» رضى الله عنه أذية جاره فقال : اصبر عليه ، قال ينسبنى إلى الذُّل . قال : إنما الذليل من ظَلَم .

استكانة الأمراء لصولة العلماء

ناظر «أبو جعفر المنصور» «مالكاً» فى مسجد رسول الله ﷺ فقال له «مالك» : يا أمير المؤمنين لاترفع صوتك فى هذا المسجد فإن الله تعالى أدبُ قوما فقال تبارك وتعالى : **﴿لاتَرْفَعُوا أصْواتَكُم فَوق صَوْت النبى ولا تَجْهَرُوا لهُ بالْقَوْلِ كَجهر بَعْضكُم لِبَعض﴾**(٣٥٥) ومدح قوما فقال **﴿إن الذين يَغُضون أصْواتهم عند رَسُول الله أولئك الذين آمْتحَن الله قُلوبَهم للتقوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأجْرٌ عَظِيم﴾**(٣٥٦) وذم قوما فقال : **﴿إن الذين يُنادُونَكَ من وَراءِ الحُجُرات أكْثَرُهُم لا يَعْقلون﴾**(٣٥٧) وإن حُرْمته ﷺ مَيْتاً كحرمته حياً ؛ فاستكان له «أبو جعفر» .

يبكى لأنه لم يعرف حاله

قصد رجل إلى صديق له فدق عليه الباب فخرج إليه وسأله عن حاجته فقال : على دين كذا وكذا فدخل الدار وأخرج إليه ماكان عليه ثم دخل الدار باكياً ، فقالت زوجته ، هلا تعللت حيث شقت عليك الإجابة .
فقال : إنما أبكى لأنى لم أتفقد حاله حتى أحتاج إلى أن يَسْألنى!!

---

(٣٥٥) سورة «الحجرات» الآية (٢) .
(٣٥٦) سورة «الحجرات» الآية (٣) .
(٣٥٧) سورة «الحجرات» الآية (٤) .

الذى يصلح للولاية

قال «عمر» رضى الله عنه : لايصلح أن يلى أمور الناس إلا حصف العقل ، وافر العلم ، قليل الغِرَّةِ [358] ، بعيد الهمة ، شديد فى غير عنف ، لين فى غير ضعف ، جواد فى غير سرف ، لا يخاف فى الله لومة لائم .

وقال بُزُرْ جُمُهْر ــ وقد قيل له : مابال مُلْك «آل ساسان» صار أمره إلى ماصار إليه ؟ قال : لأنهم قلَّدوا كبار الأعمال صغار الرجال .

أبيات لايُحْتَج بها فى دين الله تعالى

قال الإمام «تاج الدين ابن السبكى» فى أجوبته عن الاعتراضات التى على «جمع الجوامع» : ومن ظريف مايستفاد قول «أبى نواس» :

أبـــاح العراقـــىُّ النبيـــذَ وشُرْبَـــهُ
وقـــال : حَرامـــان المدامَـــةُ والسُّكْـــر
وقـــال الحجـــازىّ : الشرابـــان واحـــد
فَحَـــلَّت لنـــا من بين قوْلَيْهمـــا الخمـــر
سآخُـــذُ مِن قوليهمـــا طرفيهمـــا
وأشرَبُهـــا لافـــارَق الـــوازرَ الـــوزرُ

وقد سألني الأديب «صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفَدى» رحمه الله عن معنى هذه الأبيات ..

ومعناها أن العراق وهو «أبو حنيفة» رحمه الله أباح النبيذ وحرم المدامة وهى الخمر ــ أسكرت أم لم تسكر ــ وحرَّم أيضاً المسكر من كلّ شىء ، وأن الحجازى وهو «الشافعى» رحمه الله قال : الشرابان واحد ؛ فأخذ «أبو

---

(358) الغرة : بكسر الغين : الغفلة .

نواس» بالموجب فكأنه قال : إنهما واحد ولكن فى الحل لافى الحرمة ، وإليه الإشارة بقوله : « فحل لنا من بَيْنَ قوليهما الخمر » ثم هذا إنما ذكره «أبو نواس» على عادة الشعراء فى الكيْس والظرافة ، ولايقصد حقيقته فإنه لايقول به أحد ، ولعله أشار بقوله : « سآخذ من قوليهما طرفيهما » إلخ أنه لايعتقده بل هو شاعر كما يقول ، فهو على مازعم يشربهما وإن لم يعتقد الحل إذْ كيف يعتقد مالم يقله مُسلم ؟! وكيف يمكن أن يقال : إنه يعتقد الحل وقد قال : « لافارق الوازر الوزْرُ » فهذا إن شاء الله معنى الأبيات وهى على كل حال من كلمات الشعراء التى لايحتج بها فى دين الله تعالى .

العجز والتوانى

قال «على» كرم الله وجهه : التوانى مفتاح البؤس ، وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ، ومن لم يطلب لم يجد وأفضى إلى الفساد .

وقال بعض الحكماء : الحركة بركة ، والتوانى هَلَكه ، والكسل شؤم ، وكلْبٌ طائِف خير من أسد رابض ، ومن لم يحترف لم يَعتَلِفْ(٣٥٩) ..

وسأل «معاوية» «سعيد بن العاص» عن المروءة فقال : العفة والحرفة .

ومر «الحسن» بإسكافى(٣٦٠) فقال : ياهذا اعمل وكل فإن الله يحب من يعمل ويأكل ولايحب من يأكل ولا يعمل ..

من أحسن ماكُتِبَ إلى الحُكّام

كتب «الحسن البصري» إلى «عمر بن عبد العزيز» رضى الله عنه :

اعلم ياأمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل

---

(٣٥٩) من لم تكن له حرفة يأكل منها لم يجد طعاما .

(٣٦٠) من يقوم بإصلاح الأحذية .

جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف ؛ والإمام العادل كالراعى الشفيق على إبله ، الرفيق بها ، يرتاد لها أطيب[٣٦١] المرعى ، ويذودها عن[٣٦٢] مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ومن أذى الحر والبرد ، والإمام العادل كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً ويكتسب لهم فى حياته ويدّخر لهم بعد مماته ؛ والإمام العادل كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرهاً ووضعته كرهاً وربته طفلا ، تسهر بسهره وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة وتفطمه أخرى ، وتفرح بعافيته ، وتغتم بشكايته ، والإمام العادل هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم ؛ فلا تكن ياأمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدَّد المال وشرد العيال فأفقر أهله وبدَّد ماله ؛ وآعلم ياأمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ؛ ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف إذا أتاها من يليها وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم ؟ واذكر ياأمير المؤمنين الموت ومابعده وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه ، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر ، واعلم أن لك منزلا غير منزلك الذى أنت فيه يطول فيه ثواؤك ويفارقك عنده أحباؤك ، يسلمونك فى قعره فريدا وحيدا فتزود له مايصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه . واذكر ياأمير المؤمنين إذا بُعْثِر مافى القبور وحُصِّل مافى الصدور ، فالأسرار ظاهرة والكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

فالآن ياأمير المؤمنين وأنت فى مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل لاتحكم فى عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ، فإنهم لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا[٣٦٣] ذمةً فتنوء

---

(٣٦١) يقودها ويختار لها .

(٣٦٢) يدفعها بعيدا عما يعرضها للهلاك .

(٣٦٣) اقتباس جميل من الآية الكريمة : **﴿كيف وإن يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلا ولا ذمة﴾** (التوبة : ٨) ويقول الإمام الطبرى : «**الإلّ**» الله عز وجل ، كما قيل : جبريل ، وميكائيل ، ومعناهما عبد الله ، وقيل : الإل القرآن ، و«**الذمة**» العهد .

بأوزارك وأوزار مع أوزارك[٣٦٤] وتحمل أثقالك ، وأثقالا مع أثقالك ، ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ، ويأكلون الطيبات فى دنياهم بإذهاب طيباتك فى آخرتك ؛ ولا تنظر إلى قدرتك اليوم ، ولكن انظر قدرتك غداً وأنت مأسور فى حبائل الموت وموقوف بين يدى الله فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين ، وقد عَنَتِ الوجوه للحىّ القيوم ، إنى ياأمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظَتى مابلغه أولو النُّهى من قبل فلم آلُكَ شفقة ونصحا فأنزل كتابى إليك كمداوى حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له من العافية والصحة ، والسلام عليكم ورحمة الله .

الفراسة

قال الله فى شأنها ﴿إنّ فى ذلك لآياتٍ للْمُتَوَسِّمين﴾[٣٦٥] ، وقال ﷺ : «اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله»[٣٦٦] ، وقال «على بن أبى طالب» رضى الله عنه : مأأضمر أحد شيئا إلا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه .

وأشار «ابن عباس» رضى الله عنهما على «على» رضى الله عنه بشىء فلم يعمل به ثم ندم فقال : يرحم الله «ابن عباس» كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ..

وحكى عن «الشافعى» و«محمد بن الحسن» أنهما رأيا رجلا فقال أحدهما : إنه نجار ، وقال الآخر إنه حداد فسألاه عن صنعته فقال : كنت حدادا ، وأنا الآن نجار .

وسأل رجل من أهل القرآن بعض العلماء فقال له : اجلس فإنى أشم من كلامك رائحة الكفر ، فرُؤى الرجل بعد ذلك وقد تَنَصَّر ، فسئل : هل تحفظ

(٣٦٤) ناء بالحمل : نهض به مثقلا .

(٣٦٥) سورة «الحجر» الآية (٧٥) .

(٣٦٦) رواه الترمذى فى التفسير سورة ١٥ ، ٦ . والفراسة إدراك الباطن من نظر الظاهر .

شيئا من القرآن فقال : لا أحفظ منه إلا آية واحدة قوله تعالى : ﴿رُبما يَوَدُّ الذين كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمين﴾[٣٦٧] .

إنّهُ معاوية !!

ووفد أهل «الكوفة» على «معاوية» فى «دمشق» حين خطب لابنه «يزيد» بالعهد بعده وفى أهل الكوفة «هانىء بن عروة المرادى» أحد سادات قريش وأشرافهم ، فقال يوما فى مسجد دمشق والناس حوله : العجب لمعاوية يريد أن يقسرنا على بيعة «يزيد» وحاله كما تعلمون !! وما ذاك والله بكائن !! وكان فى القوم غلام من قريش فحمل الكلمة إلى «معاوية» فقال «معاوية» : أنت سمعت «هانئاً» يقولها ؟ قال : نعم قال : فاخرج فأتِ حلقتَهُ فإذا خَفَّ الناس عنه فقل له : أيها الشيخ قد وصلت كلمتك إلى «معاوية» ولست فى زمن «أبى بكر» و«عمر» ، ولا أحب أن تتكلم بهذا الكلام ، فإنهم بنو أمية ، وقد عرفت جرأتهم وإقدامهم ولم يدْعنى إلى هذا القول لك إلا النصيحة والإشفاق عليك فانظر بمايقول فأت به .

فأقبل الفتى إلى مجلس «هانىء» فلما خف الناس من عنده دنا منه فقص عليه الكلام وأخرجه مخرج النصيحة له . فقال «هانىء» : والله يا ابن أخى مابلغت نصيحتك كل ماسمع ، وإن هذا الكلام لكلام «معاوية» أعرفه ؛ فقال الفتى : وما لنا ومعاوية ، والله مايعرفنى ، قال : فما عليك إذا لقيته فقل له يقول لك «هانىء» : والله ما إلى ذلك سبيل ، انهض يا ابن أخى راشداً . فقام الفتى فدخل على «معاوية» فأعلمه ، فقال : نستعين بالله عليه . ثم قال «معاوية» بعد أيام لوفد دخل عليه : ارفعوا حوائجكم و«هانىء» فيهم ، فعرض عليه كتابا فيه ذكر حوائجه ، فقال : يا«هانىء» ماأراك صنعت شيئا زد .. فقام «هانىء» فلم يَدَعْ حاجة عرضت له إلا ذكرها ، ثم عرض عليه

---

(٣٦٧) الحِجْر : ٢ .

الكتاب . فقال معاوية : أراك قصرت فيما طلبت زد . فقام هانىء فلم يدع حاجة لقومه ولا لأهل مصر إلا ذكرها ثم عرض عليه الكتاب فقال : ماصنعت شيئا زد ، فقال : ياأمير المؤمنين حاجة بقيت ، قال : ماهى ؟ قال : أن أتولى أخذ البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين ، قال : افعل فما زلت لِمثْل هذا أهلاً .. ، ففعل وأخذ البيعة ليزيد بالعراق .

إخلاص فى النصيحة

رحل «الحجاج» إلى «عبد الملك بن مروان» ومعه «إبراهيم بن محمد بن طلحة» فلما قدم على «عبد الملك» سلم عليه بالخلافة ، وقال : قدمت عليك ياأمير المؤمنين برجل الحجاز فى الشرف والأبوة وكمال المروءه والادب وحسن المذهب والطاعة والنصيحة مع القرابة ، وهو «إبراهيم بن محمد بن طلحة» فافعل به ياأمير المؤمنين مايستحق أن يفعل بمثله فى أبوته وشرفه ، فقال «عبد الملك» : يا أبا محمد (يريد الحجاج) قد أذكرتنا حقاً واجباً ائذنوا لإبراهيم . فلما دخل وسلم بالخلافة أمره بالجلوس فى صدر المجلس وقال له : إن «أبا محمد» ذكرنا مالم نزل نعرفه منك من الأبوة والشرف فلا تدع حاجة فى خاصة أمرك وعامته إلا سألتها ، فقال «إبراهيم» : أما الحوائج التى نبتغى بها الزلفى ونرجو بها الثواب فما كان لله تعالى خالصا ولنبيه ﷺ ، ولكن لك ياأمير المؤمنين عندى نصيحة لاأجد بداً من ذكرى إياها قال : أهى دون «أبى محمد» ؟ قال : نعم ، قال : قم يا«حجاج» فنهض «الحجاج» خجلا لايُبْصِرُ أين يضع رِجْله .

ثم قال له «عبد الملك» : قل يا « بن طلحة» . قال : والله ياأمير المؤمنين إنك عمدت إلى «الحجاج» فى ظلمه وتعديه على الحق وإصغائه إلى الباطل فوليته الحرمين ، وفيهما مَنْ فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ ، وأبناء المهاجرين والأنصار ، يسومهم الخسف ، ويطؤهم بطغاة أهل الشام ، ومن لارأى له فى إقامة الحق ولا إزاحة الباطل .. ، فأطرق «عبد الملك» ساعة ثم رفع رأسه وقال : كذبت يا « بن طلحة» ، ظن فيك «الحجاج» غير ماهو

فيك ، قُمْ فربما ظن الخير بغير أهله .. !!

قال «ابن طلحة» فقمت وأنا ماأبصر طريقا وأتبعني حرسا ، وقال : اشدد يدك به ، فما زلت جالسا حتى دعا «الحجاج» فما زالا يتناجيان طويلا حتى ساء ظني ، ولا أشك أنه فى أمرى ، ثم دعانى فلقينى «الحجاج» فى الصحن خارجا فقبل بين عينى وقال : أحسن الله جزاءك فقلت فى نفسي : إنه يهزأ بى ودخلت على «عبد الملك» فأجلسنى مجلسى الأول ثم قال : يا « بن طلحة» هل اطلع على نصيحتك أحد ؟ فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين . ولا أردت إلا الله ورسوله والمسلمين ، وأمير المؤمنين علم ذلك ، فقال «عبد الملك» : قد عزلت «الحجاج» عن الحرمين لما كرهته فيه ، وأعلمته أنك استقللت ذلك عليه ، وسألتنى له ولاية كبيرة ، وقد وليته العراقيْن ، وقررت له أن ذلك بسؤالك ليلزمه من حقك مالا بدله من القيام به فاخرج معه غير ذامٍ بصحبته .

حفظ العهد ورعاية الذمم

حُكى أن الخليفة «المأمون» لما ولّى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه فيهما ، دخل عليه بعض إخوانه فقال له : ياأميرَ المؤمنين إن «عبد الله بن طاهر» يميل إلى العلويين وهواه معهم ، وكذلك كان أبوه من قبل ، فتغيرت نفس المأمون على «عبد الله» وتشوش فكره وضاق صدره ، فاستحضر شخصاً وجعله فى زى الزهاد والنُّسَّاك ودسه على «عبد الله بن طاهر» وقال له : امض إلى مصر وخالط أهلها ، وداخل كبراءها ، واستلهم إلى «القاسم بن محمد العلوي» ، واذكر مناقبه ، ثم بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة «عبد الله بن طاهر» ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك وادعه إلى «القاسم بن محمد العلوى» واكشف لى باطنه ، وابحث عن دفين نيته وائتنى بما ترى ، ففعل ذلك الرجل ماأمر به فلما جلس فى مجلس «عبد الله بن طاهر» وانفرد به وحده قال له : ما عندك ؟ فقال : ولِىَ الأمان !! قال : نعم فأظهر ماأراده ودعاه إلى «القاسم بن محمد العلوى» فقال له «عبد الله» : أوَ

تنصفنى فيما أقوله لك ؟ قال : نعم ، قال : فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عندالإحسان والمنة ؟ قال نعم ، قال : فيجب عليَّ وأنا فى هذه الحالة التى تراها من الحكم والنعمة والولاية ولى خاتم فى المشرق وخاتم فى المغرب ، وأمرى فيما بينهما مطاع ، وقولى مقبول ، ثم أنى التفت يميناً وشمالا فأرى نعمة هذا الرجل غامِرة وإحسانه فائضاً على أفتدعونى إلى الكفر بهذه النعمة وتقول : اغدر وجانب الوفاء ؛ والله لو دعوتنى إلى الجنة عياناً لما غدرت ولما نكثت بنعمته وتركت الوفاء له ، فسكت الرجل فقال له عند ذلك : والله ماأخاف إلا على نفسك فارحل من هذا البلد ، فلما يئس الرجل منه وكشف باطنه وسمع كلامه رجع إلى «المأمون» فأخبره فسره ذلك وزاد فى إحسانه إليه وضاعف إنعامه عليه .

ثمرة الشجاعة

بينما كان «المنصور بن أبى عامر» فى بعض غزواته إذ وقف على مرتفع من الأرض فرأى جيوش المسلمين بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله قد ملئوا السهل والجبل فالتفت إلى قائد جيشه «ابن المضجعى» فقال له : كيف ترى العسكر أيها الوزير ؟ قال : أرى جمعاً كثيراً وجيشاً واسعاً كبيراً . فقال له «المنصور» : ماترى هل يكون فى هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والنجدة والبسالة ؟ فسكت «ابن المضجعى» ، فقال له «المنصور» : ماسكوتك ؟ أليس فى هذا الجيش ألف مقاتل ؟ قال : لا .. ، فتعجب «المنصور» ثم قال : فهل فيهم خمسمائة ؟ قال : لا : قال : فهل فيهم مائة رجل من الأبطال ؟ قال : لا ، قال : فيهم خمسون رجلا ؟ قال : لا ، فَسَبَّه «المنصور» ، وأغلظ عليه ، وأمر به فأُخرج ، فلما توسطوا بلاد الروم اجتمعت الروم ، وتصاف الجمعان ، فبرز من الروم رجل من أشجعهم وجعل يكر ويفر ويقول : هل من مبارز ؟ فبرز إليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومى ففرح المشركون واضطرب المسلمون ، ثم جعل الرومى يصول ويجول بين الصفين وينادى : هل من مبارز ؟ فبرز إليه رجل من المسلمين

فقتله ، ثم برز إليه آخر فقتله ، وكادت تكون كسرة ، فقيل للمنصور : مالها إلا «ابن المضجعى» ، فبعث إليه فحضر فقال له «المنصور» : ألا ترى مايصنع هذا الكلب بالمسلمين أريد أن نكفى المسلمين شره ؛ قال : الآن يُكْفى المسلمون شره إن شاء الله تعالى ، ثم قصد إلى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس قد تهرَّت أوراكها هزالا وهو حامل قربة ماء بين يديه على الفرس ، فقال «ابن المضجعى» : ألا ترى مايصنع هذا الرومى منذ اليوم ؟ أريد أن تكفى المسلمين شره قال : حباً وكرامة ، ثم إنه وضع القربة بالأرض ، وبرز إلى هذا المشرك غير مكترث به ، فتجاولا ساعة فلم ير الناس إلا المسلم خارجا إليهم يركض ، وإذا برأس المشرك يلعب به فى يده ، ثم ألقى الرأس بين يدى «المنصور» فقال له : «ابن المضجعى» : عن هؤلاء الرجال أخبرتك .

فضل العدل

قال «أبو هريرة» رضى الله عنه : (نَعمَلُ الإمام العادل فى رعيته يوماً أفضل من عبادة العابد فى أهله مائة سنة ، أو خمسين سنة)[٣٦٨] .

بَرَكَةُ العدل

قال «وهب بن مُنبه» : إذا هَمّ الوالى بالجَوْرِ[٣٦٩] أو عمل به أدخل الله النقص فى أهل مملكته فى الأسواق وفى الزرع والضرع وكل شىء ، وإذا همَّ بالخير والعدل أو عمل به أدخل الله البركة فى أهل مملكته كذلك .

وقال «عمر بن عبد العزيز» : تهلك العامة بعمل الخاصة ، ولا تهلك الخاصة بعمل العامة . والخاصة هم الولاة ، وفى هذا المعنى يقول الله تعالى : ﴿واتَّقُوا فِتْنَةً لاتُصيبنَّ الذين ظَلَمُوا مِنْكُم خاصة﴾[٣٧٠] .

---

(٣٦٨) أحمد ، وابن ماجه ، والبخارى ، وغيرهم .

(٣٦٩) الجور : الظلم .

(٣٧٠) سورة «الأنفال» الآية (٢٥) .

وقال «سفْيان الثورى» لأبى جعفر المنصور : إنى لأعلم رجلا إن صلح صلحت الأمة . قال : من هو ؟ قال : أنت .

وقال «ابن عباس» رضى الله عنهما : إن ملكا من الملوك خرج يسير فى مملكته مستخفياً فنزل على رجل له بَقَرَةٌ تحلب قدر ثلاثين بقرة ، فعجب الملك لذلك وحدَّث نفسه بأخذها ، فلما راحت عليه من الغد حلبت على النصف مما حلبت بالأمس فقال الملك للرجل : ما بال حِلابُها نقص ؟؟ أَرَعَتْ فى أرض غير مرعاها ؟ قال : لا ، ولكن أظن أن مَلِكَناهَمَّ بأخذها فَنَقَصَ لَبَنُها ، فإن الملك إذا ظلم أو همَّ بالظلم ذهبت البركة ، فعاهد الملك ربه سبحانه فى نفسه أن لايأخذها ، فراحت من الغد فحلبت حِلابَ ثلاثين بقرة ، فتاب الملك وعاهد ربه على العدل مابقى .

فى المدح والثناء

إلمدح وصف الممدوح بأخلاق حميدة تكون فيه ، وهو كما يصح أن يكون من العبيد بعضهم لبعض يصح أن يكون من الله لعبده ، قال تعالى فى سيد الخلق : ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾(٣٧١) وقال فى حق أيوب ﴿**نِعْم العَبْد إنه أواب**﴾(٣٧٢) وقال فى حق المؤمنين ﴿**قَد أفلَحَ المؤمنون الذين هُم فى صلاتهم خاشعُون**﴾(٣٧٣) ومدح النبى ﷺ المهاجرين والأنصار ، ومدح «أبو طالب» و«العباس» و«حسان» و«كعب» وغيرهم رسول الله ﷺ .ومن مَدْح «حسان» لرسول الله ﷺ قوله :

وأَحْسَنُ منك لم تَرَ قَط عينى
وأَجْمَلُ مِنْك لم تَلِدِ النِّساء
خُلِقتَ مُبَرأ مِنْ كُل عيب
كأنك قد خُلقت كما تَشاءُ

---

(٣٧١) القلم : ٤ .

(٣٧٢) ص : ٤

(٣٧٣) المؤمنون : ١

ومدح رسول الله ﷺ نفسه بقوله «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(٣٧٤)
ومدح رجل «هشام بن عبد الملك» فقال له : ياهذا إنه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه فقال : ما مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لِتُجدِّد شكرها ؛ فقال «هشام» : هذا أحسن من المدح ، ووصله وأكرمه .

مايقوله الممدوح

ينبغى لمن مدح أن يقول : اللهم حقق مايقولون واستر مالا يعلمون .

وكان «أبو بكر» رضى الله عنه إذا مدح قال : اللهم أنت أعلم بى من نفسى ، وأنا أعلم بنفسى منهم ، اللهم اجعلنى خيرا مما يحسبون وآغفر لى مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون .

وأما ماورد من قوله ﷺ : **«إذا رَأيتُم المادحين فآحْثوا فى وُجُوههم التراب»**(٣٧٥) فهو محمول على المدح الباطل والكذب .

إيمان «أبى بكر»

قال رسول الله ﷺ **«لو وَزن إيمان أبى بكر بإيمان الأمة لرجح»** وقال رضى الله عنه : ماأنكرت منذ عرفت .

وقال «عمر» رضى الله عنه : وددت أن حياتى ليلة من ليالى «أبى بكر» فى الهجرة .

وقال «أبو بكر» لرسول الله ﷺ : إن مت مات الدين كله ، وإن مت أنا مت وَحْدى .

---

(٣٧٤) رواه ابن ماجه ، وأحمد وأبو داود .

(٣٧٥) مسلم فى الزهد ٦٨ ،٦٩ . وأبو داود فى الأدب ٩ . والترمذى فى الزهد ٥٥ . وابن ماجه فى الأدب ٣٦ . وأحمد ٢ : ٩٤ ، ٦ :٥ .

دواء القلب

قال «إبراهيم الخواص» رضى الله عنه : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخُلُو البطن ، وقيام الليل والتضرع عند السَّحر ومجالسة الصالحين .

من أوصاف الأحمق

الإفراط فى طول لحيته ، وترك نظره فى العواقب ، وثقته بمن لايعرفه ، والعُجْب بنفسه ، وكثرة كلامه وسرعة جوابه ، وكثرة الالتفات ، والخلو من العلم والعجلة والخفّة والظلم والغفلة والسهو والخيلاء ؛ إن استغنى بطر ، وإن افتقر قنط ، وإن قال أفحش ، وإن سئل بخل ، وإن سأل ألح ، وإن قال لم يحسن ، وإن قيل له لم يفقه ، وإن ضحك قهقه ، وإن بكى صرخ .

ردَّ مائة فعُوِّضَ بها ألفاً

سأل رجل ذمىّ «أبا عثمان المازنى» فى قراءة كتاب «سيبويه» عليه ، وبذل له مائة دينار فى تدريسه ، فامتنع «أبو عثمان» فقال له «المبرد» : أترد مائة دينار مع فاقتك واحتياجك إليها ؟ فقال «أبو عثمان» هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة حديث وكذا كذا آية من كتاب الله ، ولست أرى أن أمكّن منها ذميا غيرة على كتاب الله تعالى ، قال فاتفق أن غَنَّت جارية بحضرة «الواثق» من شعر «العرجِى» :

أظَلُـــوم إنّ مصابكـــم رَجُـــلا
أهـــدى السَّلام تَحِيّـــة ظُلْـــمٌ

فاختلف من بحضرة أمير المؤمنين فى إعراب (رَجُلاً) فمنهم من نَصَبَهُ وجعله اسم أن ، ومنهم من رفعه على أنه خبرها ، والجارية مصرَّة على أن شيخها أبا عثمان المازنى لقنها إياه بالنصب ، فأمر «الواثق» بإحضاره ، فلما مثل بين يديه قال : ماتقول فى قول الشاعر : أظلوم . إلخ . أترفَعُ رَجُلاً أم

تنْصبه ؟ فقال : الوجه النَّصْب ياأمير المؤمنين . قال : ولم ؟ قال : إن مصابكم مَصْدر بمعنى إصابتكم ؛ فأخذ الزيدى فى معارضته ، فقال «أبوعثمان» : هو بمنزلة قولك : إن ضربك زيدا ظلم فالرجل مفعول مصابكم ومنصوب به ، والدليل عليه أن الكلام متعلق إلى أن تقول : ظلم ، فَيَتم ؛ فآستَحْسنه «الواثق» وأمر له بألف دينار . قال «أبو عثمان» : ردَدنا لله مائة فعَوَّضنا ألفاً .

حِكَم ذهبية

قال حكيم : اجتنب سَبْع خصال يَسْتَرِحْ جسمك وقلبك ويسلم لك عرضك ودينك : لا تحزن على مافاتك ، ولا تحمل همَّ مالم ينزل بك ، ولا تلُم الناس على مافيك مثله ، ولا تطلب الجزاء على مالم تعمل ، ولاتَنظر بشهوة إلى مالم تملك ، ولا تغضب على من لم يضرّك غضبه ، ولاتمدح مَنْ لم يعلم من نفسك خلاف ذلك . وقال «الأحنف بن قيس» : لامروءة لكذوب ، ولاسُؤدد لبخيل ، ولا وَرَع لسىء الخلق ، وقال «عمر» رضى الله عنه : ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الإيمان : حلم يرد به جهل الجاهل ، وورع يحجزه عن المحارم ، وخلق يدارى به الناس ، وقال رضى الله عنه : أقْلِلْ من الدَّيْن تعش حُراً . وقال «معاذ» رضى الله عنه : أنت سالم ماسكت فإذا تكلمت فعليك أو لَكَ .

وقال حكيم : إذا جالست الجهال فأنصت لهم ، وإذا جالست العلماء فأنصت لهم فإن فى إنصاتك للجهال زيادة فى الحلم ، وفى إنصاتك للعلماء زيادة فى العلم .

ودخل «ابن السماك» على «هارون الرشيد» فقال : ياأمير المؤمنين إن امرأ آتاه الله جمالا فى خلقته وموضعا فى حسبه وبسط له فى ذات يده فعف فى جماله وواسى فى ماله ، وتواضع فى حسبه كتب فى ديوان الله من خالص عباد الله .

إن الكيس بخاتِمِهِ

لما حَجَّ «هارون» بعث إلى «مالك بن أنس» رضى الله عنه بكيس فيه خمسمائة دينار ، فلما قضى نسكه ودخل المدينة بعث إلى «مالك» يقول : إن أمير المؤمنين يحب أن تنتقل معه إلى مدينة السلام فقال «مالك» للرسول : قل له إن الكيس بخاتمه !

الفرج بعد الشدة أيضاً

حج رجل عَلوى فلما طاف بالبيت وأدى نسكه وأراد الخروج إلى «منى» أودع رَحْله وماكان معه بيتاً وقفل بابه ، فلما عاد وجد الباب مفتوحاً والبيت فارغا ، قال : فتحيرت ونزلت بى شدة مارأيت مثلها فاستسلمت لأمر الله ، ومضى على ثلاثة أيام ماطعمت فيها شيئاً . فلما كان اليوم الرابع بدأ بى الضعف وخفت على نفسى وذكرت قول جدى رسول الله ﷺ : **«ماء زمزم لما شُربَ له»**[٣٧٦] فخرجت حتى شربت منها ورجعت لأستريح فعثرت فى الطريق بشىء فأمسكته فإذا هو هِميان[٣٧٧] داخله ألف دينار ، فجلست فى الحرم وناديت : من ضاع منه شيء فليأتنى بعلامة ويأخذه ، وانقضى يومى ولم يأتنى أحد ، فغدوت إلى الصفا والمروة فى اليوم الثانى فوقفت عندهما يومى فلم يأتنى أحد ، فضعفت ضعفاً شديداً فجئت على باب «إبراهيم» فقلت قبل انصراف الناس : قد ضعفت عن النداء فمن رأيتموه يطلب شيئاً قد ضاع فأرشدوه إلى ؛ فلما حان وقت المغرب إذا أنا بخراسانى ينشد ضالته فصحت به وقلت : صف ماضاع منك فأعطانى صفة الهِمْيَان بعينه وذكر وَزْن الدنانير وَعِدَّتها فقلت : إن أرشدتك إليه تعطينى مائة دينار ؟ قال : لا ، فخمسين قال : لا ؛ فلم أزل أنازل إلى أن بلغت إلى دينار واحد فقال : لا ، إن رده من هو عنده إيماناً واحتسابا وإلا فهو الضر ، ثم ولى لينصرف فخفت الله وأشفقت أن

---

(٣٧٦) رواه ابن ماجه فى المناسك ٧٨ .

(٣٧٧) كيس جلدى ، على شكل المنطقة أو الحزام تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط .

يفوتنى الخراسانى فصحت به : ارجع ، فأخرجت الهميان ودفعته له ، فمضى وجلست ومالى قوة على المشى إلى بيتى ، فما غاب عنى حينا حتى عاد إلى فقال : من أى البلاد أنت ومن أى الناس أنت ؟ قلت : وماعليك من أمرى هل بقى لك عندى شىء ؟ فقال : أسألك بالله لاتضجر فقلت : من أهل الكوفة ومن ولد «الحسين بن على» وقصصت عليه قصتى ، فقال : ياهذا خذ هذا بأسره بارك الله لك فيه ، إن الهميان ليس لى فما كان يجوز لى أن أعطيك منه شيئا قل أو كثر وإنما أعطانيه رجل وسألنى أن أطلب بالعراق أو الحجاز رجلا علويا حسينيا فقيراً مستوراً ولم تجتمع لى هذه الصفة فى أحد إلا فيك لأمانتك وعفتك وصبرك .

شجاعة «على»

يروى أن «عَمْرو بن عبد وُدّ» ــ وقد كان من الأبطال المشهورين فى الجاهلية اقتحم الخندق بفرسه وأقبل على جيش المسلمين صائحاً : هل من مبارز ؟ فخرج له «على بن أبى طالب» كرم الله وجهه وكان فتى يدرج إلى الشباب ــ فدعاه إلى الله ورسوله . فقال «عمرو» : لاحاجة لى بذلك ، فدعاه إلى النزال فقال له : يا بن أخى فوالله ماأحب أن أقتلك ، قال «على» : ولكنى والله أحب أن أقتلك ، فاشتدت حمية «عمرو» لهذا القول وترجل عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على «على» فتنازلا وتجاولا فقتله «على» ثم استدار إلى رسول الله ﷺ مهللا مكبراً ، فقد أطاح برأس من رؤوس المشركين وقائد من قوادهم البارزين .

يُؤثِرُون على أنفسهم

قال «الأصمعى» : قصدت رجلا كنت أغشاه لكرمه فوجدت على بابه بوابا فمنعنى من الدخول إليه ثم قال : والله يا«أصمعى» ما أوقفنى على بابه لأمنع مثلك إلا لرقة حاله وقُصُور يده فكتبت رقعة فيها :

إذا كان الكـــــريم لَهُ حِجـــــابٌ
فمــــا فضل الكـــريم على اللّـــــئيم

ثم قلت له : أوصل رقعتي إليه ، ففعل وعاد بالرقعة وقد وقع على ظهرها :

إذا كان الكـــــريم قليـــــلَ مال
تحجّب بالحجــــاب عَنِ الغـــــريم[٣٧٨]

ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار . فقلت : والله لأتحفن «المأمون» بهذا الخبر ، فلما رآني قال : من أين يا «أصمعى» ؟ قلت من عند رجل من أكرم الأحياء ، حاشا أمير المؤمنين ، قال : من هو فدفعت إليه بالورقة والصرة وأعدت عليه الخبر ، فلما رأى الصرة قال : هذه من بيت مالى ولا بدّلى من الرجل ، فقلت : والله ياأمير المؤمنين إنى أستحى أن أروّعه برسلك فقال لبعض خاصته : امض إليه مع «الأصمعى» فإذا أراك الرجل فقل له : أجب أمير المؤمنين من غير إزعاج ؛ فلما حضر الرجل بين يدى «المأمون» قال له : أما أنت الذى رفعت إلينا شكواك ورِقة حالك وأن الزمان قد أناخ بك فدفعنا إليك هذه الصرة لتصلح بها حالك فقصدك «الأصمعى» ببيت واحد فدفعتها إليه ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين والله ماكذبت فيما شكوت من رقة الحال لكن استحييت أن أعيد قاصدى إلا كما أعادنى أمير المؤمنين ، فقال له «المأمون» : لله أنت فما ولدت العرب أكرم منك ، وبالغ فى إكرامه وجعله من خاصته .

فضل العدل

قال ﷺ : «المقسطون على منابر من لؤلؤ يوم القيامة»[٣٧٩] ويقال : الملك يبقى على العدل ، والكفر لايبقى على الإيمان والجور ، وقال الشاعر :

---

(٣٧٨) الغريم : الدائن .
(٣٧٩) رواه أحمد بن حنبل فى مسنده ٢ /١٥٩ ، ٢٠٣ .

علـيك بالعــدلِ إن وُلـــيت مملكـــة
واحــذر مِنَ الجَــوْر فيها غايــة الحَــذر
فالملك يَبْقـــى على عدل الكُفُـــورِ ولا
يبقـــــــى، مع الجور فى بدوٍ ولا حضر

وفى الحكم

حق على مَنْ ملكه الله على بلاده ، وحكمه فى عباده أن يكون لنفسه مالكا وللهوى تاركا ، وللغيظ كاظما ، وإذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته والقلوب محبته وأشرق بنور عدله زمانه ، وكثر على عدوه أنصاره وأعوانه .

وكان «كسرى» يقيم رجلين عن يمينه وشماله إذا أراد النظر فى أمور الناس فكان إذا زاغ حركاه بقضيب معهما وقالا له — والرعية تسمع : أيها الملك أنت مخلوق لاخالق ، وعبد لامولى ، وليس بينك وبين الله قرابة، أنصف الخلق وانظر لنفسك .

وكتب أيضاً ثلاث رقاع ، فى إحداها : أمسك غضبك ، فإنك لست بإله ، وإنك ستموت ويأكل بعضك بعضا ، وفى الثانية : ارحم عباد الله ، وفى الثالثة : احمل عباد الله على الحق ، فإنه لايسعهم غير ذلك .

ووصف أعرابى أميرا عادلا فقال : هو عالم برعيته عادل فى أقضيته عارٍ من الكبر قابل للعذر ، سهل الحجاب ، متحيز إلى الصواب ، رفيق بالضعيف ، مكرم للشريف ، غير مجاف للقريب ، ولامخيف للغريب .

وسأل «عمر بن عبد العزيز» «رجاء بن حيوه» عن حال رعيته مع العمال فقال : رأيت الظالم مقبوراً ، والمظلوم منصوراً والغنى موفورا والفقير مبرورا فقال : الحمد لله الذى وهب لى من العدل ما تطمئن إليه قلوب رعيتى .

من حَسنات «الحجاج»

قتل «الحجاج» ثلاثة ملاحدة بالبصرة ثم قال : إن الله أظفرنى بأناس بلغنى الأمل فيهم وأعاننى على الانتقام منهم فكنت أتقرب إليه بدمائهم فقيل له ومن هم ؟ فقال : هم «سعيد بن زرارة» و«عبد الله بن زياد التيمى» و«ابن سماك» .

فأما «سعيد بن زرارة» فقد مرت به امرأة فقالت له : ياعبد الله كيف الطريق إلى مكان كذا ؟ فقال لها ياهنتاه مثلى يكون من عبيد لله ؟!! .

وأما «عبد الله بن زياد التيمى» فقد خطب الناس بالبصرة فأحسن وأوجز فنودى من نواحى المسجد : كثر الله فينا مثلك فقال : لقد كلفتم الله شططا .

وأما «ابن سماك» فإنه أضل راحلته(٣٨٠) فالتمسها فلم توجد ، فقال : والله لئن لم يرد الله على راحلتى لاصليت له أبداً فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض أغصان الشجر ، فقيل له : قد رَد الله عليك راحلتك فَصَلِّ ، فقال : إنما كانت يمينى يمينا قَصْداً .

«الأحنف» و«معاوية»

دخل «الأحنف بن قيس» على «معاوية» رضى الله عنه بعد أن انتهى زمام الأمر إليه فقال «معاوية» : والله يا«أحنف» إنى لا أذكر موقعة «صفين» إلا أصابتنى هزة ــ وكان الأحنف مع على ــ فقال : والله يا«معاوية» ، إن القلوب التى أبغضناك بها لفى صدورنا ، وإن السيوف التى حاربناك بها لفى أغمادنا ، وإن تَدْنُ من الحرب فترًا نَدْنُ منها شبرا ، وإن تمش إليها نُسْرِع ، وإن تسرع نُهَرول . وكانت أختُ «معاوية» تسمع من وراء حجاب فقالت : من هذا الذى يتهدد ويتوعد ؟ قال «معاوية» : هذا الذى إذا غَضِبَ غَضِبَ لغضبه مائة ألف من بنى تميم لا يسألونَهُ لماذا غضبت ؟ .

---

(٣٨٠) راحلته : دابته التى يرتحل عليها .

عِلْم وَحِلْم

روى «عبد الله بن محمد الصيارفى» قال : كنت عند «محمد بن إسماعيل البخارى» فى منزله فجاءته جاريته وأرادت دخول المنزل فعثرت فى محبرة بين يديه فقال لها : كيف تمشين ؟ قالت : إذا لم يكن طريق كيف أمشى ؟ فبسط يديه وقال : اذهبى فقد أعتقتك ، فقيل له : ياأبا عبد الله أغضبتك ؟ قال : قد أرضيت نفسى بما فعلت .

أروع تعزية

لما حضرت «الأسكندر» الوفاة كتب إلى أمه أن اصنعى طعاما يحضره الناس ثم أصدرى أمرا بألا يأكل من هذا الطعام إنسان محزون ففعلت ، فلم يبسط إليه أحد يده ، فقالت : مالكم لا تأكلون ؟ فقالوا : إنك تقدمت إلينا ألا يأكل من الطعام محزون ، وليس منا إلا من قد أصيب بحميم أو قريب أو أب أو أم ، فقالت أم الاسكندر : «مات ابنى وما أوصى إلى بهذا إلا ليعزينى به» .

فضل العلماء

سُئل «خالد بن صفوان» عن «الحسن البصرى» فقال : كان أشبه الناس علانية بسريرة ، وسريرة بعلانية ، وآخذ الناس لنفسه بما يأمر به غيره ، ياله من رجل استغنى عما فى أيدى الناس من دنياهم ، واحتاجوا إلى مافى يديه من دينهم .

أيهما أحسن ؟!

ودخل «عروة بن الزبير» بستانا لعبد الملك بن مروان فقال «عروة» : ماأحسن هذا البستان ! فقال له عبد الملك : أنت والله أحسن منه إن هذا

البستان يؤتى أكله كل عام ، وأنت تؤتى أكلك كل يوم .

من ذكاء الأمراء

جلس «المنصور» يوما فى إحدى قباب المدينة فرأى رجلا ملهوفا يجول فى الطرقات فأرسل إليه من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنه خرج فى تجارة فأفاد منها مالا كثيراً وأنه رجع بها إلى زوجته ودفع المال إليها فذكرت المرأة أن المال سرق من المنزل ولم ير نقبا ولا متسلقا[٣٨١] ، فقال له «المنصور» : منذ كم تزوجتها ؟ قال : منذ سنة ، قال : تزوجتها بكراً أم ثيبا ؟ قال : ثيبا ؛ قال : شابة أم مُسنة ؟ قال : شابة ، فدعا «المنصور» بطيب وقال : تطيب بهذا فإنه يذهب همك ، فأخذه وانقلب إلى أهله فقال «المنصور» لجماعة من نقبائه : اقعدوا على أبواب المدينة فمن مر بكم وشممتم فيه روائح الطيب فأتونى به ، ومضى الرجل بالطيب إلى بيته فدفعه إلى المرأة وقال : هذا من طيب أمير المؤمنين فلما شمته أعجبها إلى الغاية فبعثت به إلى رجل كانت تحبه ، وهو الذى دفعت إليه المال فقالت له : تطيب بهذا الطيب ، فتطيب به ومر مجتازا ببعض الأبواب ، ففاحت منه روائح الطيب ، فأخذه نقباء أمير المؤمنين وأتوابه إلى «المنصور» فقال له : من أين استفدت هذا الطيب ؟ فتلجلج فى كلامه فسلمه إلى صاحب شرطته وقال له : أن احضر كذا وكذا من الدنانير فخذ منه وإلا فاضربه ألف سوط فما هو إلا أن أذعن ورد الدنانير وأحضرها كهيئتها ، ثم أعلم «المنصور» بذلك صاحب الدنانير وقال له : أرأيتك إن رددت عليك الدنانير أن تحكمنى فى امرأتك ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين ، قال : هاهى دنانيرك وقد طلقت امرأتك ، وقص عليه الخبر .

أصْغَرُ القُضاةِ سنّاً

وتولى «يحيى بن أكثم» القضاء بالبصرة وسنه عشرون سنة فاستصغره أهل البصرة فقال أحدهم : كم سِنّ القاضى ؟ فعلم «يحيى» أنه استصغره فقال : أنا

(٣٨١) ليست هناك آثار عنف كما نقول بلغة العصر فليس هناك نقب ينفذ منه ولا مكان يتسلقه .

أكبر من «عتاب بن أسيد» حين بعثه رسول الله ﷺ قاضيا على أهل مكة يوم الفتح ، وأنا أكبر من «معاذ بن جبل» حين وجه به رسول الله ﷺ قاضيا على أهل اليمن ، وأنا أكبر من «كعب بن سواد» حين ولاه عمر بن الخطاب قاضيا على أهل البصرة قال : فعظم فى أعين أهل البصرة وهابوه .

إنى وَإيّاكَ فى الجنة

كان لرجل زوجة جميلة وكان هو دميما فقالت له ذات يوم : إنى وإياك فى الجنة ، قال : كيف ذلك ؟ قالت لأنك أعطيت مثلى فشكرت ، وأنا بليتُ بك فصبرت ، والصابر والشاكر فى الجنة .

يخرجُ الحىَّ من الميت

كان رسول الله ﷺ : إذا نظر إلى «خالد بن الوليد» و«عكرمة بن أبى جهل» قرأ : ﴿يُخْرِجُ الحىَّ مِنَ الميت﴾(٣٨٢) وذلك لأنهما من خيار الصحابة وأبواهما أعدى عدّو لله ورسوله .

إياك والجهل

إياك والجهلَ ؛ فإنما تجهلُ على ثلاثة :

رَجُلٍ أنت أعز منه ، ورجلٍ هو أعز منك ، ورجلٍ أنت وهو فى العز سواء .

فأما جهلك على من أنت أعز منه فلؤم !

وأما جهلك على من هو أعز منك فحيف (ظلم) .

وأما جهلك على من هو مثلك ؛ فهراش مثل هراش الكلبين ، ولن يفترقا إلا مقبوحين أو مجروحين ، وليس هذا من أفعال الحكماء والعلماء : الحكيم أرزن ، والجهول أنقص .

---

(٣٨٢) الروم : ١٩

الذى يتصدى لما لا يحسنه !

يقول ابن جناح الدمشقى :

أعلم أن من قاتل بغير عُدة ، أو خاصم بغير حُجّة ، أو صارع بغير قوة ، فهو الذى صرع نفسَه ، وخصم نفسه ، وقتل نفسه !

فإذا ابْتُلِيتَ بقتال أحدٍ أو مخاصمته ، أو مصارعته ، فأحسِن الإعداد له ، واعرف مع ذلك عُدّتَه ، وأبْصِرِ حجته ، واخبرُ قوته ، كما يخبر قُوّتَك ، وحجتَك ، وعُدَّتَك .

فإن رأيت تقدما ..، وإلا كان التأخر قبل التقدم خيراً من التنّدم بعد التقدم !!

يَعُدُّ الإمارة بلاءً

لما ولى «عمر بن عبد العزيز» الخلافة كتب إلى «الحسن البصرى» : إنى قد ابتليت بهذا الأمر فانظر لى أعوانا يعينوننى عليه ، فأجابه «الحسن» : أما أبناء الدنيا فلا تريدهم ، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك ، فاستعن بالله .

خالف نفسه وأطاع والديه

كان «عبد الرحمن بن أبى بكر» رضى الله عنهما قد تزوج «عاتكة بنت عمرو بن نُفَيْل» وكانت من أجمل النساء ، وكان «عبد الرحمن» من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه . فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديداً فثقل ذلك على أبيه فمرّ به «أبو بكر» يوما وهو فى غرفة له فقال : يابنى إن هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك ، فطلقها قال : لست أقدر على ذلك ، فقال : أقسمت عليك إلا طلقتها ، فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديداً وامتنع عن الطعام والشراب ، فقيل لأبى بكر : أهلكت «عبد الرحمن» فمر به يوما و«عبد الرحمن» لايراه فسمعه يقول :

فو الله ماأَنساك ماذَرَّ شارق
وما ناح قمريُّ الحمام المُطَوَّق
فَلَمْ أر مِثلى طَلّق اليوم مِثلها
ولا مثلها فى غير شىء يُطَلّق
لها خُلُق عَفٌّ ودين ومَحْتد
وخُلق سوىٍ فى الحياء وَمنْطق

فسمعه «أبو بكر» فَرَقَّ له وقال : راجعها ، وأقامت عنده حتى قُتل «يوم الطائف» مع رسول الله ﷺ .

فَضْل «قُلْ هُوَ الله أحد»

قال ﷺ لمن قال :أُحبُّ سورة قل هو الله أحد لأنها صفة الرحمن : «**أخبروه أن الله يحبه**»(٣٨٣) .

علاج قسوة القلب

شكا رجل إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له : «**إن أحببت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وآمْسح رأس اليتيم**»(٣٨٤) .

التفاؤل الحسن وأثره

قيل إن «المنصور بن أبى عامر الأندلسى»(٣٨٥) كان إذا قصد غزوة عقد

(٣٨٣) رواه البخارى فى التوحيد ١ . ومسلم فى صلاة المسافرين ٢٦٣ . والنسائى فى الافتتاح ٦٩ .
(٣٨٤) رواه أحمد فى المسند ٢ /٢٦٣ .
(٣٨٥) «المنصور بن أبى عامر» : أمير الأندلس فى دولة «المؤيد» الأموى ، وأحد الشجعان الدهاة ؛ دامت إمارته ستا وعشرين سنة ، وغزا بلاد الفرنجة ستا وخمسين غزوة ، لم يهزم فيها مرة !!

لواءه بجامع قرطبة[٣٨٦] ولم يسر إلى الغزوة إلا من الجامع ، فاتفق أنه في بعض حركاته للغزوة توجه إلى الجامع لعقد اللواء فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة فرفع اللواء فصادف ثُرَيا من قناديل الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد عليه الزيت فتطير الحاضرون من ذلك وتغير وجه «المنصور» فقال رجل : أبشر ياأمير المؤمنين بغزوة هينة وغنيمة سارة فقد بلغت أعلامك الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة ، فاستحسن «المنصور» ذلك واستبشر به ، وكانت الغزوة من أبرك الغزوات .

ولما خرج «المنصور العباسى» إلى قتال «أبى يزيد الخارجى» فى جماعة من أتباعه وواجه الحصن الذى به الخارجى سقط الرمح من يده فأخذه بعض الأتباع ومسحه وقال :

فَألْقَتْ عصاها واستَقَرَّ بها النَّوى
كما قَرَّ عَيْناً بالإياب المسافِرُ

فضحك «المنصور» وقال : لِمَ لَمْ تقل : فألقى «موسى» عصاه ؟ فقال : ياأمير المؤمنين العبد تكلم بما عنده من إشارات المتأدبين ، وتكلم أمير المؤمنين بما أنزل على النبى ﷺ من كلام رب العالمين ، فكان الأمر على ماذكره ، وأخذ الحصن ، وأسر «أبا يزيد الخارجى».

فى الضيافة

قال الله تعالى ﴿**هَلْ أتاك حَديثُ ضَيفِ إبْراهيم**﴾[٣٨٧] وقال ﷺ «**مَنْ كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيُكْرم ضَيْفه ولا يُؤذ جاره**»[٣٨٨] وقيل لإبراهيم

---

(٣٨٦) تأسياً من «المنصور بن أبى عامر» بما كان يفعله الخلفاء الراشدون — رضى الله عنهم — اقتداء برسول الله ﷺ .

(٣٨٧) الذاريات : ٢٤

(٣٨٨) البخارى فى الأدب ٣١ ، ٨٥ ورقاق ٢٣ . ومسلم فى اللقطة ١٤ ، والإيمان ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ . وابن ماجه فى الأدب ٥ .

عليه السلام : بم اتخذك الله خليلا ؟ قال : «**بثلاث : ماخُيرتُ بين شيئين إلا اخترت الذى لله على غيره ولا آهتممت بما تكفل الله لى به ، ولا تغديت ولا تعشيت إلا مع ضيف**» ، وقال ﷺ : «**طعام الاثنين كافى الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافى الأربعة ، وطعام الأربعة كافى الثمانية**»[٣٨٩] .

من تمام الضيافة

ومن تمام الضيافة خدمة الضيف وبسط الوجه له ، فقد قيل : البشاشة فى الوجه خير من القرى[٣٩٠] ، فكيف بمن يأتى بها وهو ضاحك ، ومن تمامها أن يحدث ضيفه بما تميل له نفسه ، ولا ينام قبله ، ولايشكو العسر بحضرته ، ويبش عند قدومه ، ويتألم عند فراقه ، ولا يحدثه بما يُروعه . حُكى عن بعض الكرام أنه استضاف بعض أصدقائه وعمل لهم وليمة وكان له ولد جميل الطلعة فصعد إلى السطح فسقط فمات لساعته ، فحلف على زوجته أن لاتصرخ ولا تبكى حتى يخرج ضيفانه ، فلما كان الليل سألوه عن ابنه فقال : هو نائم ، فلما أصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم : إن رأيتم أن تُصَلُّوا على ولدى فإنه بالأمس سقط من على السطح فمات فقالوا : لِمَ لَمْ تُخبرنا حين سألناك ؟ فقال : ماينبغى لعاقل أن ينغص على أضيافه ولا يكدِّر عليهم عيشتهم ، فتعجبوا من صبره وتجلده ومكارم أخلاقه .

ما للضيف وماعلى المضيف

وقالوا : لابأس أن يدخل الرجل دار أخيه يستطعم[٣٩١] للصداقة الأكيدة ، فقد قصد رسول الله ﷺ والشيخان منزل «أبى الهيثم بن التيهان» و«أبى أيوب الأنصارى» .

---

(٣٨٩) الترمذى فى الأطعمة ٢١ . والبخارى فى الأطعمة ١١ . وأحمد ٢ / ٢٤٤ .
(٣٩٠) القرى : بكسر القاف ـــ مايقدم للضيف .
(٣٩١) يطلب طعاما .

وكان «الحسن» رضى الله عنه يوما عند بقال فجعل يأخذ من هنا تينة ومن هناك فستقة فيأكلها فقال له «هشام» : مابدا لك يا «أبا سعيد» فى الورع ؟ فقال : يالكع اتْلُ على آية الأكل ، فتلا ﴿**ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم إلى قوله : أوصديقكم**﴾[٣٩٢] فقال «الحسن» : الصديق من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب .

وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن أضيافه ولا يمنعه عن ذلك قلة ما فى يده ، بل يحضر إليهم ماوجد ، فقد رُوى : (خيركم من جاد بما عنده) وكان بعض الصحابة رضى الله عنهم يقدمون لأضيافهم الكسرة[٣٩٣] اليابسة وحشف التمر[٣٩٤] ويقولون : أيهما أعظم وزرا ؟ الذى يحقر ماقدم إليه ، أو الذى يحتقر ماعنده أن يقدمه ؟

مِنْ صُوَر البخل

ومن البخل تقديم اليسير وتفخيمه ، كما روى عن بعض البخلاء أنه حلف يوما على صديق له وأحضر له خبزاً وجبناً وقال : لاتستقل الجبن ، فإن الرطل منه بثلاثة دراهم ، فقال له ضيفه : أنا أجعله بدرهم ونصف ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : آكل لقمة بجبن ولقمة بلا جبن .

ومما يستظرف فى هذا الموضع أن بخيلا استأذن عليه ضيف وبين يديه خبز وعسل نحل ، فرفع الخبز ، وأراد أن يرفع العسل غير أن الضيف فاجأه قبل أن يرفعه ، فظن البخيل أن الضيف لايأكل العسل بلا خبز ، فقال له : تأكل عسلا بلا خبز ؟ قال : نعم وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة ، فقال له البخيل : مهلا ياأخى والله إنه يحرق القلب ، قال : نعم ولكنه قلبك !

---

(٣٩٢) النور : ٦١ وأول الآية ﴿**ليس على الأعمى حرج**﴾

(٣٩٣) الكِسْرة : القطعة من الشىء المكسور ومنه الكسرة من الخبز والجمع كِسَر .

(٣٩٤) حشف التمر : اليابس منه وهو أردأ اليابس فهو الذى يجفف من غير نضج ولا إدراك فلا يكون له لحم .

آداب الضيف

ومن آداب الضيف أن لايعتذر عن أكل طعام يقدم إليه بشبع بل يأكل كيف أمكن ، وأن لايسأل صاحب الدار عن شيء من داره سوى القِبْلة وموضع قضاء الحاجة ، وأن لايتطلع إلى ناحية الحريم ، وأن لايخالفه إذا أجْلسه فى مكان وأكرمه به ، وأن لايمنع صاحب المنزل من حركة يريدها ولا يمنعه من صب الماء على يديه ، قال الشاعر :

لايَنبغـــى لِلضيـــف أَنْ يَعْتَـــرض
إن كان ذا حَزمٍ وطَبْـــع لَطِيـــف
فالأمـــــر للإنسان فى بيتـــــه
إن شاء أن ينصف أو أن يحيـــف[٣٩٥]

وينبغى للضيف أن لايكون شرها فى الأكل ولايقطع اللقمة بأطراف أسنانه حتى يهذبها ثم يضعها فى الطعام بعد ذلك ؛ لأن ذلك يجعل النفوس تتقزز منه ، وأن لايكون سباقاً إلى الطعام ، قال الشاعر :

وإن مُدَّت الأيدى إلى الزاد لم أكُنْ بأَعْجلهم إذ أَعْجَلُ القَوْم أجْشَعُ

قوة الإيمان

أصابت «عُروة بن الزبير»[٣٩٦] الأكلة[٣٩٧] فى رجله فأشاروا عليه بقطعها وقالوا : نسقيك المرقد (المخدر) فقال : إنى لأكره أن أفارق عضوا من أعضائى وأنا لاأجد ألما لفراق ذلك العضو ، ثم دخل عليه قوم فأنكرهم وقال : ماهؤلاء ؟ قالوا : يمسكونك ، قال : أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسى ، ثم مدَّ رجله وجيء بالسكين فقُطِع بها اللحم ، وبالمنشار فنشر به العظم ، وأغلى

---

(٣٩٥) الحيف : عدم الإنصاف .

(٣٩٦) «عروة بن الزبير بن العوام» — رضى الله عنه — : ابن أخت أم المؤمنين «عائشة» «أسماء بنت أبى بكر» ، وقد تربى فى حجر خالته ، وكان أثيراً عندها ، اكتسب منها العلم الغزير والفضل العميم ، وروى عنها الكثير .

(٣٩٧) الأَكِلَةُ : قال فى القاموس : داء فى العضو يأتكل منه والإكلة بكسرالهمزة : الحِكّة .

الزيت فى مغارف الحديد وحُسم به الدم[٣٩٨] ، كل ذلك وهو لم يقْبِضْ وجهه ولم يتحرك ، وفى أثناء ذلك دخل عليه رجل يعزيه فقال : إن كنت تعزينى فى رجلى فقد احتسبتها ، فقال : بل فى ولدك «محمد» ، قال : ماله ؟ قال : سقط الساعة فى اسطبل دواب «الوليد» فرفسته فرس بقوائمها حتى قتلته ، فما زاد على أن قال : اللهم أخذت ابناً وأبقيت أبناء ، وأخذت عضواً وأبقيت أعضاء ، اللهم إن كنت أخذت فقد أبقيت ، وإن كنت ابتليت فقد عافيت ! .

تَزْهَدُ فى الرجال بعد «عثمان»

روى أن «نائلة بنت القرافصة بن الأحوص الكلبى» زوجة «عثمان» رضى الله عنهما أصابتها ضربة على يدها عندما قتلوا زوجها «عثمان» رضى الله عنه ــ خطبها «معاوية» لنفسه ردته وقالت : مايعجبه منى ؟ قالوا : ثناياك[٣٩٩] ، فكسرت ثناياها وبعثت بها إلى «معاوية» . فكان ذلك مما رغب قريشاً فى نكاح نساء بنى كلب .

فضل كتمان السر

قال الله تعالى حكاية عن «يعقوب» عليه السلام : **﴿يابنى لاتَقْصُصْ رؤياك على إخوتك فيكيدُوا لك كيداً﴾**[٤٠٠] فلما أفشى «يوسف» عليه السلام رؤياه بمشهد امرأة «يعقوب» أخبرت إخوته فحل به ماحل .

وفى الحديث «**استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود**» وقال «على» كرم الله وجهه : سرُّك أسيرك فإذا تكلمت به صرت أسيراً له . وقال «عمر بن عبد العزيز»رضى الله عنه : القلوب أوعية والشفاهُ

(٣٩٨) قطع به الدم .
(٣٩٩) الثنايا : الأسنان الأمامية فى الفم ، مما يلى القواطع .
(٤٠٠) سورة يوسف : ٥

أقفالها والألسن مفاتيحها ، فليحفظ كل إنسان مفتاح سره وقال «أبو مسلم الخراسانى :

أدرَكْتُ بِالحَـــزْمِ والْكِتْمـــان ماعَجـــزَتْ
عَنْـــهُ مُلُـــوك بنـــى مروان إذ جهـــــدوا
مازِلْتُ أَسْعـــى عَلَيْهِـــم فى ديارهـــم
والْقَـــوم فى غفلـــة بالشام قد رَقَـــدُوا
حتـــى ضَرَبْتُهُـــم بالسَّيـــف فانْتَبَهُـــوا
من نومـــة لم ينمهـــا قبلهـــم أحَـــدُ
وَمَـــنْ رعـــى غَنَمـــا فى أَرض مَسْبعَـــةٍ
ونـــــــــام عنها تولى رعيها الأسد

تواضع «عمر بن عبد العزيز»

قال «رجاء بن حيوة» لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : مارأيت رجلا أكمل أدباً ولا أجمل عشرة من أبيك ؛ وذلك أنى سهرت معه ليلة فبينما نحن نتحدث إذ طفىء المصباح ـــ وقد نام الغلام ـــ فقلت له : ياأمير المؤمنين قد طفىء المصباح أفنوقظ الغلام ليصلح المصباح ؟ فقال : لاتفعل ، فقلت : أفتأذن لى أن أصلحه ؟ فقال : لا لأنه ليس من المروءة أن يستخدم الإنسان ضيفه ثم قام هو بنفسه وحطَّ رداءه عن منكبيه وأتى إلى المصباح فأصلحه وجعل فيه الزيت وأشخص الفتيل ثم رجع وأخذ رداءه وجلس ، ثم قال : قمت وأنا «عمر بن عبد العزيز» وجلست وأنا «عمر بن عبد العزيز» .

ارتفع قَدْرُهُ بِأَدَبِهِ

دخل بعض العلماء على «الرشيد» ـــ وكان دميم الوجه قصير القامة ـــ

(٤٠١) «رجاءُ بن حيوة» من التابعين الفقهاء ، وهو الذى أشار على «سليمان بن عبد الملك» بالعهد مِنْ بعده لِـ «عمر بن عبد العزيز» ـــ رضى الله عنه ـــ
(٤٠٢) الأرض التى تكثر فيها السباع .

فاستحقره «الرشيد» فقال : ماأقبح هذا الوجه ، فقال العالم : ياأمير المؤمنين إن حُسْن الوجه ليس مما يتوسل به إلى الملوك ، فهذا «يوسف» عليه السلام أحسن الناس وجهاً قال ﴿**اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم**﴾(٤٠٣) ولم يقل إنى حسن الوجه جميل . قال : صدقت ثم رفع قدره وقربه .

أما الكلام فَأَقْدِرُ عليه

دخل رجل على «الاسكندر» وكان رث الهيئة ـــ فتكلم فأحسن ، وسئل فأصاب الجواب ، فقال له «الاسكندر» : لو أعطيت جسمك حقه من الزينة كما أعطيت نفسك حقها من العلم والمعرفة لأشبه بعضك بعضاً . فقال له : أيها الملك أما الكلام فأقدر عليه فإنى مالكه ، وأما الزينة فلا أقدر عليها . فعلم أنه محتاج ، فخلع عليه(٤٠٤) وأحسن إليه وقربه .

هل تُحْشَرُ البهائم

قال «ابن دحية» فى كتاب (الآيات البينات) : اختلف الناس فى حشر البهائم وفى جريان القصاص بينها ؛ فقال الشيخ «أبو الحسن الأشعرى» : لا يجرى القصاص بين البهائم لأنها غير مكلفة وماورد فى ذلك من الأخبار نحو قوله ﷺ : «**يقتصُّ للجماء(٤٠٥) من القرناء ، ويُسأل العود لِمَ خَدَش العود**»(٤٠٦) على سبيل المثل والإخبار عن شدة التقصى والحساب ، ولأنه لابد من أن يقتص للمظلوم من الظالم .

وقال الاستاذ «أبو إسحق الاسفراييني» : يجرى القصاص بينها ويحتمل أنها كانت تعقل هذا القدر فى دار الدنيا ؛ قال «ابن دحية» : هذا جارٍ على مقتضى العقل والنقل ؛ لأن البهيمة تعرف النفع والضر فتنفر من العصا وتقبل للعلف ، وينزجر الكلب إذا انزجر ، والطير والوحش تفر من الجوارح

---

(٤٠٣) سورة «يوسف» الآية (٥٥) .

(٤٠٤) خلع عليه قدم له خِلْعة تلبس .

(٤٠٥) الجمّاء : التى فقدت قرونها .

(٤٠٦) رواه أحمد ٢ /٢٣٥ ، ٢٣٣ ، ٣٦٣ ، ٤٤٢ .

استدفاعاً لشرها ، فإن قيل القصاص انتقام والبهائم ليست بمكلفة . فالجواب أنها غير مكلفة إلا أن الله يفعل فى ملكه مايشاء كما سلط عليها فى الدنيا التسخير لبنى آدم ، والذبح لما يؤكل منها فلا اعتراض عليه سبحانه وتعالى ، وأيضاً فإن البهائم إنما يقتص منها لبعضها من بعض إلا أنها لاتطالب بارتكاب نهى ولا بمخالفة أمر لأن هذا مما خص الله به العقلاء .

ولما كثر التنازع رجعنا لما أمرنا الله به بقوله **﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول﴾**(٤٠٧) ووجدنا القرآن العظيم يدل على الإعادة فى الجملة قال تعالى **﴿وما مِن دابة فى الأرض ولا طائر يطيرُ بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يُحْشرون﴾**(٤٠٨) وقال تعالى **﴿وإذا الوُحُوش حُشِرَت﴾**(٤٠٩) وروى الإمام «أحمد» بسند صحيح أن النبى ﷺ قال : **«يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء وحتى للذرة من الذرة»**(٤١٠) وفى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : **«لتؤدين الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء»** ومن استقرى(٤١١) أحوال الحيوانات رأى حكمة الله فيها ، لمّا سلبها العقل جعل لها حساً تفرق به بين الضار لها والنافع ، وجبلها(٤١٢) على أشياء وألهمها إياها لا توجد فى الإنسان إلا بعد التعلم الدقيق ، وتدقيق النظر ، فمنها النحلة المحكمة لتسديس(٤١٣) مخزن قُوتِها حتى يتعجب منه أهل الهندسة ، والعنكبوت المتقنة لخيوط بيوتها وتناسب دوائرها ، وكذلك حيوان (السُّرْفَةُ)(٤١٤) فى إحْكام بيتها

---

(٤٠٧) سورة «النساء» الآية (٥٩) .

(٤٠٨) سورة «الأنعام» الآية (٣٨) .

(٤٠٩) سورة «التكوير» الآية (٥) .

(٤١٠) الذرة : أصغر النمل .

(٤١١) استقرى تتبع وتقصى .

(٤١٢) خلقها وفطرها .

(٤١٣) جعله سداسيا .

(٤١٤) دُوَيّبة سوداء الرأس ، وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتا من دقائق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها وتدخله فتموت فيه .

مربعا من عيدان .

وقد ظهرت من البهائم الصنائع العجيبة والأفاعيل الغريبة ، ولم يسلبها رب العالمين سوى العبارة عن ذلك والنطق به ، ولو شاء أنطقها كما أنطق النملة والهدهد فى عهد «سليمان» على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، ا.هـ

طبقات الإخوان

قال «المأمون» : الإخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لايستغنى عنه ، وطبقة كالدواء يحتاج إليه أحيانا ، وطبقة كالداء الذى لايحتاج إليه .

لا تُطِعْ فىَّ مُشيراً

خرج على «هارون الرشيد» رجل من الخوارج فلما ظفر به «الرشيد» قال له : ماتريد أن أصنع بك ؟ قال له : اصنع بى ماتريد أن يصنع الله بك إذا وقفت بين يديه وهو أقدر عليك منك علىّ ؛ فأطرق «الرشيد» مَلِيًّا[٤١٥] ثم رفع رأسه وأمر بإطلاقه ، فلما خرج قال بعض الحاضرين : ياأمير المؤمنين تظفر بهذا الذى خرج عليك وأفسد فى بلادك وتُطْلِقه بكلمة واحدة ، تأمل ياأمير المؤمنين هذا الأمر فإنه يُجَرِّى عليك أهل الفساد ، فأمر «الرشيد» برده ، فلما عاد ومثل بين يديه علم أنه قد سُعِىَ به وأشير على الخليفة[٤١٦] بقتله ، فقال : ياأمير المؤمنين لاتطع فى مُشيراً يمنعك عفوا تدخر به عند الله يدا ويبعثك على الانتقام الذى ليس من مكارم الأخلاق ، واقتد بالله تعالى فإنه لو أطاع فيك مشيرا لما استخلفك طرفة عين ، وأحْسِنْ كما أحسن الله إليك ، فأمر بإطلاقه وقال : لاتعاودونى[٤١٧] فيه .

---

(٤١٥) طويلا .

(٤١٦) هناك من قام بالإفساد بينه وبين الرشيد من الوشاة الحاقدين .

(٤١٧) لاتناقشونى فيما فعلته به ولا تطلبوا إلى أن أعيد النظر فيما فعلت .

الحازم خير من ألف فارس

قيل : حازم فى الحرب خير من ألف فارس ، لأن الفارس يقتل عشرة وعشرين ، والحازم قد يقتل جيشا بحزمه وتدبيره ..

إياك والنميمة !

إنها لا تترك مودةً إلا أفسدتها ، ولا عداوةً إلا جدّدَتها ولا جماعةً إلا بدّدَتها ، ولا ضغينةً[٤١٨] إلا أوقدتها !!

فضل بيت الله الحرام

لما بنى « آدم » عليه السلام البيت قال : يارب إن لكل عامل أجراً فما أجر عملى ؟ قال : إذا طفت به غفرت لك ذنوبك ، قال : زدنى ، قال : جعلته قبلة لك ولأولادك ، قال : يارب زدنى ، قال : أغفر لكل من استغفر من الطائفين به من أهل التوحيد من أولادك ، قال : يارب حَسْبى[٤١٩] .

وقال « الحسن بن على » رضى الله عنهما : إنى لأستحى من ربى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته ، فمشى من المدينة إلى مكة عشرين سنة .

فضل العقل

قال الله تعالى : ﴿إنّ فى ذلك لآياتٍ لقوم يَعْقِلُون﴾[٤٢٠]

وقيل لبعض الحكماء : بم يعرف عقل الرجل ؟ فقال : بقلة سقطه فى الكلام وكثرة إصابته فيه ، فقيل له : فإن كان غائبا ، فقال : بإحدى ثلاث :

---

(٤١٨) الضغينة : الحقد .

(٤١٩) حسبى : يكفينى هذا .

(٤٢٠) الرعد : ٤ ، النحل ١٢ ، الروم ٢٤ .

إما برسوله وإما بكتابه وإما بهديته ، فإن رسوله قائم مقام نفسه ، وكتابه يصف نطق لسانه ، وهديته عنوان همته ، فبقدر مايكون فيه من نقص يحكم به على صاحبه . وقيل : من أكبر الأشياء شهادة على عقل الرجل حُسْن مداراته للناس .

قال ﷺ : «**من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق**» . وقالوا : العاقل الذى يحسن المداراة[٤٢١] مع أهل زمانه .

صفاتُ العاقل

وقيل لعلى كرم الله وجهه : صف لنا العاقل ، قال : هو الذى يضع الشيء موضعه .

قيل : فَصِفْ لنا الجاهل ، قال : فعلتُ ـــ يعنى الذى لايضع الشيء موضعه .

وقال «المنصور» لولده : خذ عنى اثنتين : لاتقل من غير تفكير ، ولا تعمل بغير تدبير .

وعن «عمرو بن العاص» أنه قال : أهل مصر أعقل الناس صغاراً وأرحمهم كبارا .

وقيل : العاقل المحروم خير من الأحمق المرزوق . وقيل : لا ينبغى للعاقل أن يمدح طعاما حتى يَسْتمرئه ، ولا يثق بخليل حتى يستقرضه . وقيل : أيّهما أحمد الحياء أم الخوف ؟ قيل : الحياء ، لأنه يدل على العقل والخوف على الجبن .

---

(٤٢١) وقد قالوا ناصحين : فدارهم مادمت فى دارهم وأرضهم مادمت فى أرضهم .

فى اللّباس

قال ﷺ : « البسوا من ثيابكم البياض ، وكفنوا فيها موتاكم »[٤٢٢] وسئل بعض العرب عن الثياب فقال : الصُّفر أشْكل والحمر أجمل ، والخضر أقبل ، والسود أهول ، والبيض أفضل ، وكان « مصعب بن الزبير » يقول : لكل شىء راحة ، وراحة البيت كَنْسه ، وراحة الثوب طيُّه ، ودخل رجل على « معاوية » رضى الله عنه وعليه عباءة رديئة فازدراه « معاوية » ، فقال : ياأمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها . ورأى « الأصمعى » أعرابيا فى ثياب رثيثة فاستنشده شعراً فقال :

أأخى إن الحادثات عَرَكْنَنى عَرك الأديم[٤٢٣]
لاتُنْكِرَنَّ أن قد رأيت أخاك فى طِمْرٍ قديم[٤٢٤]
إن كان أثوابى رثاثاً إنهن على كريم

ماكان يحبه صلى الله عليه وسلم

« كان يحب التَّيامُنَ ماستطاع فى شأنه كلّه » رواه أبو داود .
« كان يحب أن يخرج إذا غزا يوم الخميس » رواه أحمد فى مسنده .
« كان يحب الحلوى والعسل » رواه الشيخان .
« كان يحب هذه السورة ﴿سَبّح آسْم ربِّك الأعلى﴾ رواه أبو داود .
« كان يحب الزبد والتمر » رواه الإمام أحمد فى مسنده .

---

(٤٢٢) رواه أبو داود فى الطب ١٤ ، واللباس ١٣ . والترمذى فى الجنائز ١٨ . والنسائى فى الجنائز ٣٨ . وأحمد ١ /٢٤٧ ، ٢٧٤ .

(٤٢٣) مرت بتجارب فعلت فى مايفعل بالجلد . وعرك الأديم : دلكه .

(٤٢٤) الطمر : الثوب البالى .

إكرام شاهد الحق

عن «ابن عباس» رضي الله عنهما قال : أكرموا الشهود فإن الله يستخرج بهم الحقوق ويدفع بهم الظُّلم .

فى الدَّيْن

قال ﷺ : **«من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ؛ ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله»**[٤٢٥] وقال رجل لرسول الله ﷺ **«أرأيت إن قُتلتُ شهيداً فأين أنا ؟ قال : فى الجنة . ثم قال : قال جبريل إن لم يكن عليه دَيْن»**[٤٢٦] وقال حكيم : الدين يجمع كل بؤس هم بالليل وذل بالنهار ، وهو ساجور[٤٢٧] الله فى أرضه ، فإذا أراد الله أن يُذِلّ عبداً جعله طوقا فى عُنقِهِ .

قضاة زمان والسلطان

وشهد الملك «الكامل» فى حادثة أمام القاضى «شرف الدين محمد» فرد القاضى شهادته قائلا : إن السلطان يأمر ولا يشهد ! .

هكذا كانوا يحكمون

روى «الشيبانى» .. أن «المأمون» جلس يوما للمظالم .. وكان آخر من تقدم إليه امرأة مغلوبة على أمرها .. فوقفت بين يديه وأقرأته السلام فرد عليها ثم سألها عن حاجتها فقالت تخاطب أمير المؤمنين .

---

(٤٢٥) رواه البخارى فى الزكاة ١٨ ، والاستقراض ٢ . وابن ماجه فى الصدقات ١١ . وأحمد ٢/٣٦١ ، ٤١٧ .

(٤٢٦) رواه الترمذى، فى ثواب القرآن ١١ . والنسائى فى الجهاد ٣٢ . وأحمد ٣/٣٢٥ ، ٣٥٢ ، ٣٧٣ .

(٤٢٧) الساجور : خشبة تعلق فى عنق الكلب . المنجد .

ياخَيْــر مُنْـــتَصَفٍ يُهْـــدى له الــــرشد
ويـــــا إمامـــــا به قَدْ أشْرَقَ البَلَـــــدُ
تَشْكُــو إلــيك : عَميــدَ القــوم أرْملــةٌ
عدا عليها فَلَـــمْ يُتْـــرَكْ لها سَبَـــدُ
وآبتــز منــى ضياعــى بعــد مَنْـــعَتها
ظلمــا وفُــرِّق مِنَــى الأهــلُ والولــدُ

ولما كان «المأمون» ليس لديه وقت إذ أن صلاة العصر كانت قد وجبت .. فقد أجابها بقوله :

فى دون ماقــلتِ زال الصَّبْــر والْجَلَـــدُ
عَنّــى وقــرح منــى القَــلبُ والكَبِــدُ
هذا أوانُ الــــــــــــعَصْر فانصرفى
وأحْضرى الخصم فى اليــوم الــذى أعِــدُ
والمجلسُ السَّبْتُ إن يُقْضَ الجلــوس لنـــا
ننصفك منـــه وإلا المجلسُ الأحَـــدُ

فلما كان يوم الأحد جلس ـــ وقد وقف على رأسه ابنه «العباس» وتقدمت إليه تلك المرأة .. فسألها ـــ أين الخصم ؟ فقالت : الواقف على رأسك ياأمير المؤمنين .. وأومأت إلى ابنه «العباس» فنادى «المأمون» أحمد ابن أبى خالد وأمره بأن يأخذ بيد «العباس» ويجلسه مع المرأة مجلس الخصوم ، فأطمع عَدلُ «المأمون» المرأة .. فاخذت تُدْلى بحجتها بصوت عال حَجَبَ صوت «العباس» . فطلب منها «أحمد بن أبى خالد» .. أن تُخْفِضَ من صوتها وهى تخاطب الأمير ، فصاح فيه «المأمون» .. دَعها فإن الحق أنطقها

---

(٤٢٨) السَّبَد : القليل من الشعر : يقال : « ماله سبد ولا لبد » أى لاشعر له ولاصوف . وهذا المثل يقال : لمن لاشيء له . [المنجد] .
(٤٢٩) إن أقل مما حدث لك يزيل صبرى وتحملى ويقطع قلبى وكبدى فما بالك بما حدث لك ؟!

وأخرسه ، ثم قضى لها برد ضيعتها وعاقب «العباس» على ظلمه لها .. واستغلاله لنفوذ والده .. ، وهكذا كانوا يحكمون !!!

الجبن والجبناء

الجبن : الخوف .. ، والجبان الضعيف القلب الذى يتهيب الأشياء ؛ وقد استعاذ منه رسول الله ﷺ فقال : «**اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال**»(٤٣٠) .

وقالوا فى الجبان : إن أحس بعصفور طار فؤاده ، وإن طنت بعوضة طال سُهاده(٤٣١) ، يفزع من صرير الباب ، ويقلق من طنين الذباب ،(٤٣٢) إن نَظَرْت اليه شذراً أُغْمِي عليه شهراً ، يحسب خُفُوق الرياح قَعْقَعَة الرِّماح ، قال الشاعر :

إذا صوَّت العصفور طار فُؤادُهُ ... وَلَيْثٌ حديدُ النابِ عِنْدَ الثرائِدِ(٤٣٣)

من لم يحاب الحاكم لايحابى المحكوم

يروى أن الخليفة «المنصور» وشى(٤٣٤) عنده بعض الناس بأحد عماله ؛ فلما حضر عنده ذلك العامل عطس «المنصور» فلم يُشمِّتْه(٤٣٥) ذلك العامل ، فقال له «المنصور» : مامنعك عن التشميت ؟ قال : إنك لم تحمد الله ،

---

(٤٣٠) البخارى فى الجهاد ٧٤ ، دعوات ٣٥ ، ٤٠ . وأبو داود فى الوتر ٣٢ . والترمذى فى الدعوات ٧٠ .

(٤٣١) السهاد : الأرق والسهر .

(٤٣٢) صرير : صوت الباب صرير وصوت الذباب طنين .

(٤٣٣) الثرائد : جمعُ ثريد (الفته) ، وهنا يكنى به الشاعر عن الطعام بوجة عام .

(٤٣٤) وشيَ يشى بالكلام إلى الحاكم نمّ وسعى به .

(٤٣٥) لم يقل له : «**يرحمك الله**» أو لم يدع له أن لايكون فى حالة يشمت به فيها .

فقال : حَمَدْت الله فى نفسى ، قال العامل : وأنا شمتكُ فى نفسى ، فأُعْجب به «المنصور» وقال : ارجع إلى عملك فإنك إذْ لم تحابنى لاتحابى غيرى .

اجعلوها فى كفنى

وفد عشرة من أولاد «على بن أبى طالب» كرَّم الله تعالى وجهه على «أبى دُلَفٍ» فى مرض موته ، فلما دخلوا عليه وقال واحد منهم : إنا أهل بيت رسول الله ﷺ ، وقد حطمتنا المصائب وأُجْحفت بنا النوائب[٤٣٦] ، فإن رأيت أن تجبر كسيرا وتغنى فقيرا فاَفْعل ؛ قال لخادمه : خذ بيدى يابنى ، ثم أقبل معتذرا إليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال : ليكتب كل منكم بيده أنه قبض منى ألف دينار ؛ فلما كتبوها ووضعوها بين يديه قال لخادمه : علَّى بالمال ، فوزن لكل واحد منهم ألف دينار ، ثم قال لخادمه : إذا أنا مت فأُدْرج هذه الرقاع[٤٣٧] فى كفنى ، فإذا لقيت رسول الله ﷺ فى القيامة كانت حجة لى أنى قد واسيت عشرة من ولده . ثم قال : ياغلام ادفع لكل منهم ألف درهم ينفقها فى طريقه حتى لاينفق من الألف دينار شيئا حتى يصل إلى موضعه ، فأخذوها ودعوا له .

«عطاء بن أبى رباح»

دخل «عطاء بن أبى زباح» على «هشام بن عبد الملك» فلما رآه قال : مرحبا مرحبا ههنا ههنا ولايزال يقول : ههنا هنا حتى أجلسه معه على سريره ومس بركبته ركبته ، وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا فقال له : ماحاجتك يا «أبا محمد» ؟ قال : ياأمير المؤمنين أهل الحرمين أهل الله وجيران رسول الله ﷺ تقسم عليهم أرزاقهم وعطياتهم ، فقال : ياغلام اكتب لأهل

---

(٤٣٦) يقال أجحف الدهر بهم : استأصلهم وأهلكهم ، ويستعمل الإجحاف فى النقص الفاحش .
(٤٣٧) ضعها فى داخل كفنى ! والرقاع جمع رقعة وهى مايكتب فيه .

مكة والمدينة بعطاياهم وأرزاقهم لسنة ، ثم قال : هل من حاجة غيرها ؟ قال : نعم أهل الحجاز وأهل نجد هم أصل العرب وقادة الإسلام ترد فيهم فُضُول صدقاتهم ، فقال : ياغلام اكتب بأن ترد فيهم فضول صدقاتهم ، ثم قال : هل من حاجة غيرها يا «أبا محمد» ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين أهل الثغور[٤٣٨] يردون مَن وراءكم ويقاتلون عدوكم تجرى لهم أرزاقهم إليهم ، فإنهم إن هلكوا ضاعت الثغور قال : ياغلام اكتب بحمل أرزاقهم إليهم ، قال : هل من حاجة غيرها ؟ قال : أهل ذمتكم[٤٣٩] لايكلفون مالا يطيقون ، فإن ماتجبونه منهم معونة لكم على عدوكم ، قال : نعم ، ياغلام اكتب لأهل الذمة بأن لايكلفوا مالا يطيقون ، قال : هل من حاجة غيرها ؟ قال : نعم اتق الله فى نفسك فإنك خلقت وحدك وتموت وتحشر وحدك ، وتحاسب وحدك ، ومامعك ممن ترى أحد ، فأكب «هشام» ينكت فى الأرض وهو يبكى ، فقام «عطاء» فلما كان عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس ثم قال : إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا ، فقال : لاأسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على رب العالمين[٤٤٠] .

أَجْودُ الناس

كان أجود الناس وأسخاهم سيدنا «محمد» ﷺ ، بل كان أجود من الريح ، وفى الحديث «**فَلَرسُولُ الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة**»[٤٤١] وفى الصحيح : «**وما سئل عن شيء قط فقال لا ، فإن يكن عنده أعطى ، وإن لم يكن عنده استدان**»[٤٤٢] ، «**وأعطى «عيينة بن حصن» مائة من**

---

(٤٣٨) الذين يرابطون فى المدن على الحدود والشواطىء .

(٤٣٩) من بيننا وبينهم عهد فى ذمتنا من أهل الكتاب فإن لهم بمقتضى عقد الذمة مالنا وعليهم ماعلينا .

(٤٤٠) اقتباس جميل من القرآن الكريم : ﴿**قل لاأسألكم عليه أجرا**﴾ (٩٠ ــ الأنعام) والآيات الست (ومأأسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) .

(٤٤١) رواه البخارى فى بدء الوحى ٥ ،٦ ؛ والصوم ٧ ؛ والمناقب ٢٣ . ومسلم فى الفضائل ٤٨ ، ٥٠ . والترمذى فى الجهاد ١٥ .

(٤٤٢) رواه مسلم فى الفضائل ٥٦ ، ٥٧ . وأحمد فى المسند ٦ /١٣٠ .

الإبل ، وأعطى «الأقرع بن حابس» مثلها ، وأعطى أعرابيا غنما بين جبلين ، فانطلق الأعرابى وقال لقومه : أسلموا فإن «محمدا» ﷺ يعطى عطاء من لايخاف الفقر» ، «ونحر ﷺ فى حجة الوداع مائةَ بَدَنة»(٤٤٣) .

وقال «أنس بن مالك» : رضى الله عنه «أتى رسول الله ﷺ بمال من البحرين لم يؤتَ قبله مثله ، فوُضعَ فى المسجد ، ثم خرج فصلى ، فلما فرغ من صلاته جلس ثم دعا بالمال فما رأى أحداً إلا أعطاه منه ، فجاءه عمه «العباس» فقال : يارسول الله إنى فاديت نفسى وفاديت «عقيلا» فقال رسول الله ﷺ : خُذْ . فحثا فى ثوبه ثم ذهب ليقوم فلم يستطع ، فقال : يارسول الله مرْ مَنْ يرفعه على ، قال : لا ، قال : فارفعه أنت ، قال : لا فنثر منه ثم احتمله على كاهله وذهب ، فما زال رسول الله ﷺ يُتْبِعُهُ بصرهُ حتى خفى علينا تعجبا من حرصه . وماقام رسول الله ﷺ حتى فرق المال جميعه» .

ماكان لك سوف يأتيك

وفد «عروة بن أذينة الشاعر» على «هشام بن عبد الملك» فى جماعة من الشعراء فلما دخلوا عليه عرف «عروة» فقال : ألست القائل :

لَقَدْ عَلِمْتُ ومـا الإشراف من خُلُقـى(٤٤٤)
أن الـذى هو رزقى سَوف يأتينـى
أَسْعـى له فَيُعْيينـى(٤٤٥) **تطلُّبُـه**
ولـو قعـدت أتـانى لا يُعنينـى(٤٤٦)

---

(٤٤٣) أحمد فى المسند ١ /٣١٤ . عن كتاب «**حجة الوداع : مناسك الحج والعمرة كما أداهما الرسول ﷺ**» للاستاذ/ محمد عثمان الخشت . والبدنة : الناقة .

(٤٤٤) أشرفت نفسه على الشيء : حرصت عليه وتهالكت .

(٤٤٥) فيعيينى : يعجزنى .

(٤٤٦) دون عناء أو تعب .

وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام فى طلب الرزق ، فقال : يا أمير المؤمنين زادك الله بسطة فى العلم والجسم ولا رُدَّ وافدك خائباً والله لقد بالغت فى الوعظ وأذكرتنى ماأنسانيه الدهر ، وخرج من فوره إلى راحلته فركبها وتوجه إلى الحجاز ، فلما كان الليل ذكره «هشام» وهو فى فراشه فقال : رجل من قريش قال حِكْمة ووفد إلى فجبهته(٤٤٧) ورددته عن حاجته وهو مع ذلك شاعر لا آمن مايقول ؛ فلما أصبح سأل عنه فأخبر برجوعه إلى الحجاز ، فدعا مولاه وأعطاه ألفى دينار وقال له : الحق بهذا «ابن أذينة» وأعطه إياه ليعلم أن الرزق سيأتيه .

جمع المعالى فى أربعة

دخل «عبد الله بن مسلم الهذلى» على «المهدى» فى القراء ، فأخذ عشرة آلاف درهم ، ثم دخل فى الرماة فأخذ عشرة آلاف درهم ، ثم دخل فى المغنين فأخذ عشرة آلاف ، ثم دخل فى القُصّاص(٤٤٨) فأخذ كذلك عشرة آلاف ، فقال «المهدى» : لم أر كاليوم أجمع للمعالى منه .

شر العلماء وخير الأمراء

قال «الفضيل» : شر العلماء من يجالس الأمراء ، وخير الأمراء من يجالس العلماء .

علامة الخير والشر

قال بعض الحكماء : إذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه الطاعة وألزمه القناعة وفقهه فى الدين وعضده باليقين ، فاكتفى بالكفاف ، واكتسى بالعفاف .

---

(٤٤٧) جَبَهْته : رددته عن حاجته .

(٤٤٨) الذين يقصون على الناس أخبار السابقين ويعظونهم بما يقصونه عليهم والقصاص ايضا قصاص الأثر .

وإذا أراد به شراً حبب إليه المال وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله إلى هواه ، فركب الفساد وظلم العباد .

دعوات الفرج

روى «إبراهيم بن سعيد» عن أبيه عن جده قال : (كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال : **«ألا أخبركم بشيء ، إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من الدنيا دعا به ففرج عنه ؟ فقيل له : بلى ، فقال : دعاء «ذى النون» : ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾ »**)(٤٤٩) .

من دعائه ﷺ

وعن «أبى القاسم» عن أبيه قال : (قال رسول الله ﷺ : **«ما أصاب مسلماً قط هم ولا حزن فقال : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ، ونور بصرى ، وجلاء حُزْنى وذهاب هَمّى ، إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرجا ، قالوا يارسول الله أفلا نتعلم هذه الكلمات ؟ قال : بلى ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن»**(٤٥٠)

قد يكون المكروه نِعْمَةً

قال «ابن عيينة» : ما يكرهه العبد خير له مما يحب ؛ لأن مايكرهه يهيجه على الدعاء ومايحب يلهيه عنه .

---

(٤٤٩) رواه البخارى فى الدعوات ، والترمذى فى الدعاء . والآية رقم ٨٧ من سورة الأنبياء .
(٤٥٠) رواه أحمد فى المسند ١ /٣٩١ ، ٤٥٢ .

يا حُسْن مطلبهم !

حكى «**ذو النون المصرى**» قال :

رأيت امرأة فى بعض سواحل الشام .

فقلت لها : من أين أقبلت رحمك الله ؟

قالت : من عند أقوام تتجافى* جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً .

قلت : وأين تريدين ؟

قالت : إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

قلت : صفيهم لى .

قالت :

قومٌ همومُهــمُ بالله عُلِّقَــتْ .·. فمالهمُ هِمَمٌ تَسْمو إلى أَحَــدِ
فمطلبُ القوم مولاهم وسَيِّدُهُم .·. يا حُسْنَ مطْلَبِهم للواحدِ الصَّمَدِ
ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف .·. من المطاعم واللذاتِ والولد
ولا للبس ثياب فائق أنق .·. ولا لروح سرور حلَّ فى بلد
إلا مسارعة فى إثر منزلة .·. قد قارب الخطو فيها باعد الأَبَدِ
فهو رهائن عذرانٍ وأوديةٍ .·. وفى الشوامخ تلقاهم مع العدد

* تتجافى جنوبهم عن المضاجع : يهجرون النوم ويقدمون المجاهدة .

الإقْدام ...

وحكى «الأصمعى» أن أعرابيا قال : خف الشر من موضع الخير ، وارْجُ الخير من موضع الشر ؛ فرُبَّ حياة سببها طلب الموت ، وموت سببه طلب الحياة ، وأكثر مايأتى الأمن من ناحية الخوف . وقال «الحصين بن الحمام» :

تأخَّـرْتُ أستبقـى الحيـاة فلـم أجـد
لنـفسى حيـاةً مثـل أنْ أتقدمـا

وقال «ابن الحنفية» لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما حين سَيَّره «ابن الزبير» عن «مكة» إلى «الطائف» : يا بن عم إنما يُبتلى الصالحون وتعد الكرامة للأخيار ، ولو لم تؤجر إلا فيما تحب لقل الأجر ، وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿**وعسى أنْ تكرهُوا شيئا وهو خَيْر لكم**﴾(٤٥١)

فضل «معاوية»

قال أبو نعيم : (كان «معاوية» من الكتبة الفصحاء ، وهو ممن كتب الوحى بين يدى رسول الله ﷺ فكان أمينُهُ على وحى ربه جل وعلا) (ا هـ) . وكان رضى الله عنه من أكابر العرب نسبا وقُرْباً منه صلى الله عليه وسلم ، حاز شرف الإسلام وشَرَف الصحبة ، وشرف النسب ، وشرف المصاهرة ، وشرف الحلم وشرف العلم ، وشرف السيادة ، والإمارة والخلافة . روى عن «أبى بكر و«عمر» وأخته أم المؤمنين «أم حبيبة» ، وروى عنه فقهاء الصحابة ـــ «عبد الله بن عباس» و«عبد الله بن عمر» و«عبد الله بن الزبير» رضى الله عنهم .

كان عاقلا لبيبا عالما حكيما داهية فى السياسة والكياسة ، وهو الذى قال : لو كان بينى وبين الناس شعرة ماانقطعت ، قالوا : وكيف ذلك ياأمير المؤمنين ؟ قال : إذا جذبوها أرخيتها ، وإذا أرْخوها جذبتها . كان حسن

---

(٤٥١) البقرة : ٢١٦ .

التدبير فصيحا بليغا يحلم فى موضع الحلم ويشتد فى موضع الشدة ؛ والحلم عنده أغلب ، قال فيه رسول الله ﷺ : « **« معاوية بن أبى سفيان » أحلم أمتى وأجودها** » أخرجه « الحارث بن أسامة » ، ودعا له النبى ﷺ فقال : « **اللهم أجعله هاديا مهديا** »(٤٥٢) . وروى الحافظ « أحمد بن منيع » قال : قال النبى ﷺ « **عزيمة من ربى وعَهْدٌ عَهِدَهُ إلى أن لاأتزوج إلى أهل بيت ولا أزوج بنتا من بناتى لأحد إلا كانوا رفقائى فى الجنة** » .

طَرَفٌ من حِلْمه

عن « سهل بن أبى سهل التميمى » عن أبيه قال : حج « معاوية » فسأل عن امرأة من « بنى كنانة » كانت تنزل بالحجون(٤٥٣) يقال لها « دارمية الحجونية » ، كانت سوداء كثيرة اللحم ، فأخبر بسلامتها ، فبعث إليها فجيء بها فقال : ماحالك يا « ابنة حام »(٤٥٤) ؟ قالت : لست لحام(٤٥٥) إن عبتنى ، أنا امرأة من « بنى كنانة » قال : صدقت . أتدرين لم بَعَثْتُ إليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب إلا الله ، قال : بعثت إليك لأسألك علام أحببت « علياً » وأبغضتنى وواليته وعاديتنى ؟ قالت : أو تعفينى ياأمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك ، قالت : أما إذا أبيت فإنى أحببت « عليا » على عدله فى الرعية وقَسْمِه بالسوية ، وأبغضتك على قتالك من هو أولى منك بالأمر ، وطلبتك ماليس لك بحق ، وواليت « عليا » على ماعقد له رسول الله ﷺ من الولاء ، وحُبّه المساكين وإعطامه لأهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء وجَوْرِك فى القضاء وحكمك بالهوى ؛ قال : فلذلك انتفخ بطنُك وعظم ثدياك وربت

---

(٤٥٢) الترمذى فى المناقب ٤٧ . وابن ماجه فى المقدمة ١١ . وأحمد ١ /١٠٩ ، ٤ /٢١٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ . والبخارى فى الجهاد ١٥٤ ، ١٩٢ ، والمغازى ٦٢ .

(٤٥٣) الحَجُون : جبل مشرف على مكة .

(٤٥٤) يقال إن سلالته كانت سوداء .

(٤٥٥) أى لست منسوبة له .

عجيزتك ، قالت : ياهذا،بهند[٤٥٦] والله كان يضرب المثل فى ذلك،لا بى .. ، قال «معاوية» : ياهذه أربعى[٤٥٧] فإنا لم نقل إلا خيرا إنه إذا انتفخ بطن المرأة تم خَلْقُ ولدها ، وإذا عظم ثدياها تروى رضيعها ، وإذا عظمت عجيزتها[٤٥٨] رزن مجلسها ،فرجحت وسكنت .

قال : ياهذه هل رأيت «عَلياً» ؟

قالت : إى والله ، قال : فكيف رأيته ؟ قالت : رأيتُهُ والله لم يفتنه الملك الذى فتنك ، ولم تشغله النعمة التى شغلتك ، قال : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم والله فكان يجلو القلب من العمى كما يجلو الزيت صدأ الطست ، قال : صدقت ؛ فهل لك من حاجة ؟ قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم ، قالت : تعطينى مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها ، قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أغذو بألبانها الصغار ، وأستحيى بها الكبار ، وأكتسب المكارم ، وأصلح بها بين العشائر ، قال : فإن أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل على ؟ قالت : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان[٤٥٩] ، وفتى ولا كمالك[٤٦٠] ياسبحان الله أو دونه فأنشأ معاوية يقول :

إِذَا لَمْ أَعُـدْ بالحِلْـمِ مِنِّـى عَلَيْكُـمُ
فَمَنْ ذَا الَّذِى بَعْـدِى يُؤَمَّـلُ لِلْحِلْـمِ ؟!

الشيب وأثره

قال رسول الله ﷺ : «لاتنتفوا الشيب ، فإنه نور المسلم . مامن مسلم

(٤٥٦) هى «هند بنت عتبة» أم «معاوية» .
(٤٥٧) كفى .
(٤٥٨) مؤخرتها .
(٤٥٩) السعدان : الشوك .
(٤٦٠) هذه أمثلة ثلاثة تضرب للشىء يفضل على أشباهه .

يشيب شيبة فى الإسلام إلا كتب له بها حسنة»(٤٦١) .

وقال ﷺ : **«ليس منا من لم يوقر كبيرنا»**(٤٦٢) .

وعن «أنس» رضى الله تعالى عنه قال : قال ملك الموت لـ«نوح» عليه السلام : «ياأطول النبيين عمراً كيف وجدت الدنيا ولذتها ؟ قال : كرجل دخل فى بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثانى» . وقال «عبد . . بن مروان» : «مَنْ لم يتعظ بثلاث لم ينته بشيء : الإسلام والقرآن والشيب» .

وصاح شاب بشيخ أُحْدَب : بكم ٱبْتعتَ هذا الْقَوْس ياعَماه ؟ فقال : يابنى إنى أُعطيتها بغير ثمن .

وَمَرَّ شيخ بامرأة جميلة فقال : ياهذه إن كان لك زوج فبارك الله لك فيه ، وإلا فأعلمينا ، فقالت : كأنك تخْطُبنى ؟ قال : نعم ، فقالت : إن فى عيباً ، قال : وماهو ؟ قالت : شيب فى رأسى ، فثنى عنان دابته وأعرض عنها ، فقالت : على رِسْلك ياشيخ فلا والله مابلغت عشرين سنة ولا رأيت فى شعرة بيضاء ولكننى أحببت أن أعلمك أنى أكره منك مثل ماتكره مِنى ، قال الشاعر فى الشّيب :

عَرِيتُ من الشبـــاب وكـــــنت غضا (٤٦٣)
كما يعـــــرى من الـــــورق الـــــقضيب
ونحت على الشبـــاب بدمـــــع عينــــى
فمـــا نفـــــع البكـــــاء ولا النحـــيب
فيالـــيت الشبـــــاب يعـــــود يومـــــا
فأخبره بما فعــــــــــــــــــل المشيب

---

(٤٦١) رواه أحمد ٢ /١٧٩ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ . وأبو داود فى الترجل ١٧ . والترمذى فى فضائل الجهاد ٩ .

(٤٦٢) رواه الترمذى فى البر ١٥ .

(٤٦٣) العود .

وقال الجاحظ :

أترجــــو أن تكــــون وأنت شيــــخ
كما قد كنت فى زمــــن الشبــــاب ؟!
فقــــد كَذَبــــتك نفْسُك لُبْسَ ثوبٍ
دريس كالجديــــد من الثيــــاب(٤٦٤)

شيء من أخلاقه صلى الله عليه وسلم

سُئِلت «عائشة» رضى الله عنها عن خُلُق النبى ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ولاينفرهم ، ويتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما فى الناس ، ويحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهيه ، ويحذر الناس ولايقصر عن الحق ولايتجاوزه ، ولا يجلس ولايقوم إلا عن ذكر الله ، ويجلس حيث ينتهى به المجلس ، ويأمر بذلك ، ويعطى كل جلسائه نصيبه ، ولا يحسب أحد من جلسائه أن أحداً أكرم عَلَيْه منه ، ومن جالسه أو قاومه لحاجة صابَرَهُ حتى يكون هو المنصرف ، ومن سأله حاجة لم ينصرف إلا بها أو بميسورٍ من القول ، مجلسه مجلس علم وحياء وصدق وأمانة ؛ لاتُرْفع فيه الأصوات ، ولاتُنْتَهكُ فيه الحرمات ، وكان دائم البشر فى جلسائه سَهْل الخُلق لَيِّن الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب(٤٦٥) بالأسواق ولا فحاش(٤٦٦) ولا عياب ولايذم أحداً ولا يطلب عوراته ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، إذا سكت تكلموا ، ويضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون ، وكان لايُغضبه شيء إلا إذا انتهكت حُرُمات الله ، وكان أبر الناس ، وأكْرم الناس ضحاكا بَسّاما

---

(٤٦٤) الدريس : الثوب البالى .

(٤٦٥) ليس ممن يثيرون الصخب فى الأصوات . والصخب الصوت الشديد العالى .

(٤٦٦) ليس عيابا والفحش القبيح من القول والفعل .

وقال أنس رضى الله عنه : (أتت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت : يارسول الله ، إن لى إليك حاجة ؛ قال : ياأُمّ فلان خُذى فى أىّ طريق شئت قومى فيه حتى أقوم معك ، فمكث رسول الله ﷺ يُناجيها حتى قضت حاجتها) — وقال «أنس» : (خَدَمْتُ رسول الله ﷺ عَشْر سنين فما سبنى قط ولا ضربنى ولا آنتهرنى ولا عبس فى وجهى ، ولا أمرنى بأمر فتوانيت فيه فعاتبنى ، فإن عاتبنى أحد من أهله قال : «**دَعُوهُ**») .

وقال «أنس» أيضا : (أُدْرَكَ أعرابى النبى ﷺ فأخذ بردائِهِ فجذبه جَذْبة شديدة حتى نظرت إلى صفحةِ عُنُقه ﷺ وقد أُثرت فيه حاشيةُ الرداء من جذبته ، ثم قال : يا «محمد» مر لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت النبى ﷺ وضحك وأمر له بعطاء . فلو أن أزهد الناس قال لشحنه[٤٦٧] ، أو واليه ، اتق الله ، لأمر بضرب عنقه ، وكان أشد الناس حياءً من العذراء فى خدرها ؛ وأتى بقليل من الذهب فقسمه بين أصحابه فقام بدوى وقال : يا «محمد» إن الله أمرك أن تعدل ، فما عدلت !! : فقال : «**وَيْحَكَ مَنْ يَعْدِل عَلَيْك بَعْدى !!**» وكان فى بعض الغزوات فجاء رجل حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف وقال : من يمنعك منى ؟ قال : «الله» ؛ فسقط السيف من يده ، فأخذه ﷺ وقال : «**من يَمْنَعَك منى**» قال : كن خَيْر آخذٍ ، فقال ﷺ : «**قُلْ أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله**» قال : لا ، غَيْر أنى لاأقاتلك ولا أكون معك ولا مع قوم يُقاتلونك ، فخلّى سبيله ، فجاء إلى أصحابه فقال : جئتكم من عند خَيْر الناس» ؛ (وقسم يَوما قسما فقال أنصارى : إن هذه قسمة ماأُريد بها وَجه الله ، فآحْمَر وجهه ﷺ وقال : رحمة الله على «موسى» لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر) .

وعن أنس أيضا : (أن رجلا أتى النبى ﷺ فسأله فأعطاه غنما بين جَبَلين ، فأتى قومه فقال : أَسْلموا فإن «محمداً» يعطى عِطاء من لايخاف الفقر) ؛ (وقَدِمَ على النبى ﷺ سبعون ألف درهم وهو أكثر مال ، ماأُتى به أحد قط ،

---

(٤٦٧) الشحنة (بكسر الشين) من أقامه الملك لضبط البلد وهو المعروف الآن بالشرطة .

فوُضع على حصير ثم قام إليه يَقسمه فما رد سائلا حتى فرغ منها) ؛ (وقال لِمُعاذٍ حين بعثه إلى اليمن : يا « معاذ » إذا كان الشتاء فغلس[٤٦٨] بالفجر وأطِلْ قَدْر مايطيق الناس ولا تُمِلّهم[٤٦٩] ، وإذا كان الصيف فأسفر[٤٧٠] بالفجر فإن الليل قصير ، والناس ينامون ، فأمهلهم حتى يدركوا) ؛ (وأعطى أعرابيا شيئا فقال : (أحسنت إليك قال : لا ، ولا أجملت[٤٧١] ، فغضب المسلمون وهموا به ، فقال ﷺ : « كُفُّوا عنه ، فأعطاه حتى رَضِى ، ثم قال : **مثلى ومثلكم مع هذا الرجل مثل ناقةٍ شردت من صاحبها فأراد الناس أن يُمْسكوا بزمامها فما زادوها إلا نفوراً ، فقال لهم صاحبها : دعوها فإنى أعرف بها منكم ، فأخذ يجمع من حشائش الأرض يتألفها حتى جاءت إليه فبركت فركبها ، فلو أنى تركتكم وهذا الرجل فقتلتموه دخل النار** » .

حقوق المسلم

قال ﷺ : « **للمسلم على المسلم ثلاثون حقا : يعفو عنه ، ويغفر زلته ، ويرحم ضعفه ، ويستر عورته ، ويقيل عثرته ، ويرد غيبته ، ويُديم نصيحته ، ويُشمِتُ عطسته ، ويحفظ خلته ، ويرعى ذمته ، ويعود مرضته ، ويشهد ميته ، ويحسن نصرته ، ويحفظ حليلته ، ويقضى حاجته ، ويشفع مسألته ، ويرشد ضالته ، ويصدق أقسامه ، ويجيب لدعوته ، ويَغْتَمُّ لمصيبته ، يواليه ولايعاديه ، ينصره ظالما ومظلوما ، ولا يثلمه ولا يخذله ، ويحب له من الخير مايحب لنفسه ، ويكره له مايكره لنفسه ، ثم قال : إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئا فيطالبه الله به فيقضى له ماعليه** » .

---

(٤٦٨) الغلس ، ظلمة آخر الليل ، وغلس فى العمل عمله فى الغلس .

(٤٦٩) لاتلجئهم إلى الملل ، ولاتدفعهم إليه بإطالتك .

(٤٧٠) يقال : أسفر الصبح أضاء ، وأسفر الرجل بالصلاة صلاها فى الإسفار .

(٤٧١) ولا فعلت جميلا .

حُسْن سيرة العُمال

استعمل «عمر» رضى الله عنه رجلا على حمص يقال له «عمير بن سعد» فلما مضت عليه سنة كتب إليه «عمر» يقول : أَنْ أَقْدِمْ علينا ، فجاءه «عمير» ماشيا حافيا عكازته بيده وإداوته[٤٧٢] وَمِزْوده[٤٧٣] وقصعته على ظهره ، فلما نظر إليه «عمر» قال : يا«عمير» أأجْدَبْنا أم البلاد بلاد سوء ؟ فقال : ياأمير المؤمنين أما نهاك الله عن الجهر بالسوء وعن سوء الظن وقد جئت إليك بالدنيا أجرها بقرابها ؟ فقال «عمر» : ومامعك من الدنيا ؟ قال : عُكازة أتوكأ عليها وأدفع بها عدوا إن لقيته ومزود أحمل فيه طعامى وإداوة أحمل فيها ماءً لشربى ولطهورى ، وقصعة أتوضأ بها وأغسل فيها رأسى وآكل منها طعامى ، فو الله ياأمير المؤمنين ما الدنيا بعد هذا إلا تَبَعاً لما معى ، فقال «عمر» : ماصنعت فى عملك يا«عمير» ؟ فقال : أخذت الإبل من أهل الأبل والجزية من أهل الذمة عن يَدٍ وَهُم صاغرون ، ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، فو الله ياأمير المؤمنين لو بقى عندى شىء منها لأتيتك به ، فقال «عمر» : عُدْ إلى عملك يا «عمير» . قال : أنشدك الله ياأمير المؤمنين أن تردنى إلى أهلى ، فأذن له فأتى أهله فأرسل إليه بوسقين وثوبين . فقال : ياأمير المؤمنين أما الثوبان فأقبلهما ، وأما الوسقان[٤٧٤] فلا حاجة لى بهما ؛ عند أهلى صاعٌ[٤٧٥] من بُرّ هو كافيهم حتى أرجع إليهم .

فبعث «عمر» رجلا يقال له «حبيب» بمائة دينار وقال له : اختبر لى «عُميرا» وآنزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله هل هو فى سعة أم ضيق ، فإن كان فى ضيق فآدفع إليه المائة دينار ، فأتاه «حبيب» فنزل به ثلاثة أيام فلم ير

---

(٤٧٢) الإداوة : وعاء الماء للتطهير وتسمى المطهرة والجمع الأداوى بفتح الواو .

(٤٧٣) المزود : بكسر الميم وعاء التمر يعمل من أدم وجمعه مزاود .

(٤٧٤) الوسْقان مثنى وَسْق : حِمْل بعير . يقال : عنده وَسْق من تمر .

(٤٧٥) الصاع : مكيال . وصاع النبى ﷺ الذى بالمدينة أربعة أمداد ، وذلك خمسة أرطال وثلث بالبغدادى ، وقال أبو حنيفة : الصاع ثمانية أرطال ؛ لأنه الذى تعامل به أهل العراق .

له عيشا إلا الشعير والزيت ، فلما مضت الثلاثة أيام قال «عمير» لحبيب : إن رأيت أن تتحول إلى جيراننا فلعلهم أن يكونوا أوسع عيشا منا فإننا والله وتالله لو كان عندنا غير هذا لآثرناك به ، فدفع إليه المائة دينار وقال : قد بعث بها أمير المؤمنين إليك ، فدعا بفرو خلق لامرأته فجعل يصر منها الخمسة دنانير والستة والسبعة ويبعث بها إلى إخوانه من الفقراء إلى أن أنفدها ، فقدم «حبيب» على «عمر» وقال : جئتك من عند أزهد الناس ، وماعنده من الدنيا قليل ولا كثير ، وأخبره بما فعل بالدنانير .

وروى أن «عَمر» رضى الله عنه صر أربعمائة دينار وقال لِغُلامٍ : اذهب بها إلى «أبى عبيدة بن الجراح» ثم تربص عنده فى البيت ساعة حتى تنظر مايصنع بها ، فذهب بها الغلام إليه وقال له : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حوائجك ، قال : وَصَلَهُ الله ورحمه ، ثم دعا بجارية وقال لها : اذهبى بهذه السبعة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، حتى أنفقها ، فرجع الغلام إلى «عمر» وأخبره فوجده قد عَدّ مثلها لِمُعاذ بن جبل فقال له : انطلق بها إلى «معاذ بن جبل» وانظر مايكون من أمره ، فمضى إليه وقال له كما قال لأبى عبيدة بن الجراح ففعل «معاذ» كما فعل «أبو عبيدة» فرجع الغلام فأخبر «عمر» فقال : إنهم إخوة ، بعضهم من بعض .

الحذَرُ لايمنع من القدر

قال الله تعالى : ﴿قُلْ إن المؤت الذى تَفِرُّون مِنْه فَإِنَّه ملاقيكم﴾(٤٧٦) وقال تعالى : ﴿أيْنما تكُونوا يُدْرِكْكُم المَوْت ولو كنتم فى بروجٍ مشيدة﴾(٤٧٧) وقال «على» كرم الله وجهه : إذا حلَّت المقادير خَلَّت التقادير .. وقال «هانىء بن مسعود الشيبانى» : إن الحذر لاينجى من القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر .

(٤٧٦) سورة «الجمعة» الآية (٨)

(٤٧٧) سورة «النساء» الآية (٧٨)

وقال «أبو بكر الصديق» رضى الله عنه لخالد بن الوليد : حين أخرجه لقتال أهل الردة : احْرص على الموت توهب لك الحياة .

وقال «على» كرم الله وجهه : إن الموت طالب لا يعجزه المقيم ، ولا يفوته الهارب ، إن لم تقتلوا تموتوا ، ألا وإنّ أشرف الموت القتل فى سبيل الله .

وقال بعض الحكماء : إذا كان القدر حقاً فالحرص باطل ، وإذا كان الموت بكل أحدٍ نازل فالطمأنينة إلى الدنيا حُمْق .

فى عياده المريض

قال ﷺ : **«إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم نزل فى حديقة الجنة حتى يرجع ــ قيل : يارسول الله وما حديقة الجنة ؟ قال : «جنانها»**(٤٧٨) وقال رسول الله ﷺ : **«إذا عاد الرجل المريض خاض الرحمة»**(٤٧٩) .
وقال رسول الله ﷺ : **«ماعاد مسلم مسلماً إلا صلى عليه سبعون ألف ملك»**(٤٨٠) وقال «مسلمة» : دخلت على «الفراء» أعوده فأطلت وألحفت(٤٨١) فى السؤال فقال لى : ادن ، فدنوت فأنشدنى :

لا تُبْرِمَنَّ مريضاً فى مُساءَلَـــــــــةٍ
يكْفــــــــيك مِنْ ذاك تَسْأل بحرفين

وقال آخر :

أَدَبُ العيـــادة أنْ تكـــون مُسَلِّمـــاً
وتكـــون فى إثْـــر السَّلامِ مُودِّعـــا

---

(٤٧٨) رواه مسلم فى البر ٤١ والترمذى فى الجنائز ٢ وأحمد ١ /٨١ .
(٤٧٩) رواه مالك فى الموطأ عين ١٧
(٤٨٠) رواه أحمد ١ /٩١ .
(٤٨١) يقال ألحف السائل إذا ألح .

من كمال المروءة

دخل «عبد الملك بن مروان» على «معاوية» وعنده «عمرو بن العاص» رضى الله عنهما فسلم ثم جلس ، فلم يلبث أن قام ، قال «معاوية» ماأكمل مروءة هذا الفتى ؛ قال «عمرو» : إنه أخذ بأخلاق أربعة ، وترك أخلاقاً أربعة ـــ أخذ بأحسن البِشْر إذا لقى ، وبأحسن الحديث إذا حدَّث ، وبأحسن الاستماع إذا استمع ، وبأيسر المؤنة إذا خولف ، وترْك مُزاح من لايثق بعقله ، وترك مجالسة من لايرجع إلى دينه ، وترك مخالطة لئام الناس ، وترك من الكلام كل مايُعْتَذر منه ..

من فضائل «الأحنف بن قيس»

قال «هشام بن عبد الملك» لِـ «خالد بن صفوان» : بم بلغ فيكم «الأحنف» مابلغ ؟ قال : إن شئت أخبرتك بِخلّة[٤٨٢] واحدة وإن شئت بخلتين وإن شئت بثلاث . قال : فما هى ؟! قال : أما الخَلَّة فكان من أقوى الناس على نفسه ، وأما الخلتان فكان موقى الشر ملقى الخير ، وأما الثلاث فكان لا يحسد ولايبخل ولايبغى .

○ وقال رجل لِـ «الأحنف» : بم سُدت قومك ولست بأشرفهم ولا بأصبحهم وجهاً ، ولا بأحسنهم خلقاً ؟ قال : بخلاف مافيك يا بن أخى . قال : وماذاك ؟ قال : بتركى من أمرك مالايعنينى ، وعناك من أمرى مالايعنيك .

خصال تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه

قال ﷺ : «مكارم الأخلاق عشرة : تكون فى الرجل ولا تكون فى

---

(٤٨٢) الخلّة : الصفة والخصلة الحميدة .

ابنه ، وتكون فى الابن ولاتكون فى أبيه ، وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده ، يقسمها الله لمن يشاء من عباده : صدق الحديث ، وصدق البأس ، وألا يشبع وجاره وصاحبه جائعان ، وإعطاء السائل ، والمواساة بالنائل[٤٨٣] ، والمكافأة بالصنائع ، وحفظ الأمانة وصلة الرحم ، والتذمم للجار[٤٨٤] ، وقرى الضيف[٤٨٥] . ورأسهم الحياء .. » (رواه « البيهقى ») .

كيف تكون المؤاخاة ؟

لا تُؤاخِ أحداً إلا على اختيارٍ منك له ، وارتضاء منك به ، واتفاق منه لك[٤٨٦] .

فإن اتفق أمركما كذلك ، فاعلم أن كليكما يُحسن ويسئ ، ويُصيب ويخطئ ، ويحفظ ويُضَيِّع !

فوطن نفسك على الشكر إذا حفظ ، وعلى الصبر إذا أضاع ، وعلى المكافأة إذا أحسن ، وعلى الاحتمال والمعاتبة إذا أساء[٤٨٧] ؛ فإن معاتبة الصديق إذا أساء أحب إلى الحليم من القطيعة فى معاشرة من يؤاخيه .

وفى ذلك يقول الشاعر :

إذا عتبت على امرئٍ أحببته فتوقَّ ضائر عُتْبِه وسِبَابِه
وألن جناحَك ما استْلان لوُدّه وأجب أخاك إذا دعا لجوابه

---

(٤٨٣) النائل : العطية .
(٤٨٤) تذمم منه: استنكف واستحيا .
(٤٨٥) القرى : مايقدم للضيف .
(٤٨٦) .. فإن الأرواح جنود مجنّدة .. ماتعارف منها ائتلف ، وماتناكر منها اختلف .
(٤٨٧) فيبقى الود ما بقى العتاب .

وصية «عمرو بن العاص» إلى «معاوية»

وأوصى «عمرو بن العاص» «معاوية» رضى الله عنهما بقوله : ياأمير المؤمنين إنى موصيك . قال : أَجَلْ فَأَوْصِنى . قال : انظر فاقة الأحرار(٤٨٨) فاعمل فى سدها ، وطغيان السفلة فاعمل على قمعها ، واستوحش من الكريم الجائع ومن اللئيم الشبعان ، فإنما يَصُولُ الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع .

أهل للقضاء

وأحضر «الرشيد» رجلا ليوليه القضاء فقال : ياأمير المؤمنين إنى لاأحسن القضاء ، ولا أنا فقيه . فقال «الرشيد» : فيك ثلاث خلال : فيك شرف ، والشرف يمنع أهله من الدناءات ، ولك حلم والحلم يمنعك من العجلة ، ومن لم يعجل قل خطؤه ، وأنت رجل تشاور فى أمرك ، ومن شاور كثر صوابه ، وأما الفقه فسينضم إليك من تتفقه به ، فولى القضاء فما وجد فيه طعن ..

بدء زوال الملك

وسئل رجل من بنى أمية : أخبرنا من أى شيء كان بدء زوال ملككم ؟ فقال : سألت فاسمع ، وإذا سمعت فافهم ـــ إنا تشاغلنا بلذاتنا عن تفقد ماكان تفقده يلزمنا ، ووثقنا بوزراء آثروا أنفسهم ، وأبرموا(٤٨٩) أموراً أسروها عنا ، وظلمت رعيتنا ففسدت نياتهم لنا ، وشح المال فخلت بيوت أموالنا ، وقل جندنا فزالت هيبتهم لنا واستدعاهم أعداؤنا فظاهروهم(٤٩٠) علينا ، وكان أكبر الأسباب فى ذلك استتار الأخبار عنا .

---

(٤٨٨) فاقة الأحرار : فقرهم .

(٤٨٩) نفذوا .

(٤٩٠) عاونوهم .

من وصايا «عمر بن عبد العزيز»

قال «عمر بن عبد العزيز» رضى الله عنه لـ «ابن مهران» : لاتأتين أبواب السلاطين ، وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ، ولا تخلون بامرأة وإن علمتها سورة من القرآن ، ولاتصحبن عاقا قد عق والديه .

فى بر الوالدين

قال «المأمون» : لم أر أحدا أبر من «الفضل بن يحيى» بأبيه .. بلغ من بره له أنه كان لايتوضأ إلا بماء ساخن فمنعه السجان من الوقود فى ليلة باردة ، فلما أخذ «يحيى» مضجعه قام «الفضل» إلى إناء من نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح ، فلم يزل قائما وهو فى يده إلى الصباح حتى استيقظ «يحيى» من منامه فتوضأ .

وطلب رجل من ولده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فمازال واقفا بالشربة فى يده إلى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه .

وقيل لِـ «على بن الحسين» رضى الله عنهما : إنك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك فى إناء ؟؟ فقال : أخاف أن تسبق يدى يدها إلى ماسبق عيناها إليه فأكون قد عققتها ..

دفاع «أبى طالب» عن رسول الله ﷺ

خرج رسول الله ﷺ إلى الكعبة يوما فلما دخل فى الصلاة قال «أبو جهل» لعنه الله : من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ، فقام «عبد الله ابن الزبعرى[491] فأخذ فرثا[492] ودما فلطخ به وجه رسول الله ﷺ فأتى عمه

---

(491) أسلم وحسن إسلامه .

(492) الفرث : السرجين مادام فى الكرش .

«أبا طالب» وقال : «ياعم ألا ترى مافعل بى ؟ ـ فقال : من فعل بك هذا ؟ فقال : «عبد الله بن الزبعرى» فقام «أبو طالب» فأخذ سيفه على عاتقه ومشى حتى أتى القوم فلما رأوه نهضوا له فقال : والله إن قام رجل جللته بسيفى ، فأخذ «أبو طالب» فرثا ودما فلطخ وجوههم ولحاهم وثيابهم وأغلظ لهم القول ، فنزلت هذه الآية الكريمة ﴿وهم ينهون عنه﴾[٤٩٣] فقال ﷺ : ياعم نزلت فيك آية قال : وماهى ؟ قال : تمنع قريشا أن يؤذونى وتأبى أن تؤمن فقال أبو طالب :

والله لن يصلـــوا إلــــيك بجمعهـــــم
حتـــــى أوسد فى التـــــراب دفينـــــا
فامض لأمـــرك قد زعمـــتك ناصحــــــى
فلقـــــد صدقت وكـــــنت ثم أمينـــــا
وعـــــرضت دينـــا قد عرفت بأنـــــه
من خير أديــــان البريــــة دينـــــا
لولا الملامــــــة أو ضرار مسبــــــة
لوجدتنـــــى سمحــــا بذاك يقينـــــا

كنت مازحا

خرج أعرابى بالليل ، فإذا بجارية جميلة ، فراودها عن نفسها فقالت : أمالك زاجر من عقلك إذا لم يكن لك واعظ من دينك ؟ فقال : والله مايرانا إلا الكواكب ، فقالت : ياهذا وأين صاحب الكواكب ؟ فأخجله كلامها وقال : إنى كنت مازحا ، فقالت :

---

(٤٩٣) الآية ٢٦ من سورة الانعام ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾

فإيـــــاك إيـــــاك المزاح فإنـــــه
يجرّى عليك الطفل[494] والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه
ويورث بعد العز صاحبه ذلا

لطف الله يحدوه

خرج رجل من «بغداد» ماشياً فلما صار وحده فى طريق مخوف خرج عليه سبع فلما رآه وقد أقبل يهرول نحوه فذهب على الرجل أمره ، وطار منه عقله ، وأيقن بالهلاك حينئذ ، فألهمه الله أن يأخذ منديلا فيثبته على رأس قصبة كانت معه ظنا منه أنه يفزعه بها . وبينما هو كذلك وإذا بالريح تقلع نوعا من الحشائش يقال له «بارق عينه» وصارت تلك الحشائش تلتف بالشوك حتى صارت كالكرة ويدحرجها الريح نحو السبع ، فحين رآها وسمع صوتها رجع منصرفا ، وقد أخذه الفزع الشديد وصار يحوّل وجهه فى كل عشر خطوات نحو الرجل والكرة تتدحرج فى أثره فيزيد فى العدو والجرى إلى أن بعد بعداً شاسعا ؛ وعادت إلى الرجل نفسه واطمأن إليه قلبه ونجا من تلك الشدة ومضى فى طريقه آمنا .

وصية

قال «ابن السماك»[495] فى وصية له : خير الإخوان أقلهم مصانعة فى النصيحة ، وخير الأعمال أحلاها عاقبة ، وخير الثناء ماكان على أفواه الأحباب ، وأشرف السلطان مالم يخالطه البطر ، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ، وخير الإخوان من لم يخاصم ، وخير الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يختبر ذل الرجال عند الفاقة ..

٤٩٤) جعل الطفل جريئا عليك .

٤٩٥) المصانعة: المداهنة ، والمداراة .

دعاء أعرابى

دعا أعرابى فقال : اللهم إنى أعوذ بك أن أفتقر فى غناك ، أو أضل فى هداك ، أو أذل فى عزك ، أو أضام فى سلطانك أو أضطهد. الأمر إليك .

يشاطر «الحسين» بماله

لما حبس «معاوية» عن «الحسين بن على» صلاته وضاقت عليه ، الحال ، فقيل له : لو وجهت إلى عمك «عُبيد الله بن العباس» لكفاك وقد قدم بألف ألف ، فوجه إليه بكتاب يذكر فيه حبس «معاوية» عنه صلاته وضيق حاله وأنه يحتاج إلى مائة ألف ، فلما قرأ «عُبَيْد الله» كتابه انهملت عيناه بالدموع ثم قال : ويلك يا«معاوية» تكون لين المهاد رفيع العماد و«الحسين» يشكو الحال وكثرة العيال ، ثم قال لوكيله : احمل إلى «الحسين» نصف ماتملكه من ذهب وفضه ودابة وأخبره أنى شاطرته ، فإن أقنعه ذلك وإلا فارجع واحمل إليه النصف الآخر فلما وصل الرسول إلى «الحسين« قال : إنا لله ، لقد أثقلت والله على عمى ، وماظننت أن يتسع بهذا كله .

لاتتعرض لأبى حنيفه

كان «الربيع» صاحب «المنصور» يعادى «أبا حنيفة» رضى الله عنه فقال يوما للمنصور : ياأمير المؤمنين إن «أبا حنيفة» يخالف جدك ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : كان جدك «ابن عباس» رضى الله عنهما يقول : إذا حلف الرجل على شيء ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين كان ذلك جائزا وأبو حنيفة لايجوز ذلك إلا متصلا باليمين ، فقال «أبو حنيفة» : ياأمير المؤمنين . إن «الربيع» يزعم أن ليس لك فى رقاب جندك عهد قال : كيف ذلك ؟!! قال : يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم ؛ فضحك «المنصور» وقال :

يا «ربيع» . لاتتعرض لأبى حنيفة .

الخلق النبيل

غضب أحد الملوك على وزيره فسجنه فى بيت كالقبر وصفده فى الحديد وألبسه الخشن من الثياب وأمر أن لايزيد فى طعامه كل يوم على قرصين من الخبز ، وقليل من الملح ، ودورق ماء ، وأن تنقل إليه ألفاظ الوزير ، فأقام شهورا لاتسمع له لفظة فقال الملك : أدخلوا عليه أصحابه ومروهم أن يسألوه ويفاتحوه الكلام وعرفونيه . فدخل إليه جماعة من أخصائه فقالوا له : أيها الحكيم . نراك فى هذا الضيق والحديد والشدة التى دفعت إليها دفعاً . ومع هذا فإن وجهك وصحة جسمك على حالهما لم يتغيرا فما السبب ؟ فقال : إنى عملت دواء من ستة أخلاط فآخذ منه كل يوم شيئا فهو الذى أبقانى على ماترون . فقالوا : صفه لنا فعسى أن نبتلى بمثل بلواك فنستعمله فقال : **الخليط الأول** : الثقة بالله ، **والثانى** : كل مقدر كائن ، **والثالث** : الصبر خير مااستعمله المبتلى ، **والرابع** : إن لم أصبر فأى شيء أعمل ؟ **والخامس** : قد يمكن أن أكون فى شر أصعب مما أنا فيه ، **والسادس** : من ساعةٍ إلى ساعةٍ فرج(٤٩٦) .

دواء لداء الذنوب

وقف الرجل على طبيب وهو يصف الأدوية للمرضى فقال له : أيها الطبيب : أعندك دواء لداء الذنوب يرحمك الله ؟ فأطرق الطبيب رأسه إلى الأرض ثم رفعه وقال : اسمع . دواء إن عملت به رجوت لك الشفاء إن شاء الله . خذ عُروق الفقر وزنجبيل الصبر ، واخلطهما بسفوف الذكْر ، وامزجهما برقائق الفكر ، واجعل أهليج التواضع والخشوع ودقه فى مهراس التوبة والخضوع ، ولته بماء الدموع ، واجعله فى إناء التذلل ، وأوقد تحته نار التوكل ، وحركه بملعقة الاستغفار حتى يزبد زبد التوفيق والوقار ، ثم ضعه فى

---

(٤٩٦) هذه قصة تروى عن كسرى أنوشروان ووزيره الحكيم «بزرجمهر» .

آنية المحبة ، وبرده بمروحة الموده ، وصفه بمصفى الأحزان ، وصب عليه عصير الأجفان ، واجعل معه حقيقة الإيمان وامزجه بخوف الرحمن وتغذ قبل شربه بمر الصيام ، ودم على هذا ماعشت من الأيام .
واياك أيها العليل أن تقرب فى أيام دوائك شيئا من الآثام ؛ فإنها تجدد عليك مارجوت برءه من الأسقام . وتجنب فى دوائك العجب والرياء ، والبس لباس الحياء وشد على وسطك منطقة الصدق والوفاء ، وإياك أن تدخل بيتك إلا من باب التوبة والصفاء ، فإذا مادمت على هذا الدواء صفا قلبك بين القلوب ، وزالت أوجاع ألم الذنوب .

أشجع من «على» !!

لما كان « فتح مكة » جأ « الحارث بن هشام » إلى منزل « أم هانىء »(٤٩٧) أخت « على » كرم الله وجهه مستجيرا بها ، فدخل عليها « على » فأخبرته باستجارة « الحارث » بها ، فأحد السيف ليقتله ، فقالت «أم هانىء» : يابن أم قد أجرته ، فلم يلتفت إليها فوثبت فقبضت على يديه وقالت : والله لاتقتله وقد أجرته ، فلم يقدر على أن يرفع قدمه عن الأرض وجعل يتفلت(٤٩٨) منها فلا يقدر ، فدخل النبى ﷺ إليها فقالت : يارسول الله : ألا ترى أنى قد أجرت « الحارث بن هشام » فأراد « على » أن يقتله ، فقال رسول الله ﷺ : **« قد أجرنا من أجرت ولاتغضبى « عليا » فإن الله يغضب لغضبه ، أطلقى عنه »** فأطلقت عنه فقال عليه الصلاة والسلام : **« يا « على » غلبتك امرأة »** فقال : والله يارسول الله ماقدرت أن أرفع قدمى من الأرض ؛ فضحك رسول الله ﷺ وقال : **« لو أن « أبا طالب » وَلَدَ الناس جميعا كانوا شجعانا »** .

---

(٤٩٧) **«أم هانى»** واسمها : **«فاطمة»** ، هى التى كان رسول الله ﷺ ، نائما فى دارها ليلة أسرى به إلى **«بيت المقدس»** ثم عرج به إلى السماء .
(٤٩٨) يحاول الإفلات منها .

الانصاف والعدل

قال الله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**﴾(٤٩٩) أى كونوا قائمين لله بحقوقه شهداء بالعدل ولا يحملنكم بغض قوم على عدم العدل فتنالوا منهم لعداوتهم ، إعدلوا فى العدو والولى ، فالعدل أقرب لتقوى الله ، وقال تعالى ﴿**يأأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين**﴾(٥٠٠) .

وقال ﷺ : «**المقسطون على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدى الرحمن بما أقسطوا فى الدنيا**»(٥٠١) . ودخل «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه على «أبى بكر» رضى الله عنه فسلم فلم يرد عليه فقال لـ«عبد الرحمن بن عوف» : أخاف أن يكون قد وجد على (٥٠٢) خليفة رسول الله ﷺ ، فكلم «عبد الرحمن بن عوف» «أبا بكر» فى ذلك فقال : أتانى وبين يدى خصمان قد فرغت لهما سمعى وبصرى وقلبى ، وعلمت أن الله سائلى عنهما وعما قالا وعما قُلت .

وقيل إذا عدل السلطان فى رعيته ثم جار على واحد لم يف عدلُه بجوره . ويقال : حق على من ملكه الله على بلاده وحكمه فى عباده أن يكون لنفسه مالكا ، وللهوى تاركاً ، وللغيظ كاظماً ، وللظلم هاضما ، وللعدل فى حالتى الرضا والغضب مُظهراً ، وللحق فى السر والعلانية مؤثرا ، وإذا كان كذلك ألزم النفوس طاعتَه ، والقلوب محبتَه وأشرق بنور عدله زمانُه ، وكثُر على

---

(٤٩٩) سورة «المائدة» الآية (٨) .

(٥٠٠) سورة «النساء» الآية (١٣٥) .

(٥٠١) رواه أحمد فى المسند ٢ /١٥٩ ، ٢٠٣ . والمقسطون : العادلون .

(٥٠٢) وَجَدَ عليَّ : غضب .

عدوه أنصاره ، وقال الشاعر :

وَأحْسَنُ سيرةٍ تبقـــــى لوالٍ
على الأيـــام إحسان وعـــدل

وكتب «كسرى» ثلاث رقاع فى إحداها : أمسك غضبك ؛ فإنك لست بإله ، وفى الثانية : آعدل بين الناس فإنك ستموت ويأكل بعضك بعضا .

وفى الثالثة : احمل عبادَ الله على الحق ؛ فإنه لايسعهم إلا ذاك .

وكان إذا جلس للناس للنظر فى أمورهم قام بعض الحجاب على رأسه وبيده هذه الرقاع ، فإذا رآه غضب على أحد ناوله الرقعة الأولى . فإن رآه تمادى فى غضبه ناوله الثانية فإن لم يتنبه ناوله الثالثة .

وسأل «عمر بن العزيز» «رجاء بن حيوه»عن حال رعيته مع العمال فقال : رأيت الظالم مقهوراً ، والمظلوم منصورا ، والغنى موفورا والفقير مبرورا فقال : الحمد لله الذى وهب لى من العدل ماتطمئن إليه قلوب رعيتى .

وتعرض له متظلم فى بعض الطرق فوقف وأزال شكايته فقيل له : هلا صبرت حتى يستقر بك المجلس ؟؟ فقال : الخير سريع الذهاب وخشيت أن أفوته بنفسى وإنما هى فرصة قدمت فيها العزم واستصحبت الحزم .

فضل المشورة

قال الله تعالى ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم﴾[٥٠٣] وقال تعالى لحبيبه ﷺ ﴿وشاورهم فى الأمر﴾[٥٠٤] وقال ﷺ

(٥٠٣) سورة «الشورى» الآية (٣٨) .
(٥٠٤) سورة «آل عمران» الآية (١٥٩)

فى مواطن كثيرة لأصحابه «**أشيروا على**»[٥٠٥] ، وقال ﷺ «**ماخاب من استخار ولاندم من استشار**»[٥٠٦] ، وقال ﷺ : «**ماشقى عبد بمشورة ولا سعد من استغنى برأيه**» وقال «أبو هريرة» رضى الله عنه : «**مارأيت أحداً أكثر استشارة لأصحابه من النبى ﷺ**»[٥٠٧] وقال «على» كرم الله وجهه : فى المشورة سبع خصال : استنباط الصواب ، واكتساب الرأى ، والتحصن من السخط وحرز من الملامة ، ونجاة من الندامة ، وألفة القلوب ، واتباع الأثر .

وقال «لقمان» لابنه : يابنى اجعل عقل غيرك لك فيما تدعو الحاجة إلى فعله ، فقال ابنه : كيف أجعل عقل غيرى لى ؟ قال : تشاوره فى أمرك .

وقال «لقمان» أيضا : إذا استخار الرجل ربه ، واستشار صحبه ، واجتهد رأيه ، فقد قضى ماعليه ، ويقضى الله فى أمره مايحب . وقيل لـ«الأحنف بن قيس» : بأى شىء يكثر صوابك ويقل خطؤك فيما تأتيه من الأمور وتباشره من الوقائع ؟ قال : بالمشورة لذى التجارب ، وفحص زبدة الآراء .

مَنْ تشاوره .. ؟؟

لابد فى **أهلية المشورة** من صفاء الفكر ، وجودة الفهم وقوة النفس ، وسبق التجربة ، وصحة الفراسة ، وبعد النظر فى عواقب الأمور ، ومفارقة قول الزور ؛ فإذا حصلت هذه المزايا لشخص أطلعه الله بنور بصيرته على ماوراء الحجاب المستور . قيل لرجل من «عَبس» : ماأكثر صوابكم فى مباشرة ما تأتونه ، ومجانبة ماتعرضون عنه ؟ قال : نحن ألف رجل وفينا رجل واحد حازم ذو رأى ومعرفة ، فنحن نشاوره فى الجليل والحقير ونعمل برأيه ،

---

(٥٠٥) رواه البخارى فى تفسير سورة ٢٤ ، ١١ . ومسلم فى التوبة ٥٨ . والترمذى فى تفسير سورة ٢٤ . وأحمد ٤ /٣٢٨ ، ٦ /٥٩ .

(٥٠٦) الطبرانى فى الأوسط والكبير والصغير عن أنس جمع الجوامع ١ /٧٠٢ .

(٥٠٧) الترمذى فى الجهاد ٣٤ .

فكأننا إذا أصدرنا عن رأيه ومشورته فى ألف حازم وجدير بألف حازم أن يصيبوا !!

من فوائد المشورة

بلغ الخليفة «المنصور» عن عمه «عبد الله» أمور آلمته ؛ فحبسه ثم بلغه عن ابن عمه «عيسى بن موسى» ماأفسد فيه عقيدته فأضمر لكل منهما الشر واعتزم التخلص منهما جميعا ، فدعا إليه «عيسى» فقال له : إنى مطلعك على أمر لاأجد غيرك أهلاً له ، فهل أنت موضع ظنى بك ؟؟ قال «عيسى» : نفسى طوع أمر أمير المؤمنين ونهيه . فقال : إن عمى «عبد الله» قد فسدت بطانته وأتى من الأشياء مايبيح دمه فخذه إليك واقتله سرا ثم سلمه إلى .

وعزم «المنصور» على الحج مضمراً أن ابن عمه «عيسى» إذا قتل عمه «عبد الله» ألزمه القصاص وسلمه إلى أعمامه إخوة «عبد الله يقتلوه قصاصاً فيكون قد استراح منهما («عبد الله» و«عيسى») .

قال «عيسى» : فلما أخذت عمى رأيت من الحزم أن أشاور فيه من أثق فيه فأحضرت «يونس بن فروة» الكاتب ؛ وكان لى به حسن ظن ، وقصصت عليه خبرى وقلت : ماتشير على به ؟ فقال «يونس» : احفظ نفسك بحفظ عمك . وعم أمير المؤمنين ، وأدخله إلى دارك وتكتم أمره عن كل من عندك وتول بنفسك خدمته وأظهر لأمير المؤمنين أنك أنفذت أمره وانتهيت إلى العمل بطاعته ، وكأنى به إذا تحقق أنك قتلت عمه أمرك بإحضاره على رؤوس الأشهاد ، فإن اعترفت أنك قتلته بأمره ، أنكر أمره لك وآخذك بقتله وقتلك به .

قال «عيسى» : فقبلت مشورة «يونس» وعملت بها وأظهرت لأمير المؤمنين أنى نفذت أمره ، فلما قدم من حجه أتاه أعمامه يهنئونه ويستوهبونه(٥٠٨) منه فأطمعهم فى إجابتهم ، فلما جلس والناس بين يديه

---

(٥٠٨) يطلبون منه أن يهبه لهم ويفك حبسه . ويصفح عنه .

فسألوه فى «عبد الله» فقال : نعم حقوقكم تقضى ، كيف وفيها صلة رحم وإحسان إلى من هو فى مقام الوالد ، ثم أمر بإحضار «عيسى» فلما حضر قال : يا«عيسى» كُنْتُ دفعت إليك قبل خروجى إلى الحج «عبد الله» عمى وعمك ليكون عندك فى منزلك إلى حين رجوعى قال «عيسى» : قد فعلت يأمير المؤمنين . فقال : قد سألنى فيه عمومتك وقد رأيت الصفح عنه فأتنا به ، قال «عيسى» : يأمير المؤمنين . ألم تأمرنى بقتله ؟ فقال «المنصور» : كذبت ، ولو أردت قتله لسلمته إلى من هو بصدد ذلك ، ثم أظهر الغيظ ، وقال لعمومته : قد اعترف وأقر بقتل أخيكم قالوا : يأمير المؤمنين ادفعه إلينا لنقتله ونقتص منه ، فقال : شأنكم به ، فأخذوه إلى الرحبة واجتمع عليه الناس فقام واحد من أعمامه وسل سيفه ليضربه . فقال «عيسى» : لاتعجلوا ردونى إلى أمير المؤمنين ، ففعلوا فقال : يأمير المؤمنين إنما أردت قتلى بقتله ، والذى دبرته على عصمني الله من فعله ، وهذا عمك حى يرزق ، وإن أمرتنى بدفعه إليهم دفعته ، فأطرق «المنصور» وعلم سوء تدبيره ، ومضى «عيسى» ، وتركه ، وسلمت روحه ، وكان ذلك بفضل المشورة .

فائدة أدبية

حضر «ابن اسحاق الكندى» «محمد بن المعتصم» وعنده «أبو تمام» الشاعر فأنشد قصيدته السينيةَ فلما بلغ إلى قوله :

إقْـــدام عَمْـــروٍ فى سماحـــة حاتم
فى حلـــم أحنـــف فى ذكاء إيـــاس

- قال «الكندى» : ماصنعت شيئاً لابن أمير المؤمنين ومازدت على أن شبهته بأقل منه ؛ وهاهم شعراؤنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى إلى قول لعكوك فى «أبى دُلف» :

رجـــل أبـــــرُّ على شَجَاعَــــةِ عامـــــر
بأساً وغير فى محيـــــــــــــــــا حاتم

فأنشد أبو تمام :

لاتنكـــــــروا ضربى له من دونـــــــــه
مثـــــلا شرودا فى النـــــدى والبـــــاس
فالله قد ضرب الأقـــــــل لنـــــــوره
مثـــــلا من المشكـــــاة والـــــنبراس

الكرم النادر

كان «الحسن بن صالح» إذا جاءه سائل فإن كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه ؛ فإن لم يكن عنده من ذلك شيء أعطاهُ دُهْناً أو غيره مما ينتفع به ، فإن لم يكن عنده شيء من ذلك أعطاهُ كحلا أو أخرج إبرة وخيطا فرقع بها ثوب السائل .

من حكم بالحق نفذ حكمه

كان لأبى حازم ــ عبد الحميد ــ القاضى أوقاف فى أيام أمير المؤمنين «المعتضد» فاستولى «المعتضد» على بعضها على غير علم من «أبى حازم» فلما بلغت السنة آخرها طلب من وكيله جباية أموالها ففعل إلا ماستولى عليه «المعتضد» ثم جاء إلى القاضى فعرفه واستأذنه فى قسمته على مستحقيه ؛ فقال : والله لا قسمت حتى نأخذ ما على أمير المؤمنين وآمض إليه الساعة وطالبه به ، فمضى إلى أمير المؤمنين فلما صار بين يديه قال له : إنى أتولى لقاضى أمير المؤمنين أوقافاً وفيها ماأدخله أمير المؤمنين إليه ولما جبيت مال هذه السنة امتنع عن قسمته إلى أن أجبى ماعلى أمير المؤمنين وأنفذنى الساعة إليك فسكت «المعتضد» ساعة متفكراً ثم قال : أصاب القاضى ، ثم أمر بإحضار

المال فقال : كم يجب على ؟ قال : أربعمائة دينار ، فأمر بصرفها فأخذتُها وانصرفت إلى «أبى حازم» فعرفته فقال : أضفها إلى ماعندك وفرقه غدا فى سبيله ولاتؤخر ذلك فمن حكم بالحق نفذ حكمه ، وأطيع أمره ، وأرضى ربه ، وأبرأ ذمته .

الاعتراف بالفضل لأهله :

ليسوا بمفازة من العذاب

ينبغى لأهل الفضل أن يقدروا أهل الفضل ــ إنما يعرف الفضل من الناس ذووه ــ لايبخسون الناس أشياءهم ولاينسبون لأنفسهم ما أتى به غيرهم اعتزازاً بعمل لم يكن لهم فيه أثر فيكونون كالذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وقد علموا أنهم ليسوا بمفازة من العذاب .

هل لك مِنْ كلام ؟

قال «ابن العربى» :

أخبرنى «محمد بن قاسم العثمانى» أنه وصل إلى «الفسطاط»(٥٠٩) فجلس مجلس «أبى الفضل الجوهرى» فكان مما قال : إن النبى ﷺ طلق وآلى وظاهر ، فلما خرج تبعتُه حتى بلغ منزله فى جماعة ، فجلس ثم قال لى : أراك غريبا هل لك من كلام ؟ قلت : نعم ، فأشار إلى جلسائه بالانصراف ، فانصرفوا فقلت له : حضرت المجلس متبركا بك وسمعتك تقول : طلق رسول الله وصدقت ، وآلى وصدقت ، وظاهر(٥١٠) ولم يكن ، ولا يصح أن يكون ، لأن الظهار منكر من القول وزور ، وذلك لايجوز أن يقع من النبى ﷺ فضمنى إليه وقبل

---

(٥٠٩) فسطاط عمرو بن العاص بمصر القديمة وهناك مسجده الجامع .

(٥١٠) الطلاق معروف ، والإيلاء الحلف ، والظهار أن يقول لزوجته ــ محرّما إياها عليه ــ أنت علىَّ كظهر أمى .

رأسي وقال : أنا تائب من ذلك جزاك الله عنى من معلم خيرا ، ثم تركته وبكرت فى الغد إليه فألفيته قد جلس على المنبر ، فلما دخلت الجامع ورآنى نادانى بأعلى صوته : مَرْحبا بمعلمى ، فتطاولت الأعناق إلى ، وتبادر الناس يرفعوننى حتى بلغت المنبر ، وإننى لعظيم الحياء وقد أسال الخجل بدنى عرقاً وأقبل الشيخ على الناس يقول لهم : أنا معلمكم وهذا معلمي ! قلت لكم بالأمس كذا وكذا فما كان منكم من فقه عنى ولارد على ، فأتبعنى إلى منزلى وردنى إلى الصواب ، وأنا تائب من قولى بالأمس راجع عنه إلى الحق : فمن سمعه ممن حضر فلا يعود إليه ، ومن غاب فليبلغه . من حضر ؛ فجزاه الله خيراً ، وجعل يحتفل به ويدعو له والناس يؤمنون .

هكذا ينبغى أن يكون موقفنا من العدوّ والصديق !

احرص ألا يراك صديقك إلا أنظف ما تكون !
ولا يراك عدوك إلا أحْصَنَ ما تكون !

فأما الصديق ، فإن كان الذى أعجبه منك خُلُقك أو خَلْقُك ولهما كان يحبك ، فكلما ازْدَدْت حسنا كان حُبّه لك أكثر ، ورغبته فيك أوفر .

وأما العدوّ فليس شئ أعجبَ إليه من دمامتِك وخساستك ، فاحترس منه ، وأظهر الجسيلَ .

وليس شئ أعجب إليه من التمكن منك ، فانظر ألا يكون شيء اعجب إليك من التحصّن منه[٥١١] !

أحسن ماقيل فى هم «يوسف»

قال الله تعالى : ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾[٥١٢] قال «الفخر الرازى» رحمه الله : إن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة هم «يوسف» عليه السلام ، والمرأة وزوجها ، والنسوة والشهود ورب العالمين وإبليس ..

(٥١١) وفى القيم والمبادئ السليمة ما يعصم ويصون حتى لا يجد عدوك ثغرة ينالك منها شره .

(٥١٢) سورة «يوسف» الآية (٢٤)

وكلهم قالوا ببراءة «يوسف» عليه السلام من الذنب فلم يبق لمسلم توقف في هذا الباب. أما «يوسف» فلقوله: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ [يوسف: ٢٦] وقوله: ﴿ربِّ السجن أحب إلى مما يدعونني إليه﴾ [يوسف: ٣٣].

وأما المرأة فلقولها ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ [يوسف: ٣٢]

وقالت: ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه﴾ [يوسف: ٥١].

وأما زوجها فلقوله ﴿إنَّه من كيدكُنَّ إن كيدكن عظيم﴾ [يوسف: ٢٨].

وأما النسوة فلقولهن: ﴿امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين﴾ [يوسف: ٣٠] وقولهن: ﴿حاشا لله ماعلمنا عليه من سوء﴾ [يوسف: ٥١].

وأما الشهود فلقوله تعالى: ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ [يوسف: ٢٦] الخ..

وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله عز من قائل: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف: ٢٤].

وأما إقرار إبليس بذلك فلقوله: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [ص: ٨٢ — ٨٣] فَأَقَرَّ بأنه لا يمكن إغواء العباد المخلصين. وقد قال تعالى: ﴿إنَّه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف: ٢٤] فقد أقر إبليس أنه لم يُغْوِه.

وعند هذا نقول: هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى «يوسف» عليه السلام الفضيحة، إن كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله بطهارته، وإن كانوا من أتباع الشيطان وجنوده فيقبلوا إقراره بطهارته.

عزة «العز ..»

كان الشيخ «عز الدين بن عبد السلام» إذا قرأ القارىء من كتاب وانتهى إلى آخر باب من أبوابه ، لايقف عليه بل يأمره أن يقرأ من الباب الذى بعده ولو سطراً ويقول : ماأشتهى أن يكون ممن يقف على الأبواب !!

فراسة «إياس بن معاوية»

لما دخل «المهدى» البصرة رأى «إياس بن معاوية» — وهو صبى وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة(٥١٣) و«إياس» يتقدمهم ، فقال «المهدى» : أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ؟ ثم إن «المهدى» التفت إليه وقال : كم سنك يافتى ؟ فقال : سنى — أطال الله بقاء الأمير — سن «أُسامة بن زيد بن حارثة» لما ولاه رسول الله ﷺ جيشا فيهم «أبو بكر» و«عمر» . فقال «المهدى» : تقدم بارك الله فيك .

ورأى يوما ثلاث نسوة فزعن من شيء فقال : هذه حامل وهذه مرضع وهذه بِكْر !! فسئلن فكان الأمر كذلك . فقيل له : من أين لك هذا ؟ فقال : لما فزعن وضعت إحداهن يدها على بطنها ، والأخرى على ثديها والثالثة على فرجها .

مِنْ أصدق الناس فراسة

يقال : إن من أصدق الناس فراسة ثلاثة — «العزيز» فى قوله لامرأته عن «يوسف» عليه السلام : ﴿أَكْرِمِى مثواه عسى أن ينفعنا﴾ [يوسف : ٢١] و«ابنة شعيب» التى قالت لأبيها عن «موسى» : ﴿ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾ [القصص : ٢٦] ، و«أبو بكر» فى الوصيه بخلافه «عمر» — رضى الله عنهما —

---

(٥١٣) الذين يلبسون الطيلسان زى العلماء .

فَضْلُ الْحِرْفة

قال ﷺ : «إن الله يُحِبُّ العبد المحترف» ، وقال عليه الصلاة والسلام : «إن الله يُبْغض العبد الصحيح الفارغ» وقال صلى الله عليه وسلم : «من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ، لو تعلمون ماأعلم عن المسألة لما سأل رجل رجلا شيئا وهو يجد قوت يومه ، وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده ، إن الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة» .

الْبُكُور فى طلب الرزق

قال ﷺ : «بُورك لأمتى فى بكورها» وقال ﷺ : «باكروا فى طلب الرزق والحوائج فإن الغدو بركة ونجاح»(٥١٤) .

من حِكم «الأحنف»

قال «الأحنف بن قيس» : لاصديق للمولِ ، ولا وفاء لكذوب ، ولاراحة لحسود ، ولا مروءة لدنىء ، ولازعامة لسىء الخُلُق .

صاحِبَةُ الدينار

حدث رجل من «بنى نوفل بن عبد مناف» فقال :
كان عندى امرأة سوداء تدعى «أم مِحْجَن» فتزوجت امرأة أخرى بيضاء فغضبت «أم محجن» وغارت على ، فقلت لها : يا «أم محجن» مامثلى يُغار عليه إنى شيخ كبير وإنك لعجوز كبيرة ، ومأأحد أكرم على منك ولا أوجب حقاً ، فتجاوزى هذا الأمر ولاتكدريه على ، فرضيت وقرت ، ثم قال لها : هل لك أن أجمع إليك زوجتى الجديدة فهو أصلح لذات البين ولم للشعث

---

٥١٤) رواه الطبرانى فى الأوسط عن عائشة . جمع الجوامع ١ /٤٥٧ .

وأبعد للشماتة ؟ فقالت : نعم أفعل ، فأعطاها ديناراً وقال لها : إنى أكره أن ترى بك حاجة وخصاصة[٤١٥] فتفضل عليك فاعملى لها إذا أصبحت عندك غداء بهذا الدينار ، ثم أتى زوجته الجديدة وقال لها : إنى أردت أن أجمعك إلى «أم محجن» غدا وهى مُكْرِمتك وأكره أن تفضل عليك فخذى هذا الدينار ، فأهدى لها به إذا أصبحت عندها غدا لئلا ترى بك خصاصة ، ولاتذكرى لها الدينار ، ثم أتى صاحباً له يستنصحه فقال : إنى أريد أن أجمع زوجتى الجديدة إلى «أم محجن» غدا فأتنى مُسلما ، فإذا تغديت فسلنى عن أحبهما إلى فإنى سأنفر من ذلك وأعظمه ، فإذا أبيتُ عليك الإجابة فاحلف على ، فلما كان الغد مر به صديقه فأجلسه فلما تغديا أقبل الرجل عليه فقال : يا«أبا محجن» أحب أن تخبرنى عن أحب زوجتيك إليك ، فقال : سبحان الله أتسألنى هذا وماسألنى عن مثل هذا أحد !! قال : فإنى أقسم عليك لتخبرنى فو الله لاعذرتُك ولا أقبل إلا ذاك . فقال : أما إذْ فعلت فأحبهما صاحبة الدينار ، فأقبلت كل واحدة منهما وهى تضحك ونفسها مسرورة وهى تظن أنه عناها بذلك القول ..

بأى وجه تلقانى ؟ :

هجا «أبو الهول الحميرى» «الفضل بن يحيى» ثم أتاه راغبا إليه فقال له : بأى وجه تلقانى ؟ قال : بالوجه الذى ألقى به ربى وذنوبى إليه أكثر ، فضحك وَوَصَلَهُ .

كمال الايمان

قال «لقمان» : ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضى فلم يخرجه رضاه إلى الباطل . وإذا غضب فلم يخرجه غضبه عن الحق ، وإذا قدر لم يتناول ماليس له .

(٤١٥) خصاصةً : افتقاراً .

بُعْد النظر

لما كان الخلاف بين «على» و«معاوية» رضى الله عنهما ناشباً انتهز ملك الروم هذه الفرصة فأرسل إلى معاوية يستعديه على «على»[516] ويشد من أزره[517] بجيشه فيقول : (لقد عجبنا من جرأة صاحبك عليك ، وضعه فيما بين يديك وماهو لذلك بأهل ، فإن شئت مَدَدْناك بجيش لا يمسى عندك حتى يصبح «على» ورجاله فى قبضة يدك) فرد عليه «معاوية» رضى الله بأبلغ رد ، وأفسد عليه خطته فقال : (أما بعد .. فما أنا و«على» إلا أخوان نتنافس فضلا ونستبق خيرا ، ولكن عدت إلى مثل ماذكرت لألحقن بصاحبى — يريد عليا — ولآتينك من قبلِهِ على رأس جيش يكون أوله عندك وآخره عنده ، فلا أبيت ليلتى حتى أورثه من الأرض ماتحت قدميك) .

قالــوا

● لا مروءة لمَن لا أدب له ، ولا أدب لمن لا عقل له !! والعقل أمير ، والأدب وزير .. فإن لم يكن وزير ضعف الأمير ! وإن لم يكن أمير بطل الوزير !

أتعبوا أنفسهم ليسعد غيرهم

قال «أبو بكر» رضى الله عنه : إنا مُذ ولينا أمر المسلمين لم نأخذ لهم درهما ولادينارا ولكن أكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشن ثيابهم ، وليس عندنا من فيئهم إلا هذا الناضحُ (البعير)[518] وهذا العبد الحبشى ، وهذه القطيفة ، فإذا قُبِضْتُ ،[519] فادفعوها إلى «عمر» ، فلما قُبِضَ أرسلوها إليه

---

(٥١٦) يثيره عليه ، ويؤلبه .

(٥١٧) يؤيده ويسانده ويبدى مساعدته .

(٥١٨) الناضح : البعير تستخدم فى السقاية عندما يصبح مُسناً .

(٥١٩) توفانى الله ، وقبض ملك الموت روحى .

فبكى حتى سالت دموعُه ثم قال : رحم الله «أبا بكر» لقد أتعب مَنْ بَعدَه ، شأن الهمم العالية فى الإعراض عن زُخْرف الحائل(٥٢٠) والإقبال على ماهو باق غير زائل .

وكان «عمر» رضى الله عنه يطعم الصحابه الطيب ويأكل الغليظ ، ويكسوهم اللين ويلبس الخشن ، ويعطيهم الحق ويزيدهم .

وحصلت مجاعة فى زمنه رضى الله عنه فكان كل مايحصل عليه من القوت يعطيه للفقراء ويحرم نفسه منه حتى أثَّر ذلك عليه ، وكانت بطنه تقرقر من الجوع فيقول لها : قرقرى أولا تقرقرى والله لن تطعمى من شيء حتى يشبع منه فقراء المسلمين .

وكان «عمر بن عبد العزيز» من أشد الناس تنعما قبل الخلافة فلما وليها زهد فى الدنيا ، وقد قومت ثيابه فلم تبلغ قيمتها ثلاث دراهم .

إن من البيان لَسِحْرا

سأل «الحجاج» يوما «الغضبان بن القبعثرى» عن مسائل يمتحنه فيها فقال له : مَنْ أكرم الناس ؟ قال : أفقههم فى الدين ، وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين ، وأكرمهم للمهانين ، وأطعمهم للمساكين . قال : فمن ألأم الناس ؟؟ قال : المعطى على الهوان ، المقتر على الإخوان الكثير الألوان ، قال : فمن أشجع الناس ؟؟ قال : أضربهم بالسيف وأقْراهُم للضيف وأتْركهم للخيف ، قال : فمن شر الناس ؟؟ قال : أطولهم جفوة وأدومهم صبوة وأشدهم قسوة ، قال : فمن أجبن الناس ؟؟ قال : المتأخر عن الصفوف ، المنقبض عن الزحوف ، المرتعش عند الوقوف ، المحب ظلال السقوف ، الكاره لضرب السيوف ، قال : فمن أثقل الناس ؟؟ قال : المتفنن فى الملام ،

(٥٢٠) كل مايتحول ويفنى ولايبقى .
(٥٢١) أكثرهم قرى . والقرى مايقدم للضيف من طعام .
(٥٢٢) الخيف الظلم والجور .

الضنين(٥٢٣) بالسلام ، المهذار فى الكلام ، المقبقب(٥٢٤) على الطعام ، قال : فمن خير الناس ؟؟ قال : أكثرهم إحسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم ميدانا ، قال : فمن العاقل والجاهل ؟ قال : العاقل الذى لايتكلم هذراً ولا ينظر شذرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا ، والجاهل هو المهذار فى كلامه ، المنان بطعامه ، الضنين بسلامه ، المتطاول على إمامه ، الفاحش على غلامه ، قال : فما الحازم الكيس ؟؟ قال : المقبل على شأنه التارك لما لايعنيه ، قال : فما العاجز ؟؟ قال : المعجب بآرائه ، الملتفت إلى ورائه .

قال «الحجاج» : هل عندك من النساء خبر ؟؟ قال : بشأنهم خبير !!! إن النساء من أمهات الأولاد بمنزلة الأضلاع إن عدلتها انكسرت ولهن جوهر لايصلح الاعلى المداراة ، فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ، ومن شاورهن كدر عيشه وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته ، فأكرمهن أعفهن ، وأفخر أحسابهن العفة ، فإذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة .

من العجائب

ومن أعجب مايحكى عن «الغضبان» أنه أتى إلى «رملة كِرْمان» فى شدة الحر والقيظ فضرب قُبته(٥٢٥) فيها وحط عن رواحله(٥٢٦) ، فبينما هو كذلك إذا بأعرابى من «بنى بكر بن وائل» قد أقبل على بعير قاصداً نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة(٥٢٧) وقت الظهيرة وقد ظمىء ظمأ شديداً فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقال «الغضبان» : هذه سنة وردها فريضة قد فاز قائلها وخسر تاركها ماحاجتك ؟! قال الأعرابى : أصابتنى الرمضاء(٥٢٨)

(٥٢٣) الشحيح البخيل على الناس بسلامه .
(٥٢٤) القبقبة : صوت جوف الفرس .
(٥٢٥) أقام خيمته ونزل فى هذا المكان .
(٥٢٦) الرواحل : الجمال التى تحمل أمتعته .
(٥٢٧) الشمس
(٥٢٨) رمال الصحراء الملتهبة .

وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك[٥٢٩] أرجو بركتها . قال «الغضبان» : فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم ؟؟؟ قال : أيتهن تعنى ؟ قال : قبة الأمير «ابن الأشعث» . قال : تلك لا يوصل إليها ، قال : إن هذه أمنع منها ، فقال الأعرابى : ماسمك ؟؟ قال : آخذ . فقال : وماتعطى ؟؟ قال : أكره أن يكون لى اسمان . قال : ومن أين أنت ؟؟ قال : من الأرض ، قال : فأين تريد ؟؟ قال : أمشى فى مناكبها ، فقال الأعرابى : وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر : أتقرض[٥٣٠] الشعر ؟؟ قال إنما يقرض الفأر . قال : أفتسجع[٥٣١] ؟؟ قال : إنما تسجع الحمامة .. فقال : ياهذا ائذن لى أن أدخل قبتك ، قال : خلفها أوسع لك . فقال . قد أحرقنى حر الشمس قال : مالى عليها من سلطان ، فقال : الرمضاء أحرقت قدمى ، قال : بل عليها تبرد ، فقال : إنى لاأريد طعامك ولاشرابك ، قال : لا تتعرض لما لاتصل إليه ولو تلفت روحك ؛ فقال الأعرابى : سبحان الله . قال : نعم من قبل ماتطلع أضراسك ، فقال الأعرابى : ماعندك غير هذا ؟؟ قال : بلى هراوة[٥٣٢] أضرب بها رأسك ، فاستغاث الأعرابى ، قال «الغضبان» : بئس الشيخ أنت ؛ فو الله ماظلمك أحد فتستغيث فقال الأعرابى : مارأيت رجلا أقسى منك ؛ هلا أدخلتنى قبتك وطارحتنى[٥٣٣] القريض ، قال : مالى بمحادثتك من حاجة ، فقال الأعرابى : بالله ماآسمك ؟؟ قال : أنا «الغضبان بن القبعثرى» فقال : اسمان منكران خلقا من غضب ، ثم قال : قف متوكئا على باب قبتى برجلك هذه العرجاء ، فقال : قطعها الله إن لم تكن خيراً من رجلك هذه الشعناء . قال «الغضبان» : لو كنت حاكما لجرت فى حكومتك لأن رجلى فى الظل

---

(٥٢٩) قصدت ناحيتك .

(٥٣٠) قرض الشعر قوله وإنشاده .

(٥٣١) السجع فى النثر من الكلام يكون حين تتفق أواخر الجمل فى الحرف الأخير مثل «كثر شاكوك ، وقل شاكروك» .

(٥٣٢) الهراوة : العصا وما شابهها .

(٥٣٣) تبادلنا قول الشعر .

قاعدة ورجلك فى الرمضاء قائمة . فقال الأعرابى : إنى لأظنك حروريا[٥٣٤] ، قال : اللهم اجعلنى ممن يتحرى الخير ويريده . فقال : انى لأظن عنصرك فاسداً . قال : ماأقدرنى على إصلاحه ، فقال الأعرابى : لاأرصاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول :

لابـــــارك الله فى قوم تسودهـــــم
إنى أظـــنك والـــرحمنِ شيطانـــــا
أتـــيت قبتـــه أرجـــو ضيافتـــه
فأظهـــر الشيـــخ ذو القـــرنين حرمانـــاً

حُسْن التفرس

قال «أبو سعيد الخراز» : رأيت فى الحرم رجلا فقيرا ليس عليه إلا مايستر عورته فأنفت نفسى منه فتفرس فى وقال : **﴿وَآعْلَمُوا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه﴾** فندمت على ذلك واستغفرت فى نفسى فقال : **﴿وهُو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾**

فَضْلُ الشيب

قال ﷺ : **«ثلاثة لايستخف بهم إلا منافق ــ إمام مقسط ، وذو شيبة فى الإسلام ، وذو علم»**[٥٣٦] .

---

(٥٣٤) حر وراء قرية بقرب الكوفة ينسب اليها فرقة من الخوارج كان أول اجتماعهم بها ، وتعمقوا فى أمر الدين حتى مرقوا منه ، ومنه قول عائشة : أحرورية أنت ؟ معناه أخارجة عن الدين بسبب التعمق فى السؤال . وفى هذا تفسير لقول الأعرابى .

(٥٣٥) ــ والرحمن ــ قسم اعترض الكلام وينطق بكسر النون ــ والواو واو القسم وليست للعطف .

(٥٣٦) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة . جمع الجوامع ١ /٤٩٢ .

وقال «أزدشير» لابنه : وقر المشايخ فهم مواطن الوقار ومعادن الآثار ورواة الأخبار ، وضبط الأسرار ، إذا رأوك فى قبيح منعوك ، وإن ألفوك فى جميل أيدوك .

ومر «الحسن» بشبان فقال : شوبوا مجلسكم بشيخ . وقيل لرجل : ألا تشرب الخمر ؟! قال : شيب فى الرأس يمنع من تعاطى الكأس . وقال ﷺ : «البركة مع أكابركم»(٥٣٧) .

وقال حكيم : الشيب نور لمن اهتدى وظلمة لمن ظلم . وقال آخر : إن خير نصفى الرجل آخره يذهب جهله ويثوب حلمه ويجتمع رأيه ، وشر نصفى المرأة آخره . يسوء خلقها ويحد لسانها ويعقم رحمها . وعن «أنس» يرفعه : (خير شبابكم من تشبه بكهولكم . وشر كهولكم من تشبه بشبابكم) وقال بعض الحكماء : الشيب واعظ يصيح ، ومنذر فصيح ، وقال الشاعر :

ألم تستح من وجه المشيب
وقد ناجاك بالوعظ المصيب
أراك تعد للآمال ذخراً
فما أعددت للأجل القريب

من أين لك هذا ؟؟

دخل «أبو تمام» على «أحمد بن أبى دؤاد» وقد طال وقوفه بالباب ، فلما مثل بين يديه قال «أحمد» : أحسبك عاتباً . فقال «أبو تمام» : إنما العَتْبُ على واحد وأنت الناس جميعا فقال : من أين لك هذا ؟؟

قال من قول «أبى نواس» :

وَلَيس على الله بِمُستَنكر
أن يجمع العالم فى واحد

---

(٥٣٧) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة . جمع الجوامع ١ /٣٩٨ .

من فصاحة النساء

دخلت امرأة على «هارون الرشيد» وعنده جماعة من وجوه أصحابه قالت : ياأمير المؤمنين أقرَّ الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك لقد حكمت فَقَسَطْتَ ، فقال لها : من تكونين ؟ فقالت : من أهل «برمك»(٥٣٨) ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم ، فقال : أما الرجال ، فقد مضى فيهم أمر الله ، ونفذ فيهم قدره ، وأما المال فمردود إليك ، ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه فقال : أتدرون ماقالت هذه المرأة ؟ فقالوا : مانراها قالت إلا خيرا قال : ماأظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك : أى أسكنها عن الحركة وإذا سكنت العين عن الحركة عميت ، وقولها : وفرحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة** ﴾(٥٣٩)وأما قولها : وأتم الله سعدك ، فأخذته من قول الشاعر :

إذا تم أمـــــــــــــر بدا نقصه

ترقب زوالا إذا قيـــــــــــــل تم

وأما قولها : لقد حكمت فقسطت . فأخذته من قوله تعالى : ﴿**وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا**﴾(٥٤٠) فتعجبوا من ذلك .

من ذكاء الصبيان

دخل «الحسن بن الفضل» على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب «الحسن» أن يتكلم فزجره الخليفة وقال : صبى يتكلم فى المقام ؟ فقال : ياأمير المؤمنين إن كنت صبياً فلست بأصغر من هُدْهُد «سليمان» ولا

---

(٥٣٨) البرامكة .

(٥٣٩) سورة «الأنعام» الآية (٤٤) .

(٥٤٠) سورة «الجن» الآية (١٥) .

أنت بأكبر من «سليمان» عليه السلام حين قال : ﴿أحَطْتُ بما لَمْ تُحِطْ به﴾[٥٤١] وقال : ألم تر أن الله فهم الحكم «سليمان» ولو كان الأمر بالكبر لكان «داود» أَوْلى .

ولما أفضت الخلافة إلى «عمر بن عبد العزيز» أتته الوفود فإذا فيهم وفد الحجاز فنظر إلى صبى صغير السن وقد أراد أن يتكلم فقال : ليتكلم من هو أسن منك ، فإنه أحق به منك ، قال : لو كان الأمر بالسن لكان فى القوم من هو أحق بالخلافة منك ، قال : صَدَقْتَ فتكلم أنت . فقال : ياأمير المؤمنين إنا قدمنا عليك من بلد يحمد الله الذى منَّ علينا بك فأقْدمنا عليك لا رغبة منا ولا رهبة منك ، أما عدم الرغبة فقد أَمِنَّا بك فى منازلنا ، وأما عدم الرهبة فقد أمناجورك بعدلك ، فنحن وفد الشكر والسلام . فقال له «عمر» رضى الله عنه : عظنى ياغلام . فقال : ياأمير المؤمنين إن أناساً غَرَّهم حِلْمُ الله وثناءُ النَّاسِ عليهم فلا تكن ممن يغره حلمُ الله وثناءُ الناس عليه فتزل قدمُك وتكون من الذين قال الله فيهم : ﴿ولا تَكُونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون﴾[٥٤٢] فأنشدهم «عمر» رضى الله عنه :

تَعَلَّم فليس المرءُ يُولَدُ عالِماً
وَلَيْس أخُو عِلْم كَمَنْ هُوَ جاهِلُ
فإن كبير القَوْمِ لاعِلْمَ عِنْدَهُ
صَغِيرٌ إذا الْتَفَّت عَلَيْه الْمحافِلُ

اتَّق الله فىَّ

غضب «محمد بن سليمان» على رجل فأمر بطرحه فى القصر ، فقال له الرجل : اتق الله فى ، فقال : خَلُّوا سبيله فإنى كرهت أن أكون كالذى إذا قيل

(٥٤١) سورة «النمل» الآية (٢٢) .
(٥٤٢) سورة «الأنفال» الآية (٢١) .

له : ﴿اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾[٥٤٣] .

افعل مايحبه من العفو

حكى أن «عبد الله بن مروان» نَقَمَ على رجل ذَنْباً فهرب منه فلما ظفر به هم بقتله فقال الرجل : إن الله قد فعل ماأحببت من الظفر فافعل مايحبه من العفو ، فإن الانتقام عدل ، والتجاوز فضل ، والله يحب المحسنين فعفا عنه .

أُتى «الحجاج» بقوم ممن كانوا خرجوا عليه فأمر بقتلهم فقتلوا إلا واحداً حال دون قتله إقامة الصلاة ، فقال «الحجاج» لِـ «عَنْبَسة» : انصرف بهذا معك وائتنى به غدا . فلما سار به قال الأسير : هل فيك خير ؟ قال : وماذاك ؟ قال : إنى والله ماخرجت على المسلمين ولم أستحل منهم شيئا وعندى أموال وودائع فَتَخَلَّ عنى حتى آتى أهلى وأرد لكُل ذى حق حقه والله على ماأقول شهيد . فقال : اذهب فلما ذهب عن شخصه ندم وقال : لقد اجترأت على «الحجاج» وَبِتُّ بأطول ليلة ، فلما طلع الفجر إذا به قد جاءنى فقلت : أرجعت ؟ قال : سبحان الله . جعلت الله تعالى شاهدى ثم لم أرجع !! فأنطلق به إلى «الحجاج» وقصّ عليه قصته فتعجب «الحجاج» وقال لِـ «عنبسة» : أتحبُّ أن أَهَبَهُ لك ؟ قال : نعم . قال : هو لك فقلت للرجل : خذ أى طريق شئت . فرفع رأسه إلى السماء وقال : «الحمد لله» وانصرف ماكلمنى بكلمة فقلت فى نفسى هذا مجنون ، فلما كان الغد أتانى فقال : جزاك الله خيرا إنى ماجهلت قدرما صنعت لكن كرهت أن أُشْرِك فى حمد الله أحداً .

الدنيا ستة أشياء

قال «على» كرم الله وجهه : الدنيا ستة أشياء : مطعوم ، ومشروب ، وملبوس ، ومركوب ، ومنكوح ، ومشموم ، فأشرف المطعوم العسل ، وهو

٥٤٣) سورة «البقرة» الآية (٢٠٦) .

مذاقَةُ ذباب ، وأشرف المشروب الماء ويستوى فيه البَرُّ والفاجر ، وأشرف الملبوس الحرير وهو نَسْجُ دُودة ، وأشرف المركوب الفرس وعليه تُقْتل الرجال ، وأشرف المنكوح المرأة وهو مبال فى مبال ؛ وأشرف المشموم المِسْك وهو دم حيوان .

لا تأخذه سِنَةٌ ولانوم

سئل أحد الصالحين رضى الله تعالى عنهم : متى ينام ربنا ؟؟ قال : أمسك قارورتين ثم قف على صَخْرة وتظل هكذا ، فَفَعَلَ ، فلما أخذته سِنَةٌ من النوم وقعت القارورتان فانكسرتا فقال : لو نام ربنا لوقعت السماء على الأرض ؛ قال تعالى : ﴿**إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده**﴾[٥٤٤] .

لاتكن عوناً للشيطان

شرب رجل خمرة فجلده ﷺ : ثم عاد الثانية فجلده ، ثم عاد الثالثة فجلده ، فقال بعض الحاضرين : أَخْزاك الله ماأكثر ماتأتى ، فقال ﷺ : «**لاتكن عَوْنا للشيطان على أخيك**»[٥٤٥]

المرء مع من أحب

قال سيدنا «ثوبان»[٥٤٦] رضى الله عنه لرسول الله ﷺ : لوخيرت بين الجنة والنار وكنت أراك وأنا فى النار لاخترت النار على الجنة . فأنزل الله تعالى : ﴿**وَمَنْ يُطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من**

---

(٥٤٤) سورة «فاطر» الآية (٤١)

(٥٤٥) رواه البخارى عن أبى هريرة . جمع الجوامع ١ /٩٠٥ .

(٥٤٦) ثوبان : أحد موالى رسول الله ﷺ .

النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ [النساء : ٦٩]

يقظة «عمر»

زار «أبو سفيان» «معاوية» رضى الله عنه فى ولايته بالشام ، فلما رجع من عنده دخل على «عمر» رضى الله عنه فقال «عمر» لأبى سفيان : أجِدْنا(٥٤٧) . قال : ماأصبْنا فنُجْديك ؟؟ فأخذ «عمر» خاتمه فبعث به إلى «هند امرأة» أبى سفيان وقال للرسول : قل لها يقول لك «أبو سفيان» انظرى الخرجين اللذين جئت بهما من عند «معاوية» فأحضريهما ، فلم يلبث «عمر» أن أُتى بالخرجين فيهما عشرة الآف درهم ، فألقاها «عمر» فى بيت المال ، فلما ولى «عثمان» رضى الله عنه أراد أن يردها إلى «أبى سفيان» فقال : ماكنت لآخذ مالا عابَهُ «عمر» على ؛ والله إن لنا إليه حاجة ، ولكن لاتردّ على من قَبْلك فيرُدَّ عليك مَنْ بَعْدَكَ .

تمسُّك الأئمة بالكتاب والسنة

قال الإمام «الشافعى» رضى الله عنه : إذا وجدتم عن رسول الله ﷺ سُنَّةً خلاف قولى فخذوا السنة ودعوا قولى ، وقال رضى الله عنه : ألَّفْتُ هذه الكتب ولم آلُ جُهْداً ولابد أن يوجد فيها الخطأ لأن الله تعالى يقول : ﴿وَلَوْ كان مِنْ عِنْد غير الله لَوَجَدُوا فيه اختلافاً كثيرا﴾(٥٤٨) فما وجدتم فى كتبى هذه مايخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه .

وقال «مالك» رضى الله عنه : إنما أنا بشر أخطىء وأصيب ، فانظروا فى رأيى فكل ماوافق الكتاب والسنة فخذوا به ، ومالم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه .

---

(٥٤٧) أجداه : أعطاه الجدوى — والجدوى العطية .

(٥٤٨) سورة «النساء» الآية (٨٢)

وقال «أحمد» رضى الله عنه : لاتكتبوا عني شيئا ولاتقلدوني وتقلدوا فلانا وفلانا ، وخذوا من حيث أَخَذُوا .

وقال «أبو حنيفة» رضى الله عنه : ماجاءنا عن رسول الله فعلى الرأس والعين ، وماجاءنا عن أصحابه آخترنا منه ، وماجاءنا من غير ذلك فنحن رجال وهم رجال ؛ وفى رواية عنه قال : آخذُ بكتاب الله فإن لم أجد فَبِسُنَّةِ رسول الله ، فإن لم أجد فى كتاب الله ولا سُنّة رسول الله آخذ بقول الصحابة ، ثم أخذ بقول من شئت منهم وأدَعُ قول من شئت منهم ، ولا أَخْرُجُ من قولهم إلى قول غيرهم ، فأما إذا انتهى الأمر إلى «إبراهيم» و«الشعبى» و«ابن سيرين» و«الحسن» و«عطاء» و«سعيد» . وعد رجالا من التابعين ــ فقوم اجتهدوا وأنا أجتهد كما اجتهدوا .

فضل الشافعى

قال الحافظ «البيهقى» رضى الله عنه : قابلت بتوفيق الله أقوال كل أحد من الأئمة بمبلغ علمي من كتاب الله ، ثم ماجمعت من السنن والآثار فى الفرائض والنوافل والحلال والحرام والحدود والأحكام ، فوجدت «الشافعى» أكثرهم آتباعا وأقواهم آحتجاجا وأَصَحّهم قياسا وأوضحهم إرشاداً ، وقال بعض العلماء : لولا «الشافعى» لغير أصحاب الرأى ماجاء به «محمد» ﷺ .

السر فى سجدتى السهو

سأل ابن معين «معروف البلخى» عن السِّرّ فى سجدتى السهو فى الصلاة فقال : شرعتا عقوبة للقلب إذا سها وهو بين يدى الله تعالى .

فضل الدعاء

قال ﷺ : **«مامن مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث ــ إما أن يُعَجل له دعوته ، وإما أن يدخر له**

ثوابها ، وإما أن يكف عنه من السوء بمثلها»(٥٤٩) وروى : (أنه إذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى الجنة فبينما العبد المؤمن فى قصره وإذا ملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول : ماهذا ؟؟ أليس الله قد أنعم على وأكرمنى فيقولون ، ألست كنت تدعو الله فى الدنيا ؟ هذا دعاؤك الذى كنت تدعوه قد ادخره لك) وقال ﷺ : «**إياكم والسجع فى الدعاء ، بحسب أحدكم أن يقول : اللهم إنى أسألك الجنة وماقرب إليها من قول وعمل**» (٥٥٠) وقال «سفيان بن عيينة» : لايمنعن أحدكم من الدعاء مايعلم من نفسه ، فقد اجاب الله دعاء شر الخلق إبليس إذ ﴿**قال : رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين**﴾(٥٥١) وكان «يحيى بن معاذ» يقول : من أقر بإساءته جاد الله عليه بمغفرته ، ومن لم يمنّ على الله بطاعته أوصله الله إلى جنته ، ومن أخلص لله فى دعوته منّ الله عليه بإجابته .

تمامُ الضيافة

قال بعض العرب : تمام الضيافة طلاقة الوجه عند اللقاء ، وإطالة الحديث عند الغذاء .

وقال «على» كرم الله وجهه : إذا طرقك إخوانك فلا تدخر عنهم مافى لمنزل ولاتتكلف لهم وراء الباب .

من الأدلة على الله

قال رجل لِـ «جعفر بن محمد» رضى الله عنهما . ماالدليل على الله ؟؟ ولا تذكر لى العالم والعرض والجوهر ، فقال له : هل ركبت البحر ؟؟

---

٥٤٩) رواه عبد بن حميد ، والحاكم ، والبيهقى ، جمع الجوامع ١ /٧٢٨ .
٥٥٠) انظر البخارى ، كتاب الدعوات ١٩ . ومسند أحمد ٦ /٢١٧ .
٥٥١) سورة «الحجر» الآية (٣٦ — ٣٧) .

قال : نعم ، قال : هل عصفت بكم الريح حتى خفتُم الغرق ؟ قال : نعم ، قال : فهل انقطع رجاؤك من المركب والملاحين ؟؟ قال : نعم ، قال : هل تَتَبَّعَتَ نفسك أن هناك من ينجيك ؟؟ قال : نعم قال : فإن ذاك هو الله تعالى .

فيه ثلاث قَلَّ أن توجد

روى «البيهقى» عن «عبد الله بن بريدة» قال : شتم رجل «ابن عباس» فقال : إنك لتشتمنى وفى ثلاث .. إنى لأسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به ومالى بها سائمة ولاراعية ، وإنى لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فى حكمه فأحبه ولعلى لا أُقاضى إليه أبداً ، وإنى لآتى على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون مثل ماأعلم .

يَرْضى بالضرب ولايتولى القضاء

أراد «ابن هبيرة» أن يولى «أبا حنيفة» القضاء فأبى ، فحلف ليضربنه بالسوط وليسجننه ، فضربه حتى انتفخ وجه «أبى حنيفة» ورأسه من الضرب ، فقال : الضرب بالسياط فى الدنيا أهون على من الضرب بمقامع الحديد فى الآخرة .

قضاءُ الدَّيْن

قال ﷺ : **«من تداين وفى نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ، ومن تداين وليس فى نفسه وفاؤه ثم مات اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة»**(٥٥٢) وجاء «سعد بن أبى وقاص» رضى الله تعالى عنه يتقاضى دينا له على رجل فقالوا : خرج إلى الغزو فقال : أشهد أن رسول الله

(٥٥٢) رواه الحاكم عن أبى أمامة . جمع الجوامع ١ /٧٦٢ .

ﷺ قال : «لو أن رجلا قُتِلَ فى سبيل الله ثم أحيى ثم قتل لم يدخل الجنة حتى يقضى دينه»[٥٥٣] وعن «أبى هريرة» رضى الله عنه قال : إن النبى ﷺ قال : «من تزوج امرأة بصداق ينوى أن لايؤديه إليها فهو زانٍ ، ومن استدان ينوى ألا يقضيه فهو سارق»[٥٥٤] وقال الشاعر يذم الدَّيْن :

لَقَـــدْ كان القَـــريض سمير قلبـــى
فألهتـــى القـــروض عن القـــريض[٥٥٥]

فضل العدل

قال ﷺ : «لَعَمَلُ الإمام العادل فى رعيته يوما واحداً أفضل من عمل العابد فى أهله مائة عام أو خمسين» وقال ﷺ : «ثلاثة لاتُرَدُّ دعوتهم ، الإمام العادل ، والصائم حين يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء»[٥٥٦] .

وسأل «الإسكندر» حكماء أهل بابل : أيهما أبلغ عندكم .. الشجاعة أو العدل ؟؟ قالوا : إذا استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة .

ويقال : عدل السلطان أنفع من خصب الزمان ، وإذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته ، وإذا عدل فى حكمه وجب عليها محبته .

وكتب بعض عمال «عمر بن عبد العزيز» رضى الله عنه يشكو إليه من خراب مدينته ويسأله مالا ليرمها به فكتب إليه «عمر» : قد فهمت كتابك فإذا قرأت كتابى فحصن مدينتك بالعدل ، ونق طرقها من الظلم ، فإنه مَرَمَّتُها .. والسلام .

---

(٥٥٣) رواه الطبرانى فى الأوسط . جمع الجوامع ١ /٦٦٣ .
(٥٥٤) رواه الرافعى ، وابن النجار ، وابن عساكر ؛ جمع الجوامع ١ /٧٦٣ .
(٥٥٥) القريض الشعر .
(٥٥٦) رواه أحمد ، والترمذى ، وابن حبان . جمع الجوامع ١ /٤٩٠ .

ويقال إن الحاصل من خراج سواد العراق فى زمن «عمر بن الخطاب» كان مائة ألف وسبعة وثلاثين ألف ألف ، فلم يزل يتناقص حتى صار فى زمن «الحجاج» ثمانية عشر ألف ألف ، فلما ولى «عمر بن عبد العزيز» ارتفع فى السنة الأولى إلى ثلاثين ألف ألف ، وفى الثانية إلى ستين ألف ألف وقال : إن عشت لأبلغنه إلى ماكان فى أيام أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» . فمات من تلك السنة .

ومن كلام «كسرى» : لاملك إلا بالجند ، ولاجند إلا بالمال ، ولا مال إلا بالبلاد ، ولابلاد إلا بالرعايا ، ولارعايا إلا بالعدل .

وكان لِـ «أحمد بن طولون» ولد اسمه «العباس» له مُغَنِّية ، فلقيها بعض صالحى أهل مصر ومعها غلام يحمل عودها فكسره ، فدخل «العباس» على أبيه يشكو له ، فأمر بإحضار ذلك الرجل ، فلما جاءه قال : أنت الذى كسرت العود ؟ قال : نعم ، قال : أفعلمت لمن هو ؟؟ قال : نعم هو لابنك «العباس» ، قال : أفما أكرمته من أجلى ؟؟ فقال : أكرمه لَكَ بمعصية الله عز وجل والله يقول : **﴿والمؤمِنُون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾**(٥٥٧) ورسول الله ﷺ يقول : «**لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق**»(٥٥٨) ؟ فأطرق «ابن طولون» عند ذلك ثم قال : كل منكر رأيته فغيره وأنا من ورائك .

يواظب على أذانه أربعين سنة

قال «سعيد بن المسيب» رضى الله عنه : مافاتنى الأذان فى مسجد رسول الله ﷺ منذ أربعين سنة .

---

(٥٥٧) التوبة : ٧١ .

(٥٥٨) رواه أحمد فى المسند ، وابن جرير ، وابن خزيمة . جمع الجوامع ١ /٩١٣ .

فى الموت

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **«إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار . يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»**(٥٥٩) .

وقال «على» كرم الله وجهه لِـ «أبى ذر» : زُرِ القبور تذكر بها الآخرة ولاتزرها بالليل ، وغسل الموتى يتحرك قلبك ، وصل على الجنازة لعل ذلك يحزنك ، فإن الحزين فى ظل الله تعالى .

وقيل لأعرابى : إنك تموت ، قال : وإلى أين أذهب ؟؟ قالوا : إلى الله تعالى ، فقال : لاأكره أن أذهب إلى من لاأرى الخير إلا منه .

بينما «حسان» رضى الله عنه جالس وفى حجره صبى يطعمه الزبد بالعسل إذ شرق الصبى فمات فقال :

اعْمَلْ وَأنت صَحيح مُطْلق فَرِح
مادُمْت وَيْحك يامَغرور فى مَهَلِ
يَرْجو الحياةَ صَحِيحٌ ربما كمنت
له المنية بين الزبد والعسل

لما قربت وفاة «المأمون» دخل عليه بعض أصدقائه فوجده قد فرش له جلد دابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول : يامن لايزول ملكه ارْحم من زال ملكه .

مجالس العلماء

ضم أربعةً من العلماء مجلس ملكٍ فقال لهم : ليتكلم كل بكلام يكون أصلا للأدب ، فقال أحدهم : أفضلُ خَلَّةِ العلمِ السكوت .

---

(٥٥٩) رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، وابن ماجه ؛ عن ابن عمر . جمع الجوامع ١ /٨٨ .

وقال الثانى : إن من أنفع الأشياء للإنسان أن يعرف قدرَ منزلته من عقله .
وقال الثالث : أنفع الأشياء للإنسان ألا يتكلم بم لا يعنيه[٥٦٠] .
وقال الرابع : أروح الأمور على الإنسان التسليم للمقادير !

الحق فوق القوة

روى «ابن أبى الدنيا» بسنده عن «طاووس» أنه قال : بينما أنا بمكة استدعانى «الحجاج» فأتيته فأجلسنى إلى جانبه وأتكأنى على وسادة ، فبينما نحن نتحدث إذ سمع صوتا عالياً بالتلبية فقال «الحجاج» : علىَّ بالرجل .. ، فأُحْضِر فقال له : من الرجل ؟؟ قال : من المسلمين فقال إنما سألتك عن البلد والقوم .. قال : من أهل اليمن .. فقال : كيف تركت «محمد بن يوسف» ؟ — (يعنى أخاه) وكان والياً على اليمن — فقال : تركته جسيما وسيما ، لباساً حريراً ، ركابا خراجا ولاجا .. ، فقال : إنما سألتك عن سيرته .. فقال : تركته غَشُوما ظَلُوماً مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق .. قال : أتقول فيه هذا وقد علمت مكانه منى ؟ فقال الرجل : أتراه بمكانه منك أعز من مكانى من ربى وأنا مصدق بنبيه ووافد بيته ؟! فسكت «الحجاج» وذهب الرجل من غير إذن .. قال «طاووس» فتبعته فقلتُ : الصُّحْبة .. فقال لاحُباً ولاكرامة .. ألست صاحب الوسادة وقد رأيت الناس يستفتونك فى دين الله ، قلتُ : إنه أمير مُسَلّط أرسل إلى فأتيته كما فعلت أنت قال : فما هذا الاتكاء على الوسادة فى رخاء بال ؟؟ هلا كان لك من واجب نصحه وقضاء حق رعيته بوعظه والحذر من بوائق عَسْفه وتخلى نفسك من ساعة الأنس به مايكدر عليك تلك الطمأنينة ؟؟ قلت : أستغفر الله وأتوب إليه ثم أسألك الصحبةَ فقال : غفر الله لك إن لى مصحوبا شديد الغيرة على فلو آنست بغيره رفضنى ، ثم تركنى وذهب .

---

(٥٦٠) فمن تحدث بما لا يعنيه سمع مالا يرضه .

أجواد الإسلام فى عصرهم

تمارى ثلاثة(٥٦١) فى اجواد الإسلام فقال رجل : أسخى رجل فى عصرنا هذا «عبد الله بن جعفر بن أبى طالب» ، وقال آخر : أسخى الناس «عُرابة الأوسى» ، وقال آخر : بل«قَيْس بن سعد بن عبادة» ، وأكثروا الجدال فى ذلك ، فقال رجل : قد أكثرتم الجدال فى ذلك فما عليكم أن يمضى كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله حتى ننظر مايعطيه ونحكم على العيان .

فقام صاحب «عبد الله» إليه فصادفه قد وضع رجله فى ركاب ناقته يريد ضيعة له فقال : ياابن عم رسول الله ، ابن سبيل ومنقطع به ، فأخرج رجله من ركاب الناقة وقال له : استو على الراحلة وخذ ما فى الحقيبة وآحتفظ بسيفك فإنه من سيوف «على بن أبى طالب» رضى الله عنه ، فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار ، وأعظمها وأجلها السيف .

ومضى صاحب «قيس بن سعد بن عبادة» فصادفه نائما فقالت الجارية : هو نائم فما حاجتك إليه ؟؟ قال : ابن سبيل ومنقطع به ، فقالت : حاجتك أهون من إيقاظه .. هذا كيس فيه سبعمائه دينار والله يعلم مافى دار «قيس» غيره ، خذه وآمض إلى معاطن(٥٦٢) الإبل إلى أموال لنا بعلامتنا فَخُذ راحلةً من رواحله ومايصلحها ، وعبدا ، وآمض لِشَأْنك ، ولما آنتبه «قيس» أخبرته بما صنعت فأَعْتَقها .

ومضى صاحب «عُرابة الأوسى» إليه فألقاه قد خرج يريد الصلاة وهو يمشى على عبدين له وقد كف بصره فقال . يا«عُرابة» ، ابن سبيل ومنقطع به .. فخلى العبدين وأخذ يصفق ويقول : أواه ماتركت الحقوق لِعُرابة مالا ولكن خُذ العبدين . قال : ماكنت بالذى يقص جناحيك ، قال : إن لم تأخذهما فهما حران فإن شئت تأخذ وإن شئت تعتق ، وأقبل «عرابة» يلتمس

---

(٥٦١) تجادلوا

(٥٦٢) مَبَارك الإبل ، وأماكن راحتها .

الحائط بيديه راجعاً إلى داره . فأخذهما الرجل وجاء بهما ، فثبت أنهم أجود عصرهم ، إلا أنهم حَكَمُوا لعرابة لِأنه أُعْطى جُهْده .

سَلُونى

قال « مقاتل بن سليمان » وقد دخلته أُبَّهة العلم : سلونى عما تحت العرش إلى أسفل الثرى(٥٦٣) ، فقام إليه رجل من القوم فقال : مانسألك عما تحت العرش ولا أسفل الثرى ولكن نسألك عما كان فى الأرض وذكره الله فى كتابه ، أخبرنى عن كلب أهل الكهف ماكان لونه ؟ فأَفْحَمَه .. !

الفقير والغنى

أتى فقير إلى النبى ﷺ ــ وعنده أحد الأغنياء ــ فكف الغنى ثيابه عنه ، فقال له رسول الله ﷺ : **«ماحملك على ماصنعت ؟ . أخشيت أن يلصق فَقْرُهُ بك أو يلْصَق غناكَ بِهِ ؟ فقال : يارسول الله أمّا لماذا قلت هذا فَلَهُ نِصْف مالى ، فقال للفقير : أتقبل منى ؟ قال : لا ، قال : لم ؟ قال : أخاف أن يداخلنى مادخلهُ من عِزَّة الكبرياء»** .

مُجاب الدعوة

رُوى أن بعض النبلاء علم برجل مجاب الدعوة عند الله تعالى فذهب إليه وتظاهر بمظهر الضيفان فأضافه فأقام عنده ثلاث ليال فلم ير منه شيئاً غريبا من طاعة أو عبادة ، فسأله عن سبب إجابة دعائه فقال : ياهذا تلك دعوة نفس عضها الجوع وصدقت لله تعالى فى السجود والركوع ، فأجاب الله دعاها وأعطاها مناها ، قال : وكيف ذلك ؟ فحدثه أنه حصل فى البلد قحط فى عام من الأعوام ، وفى ليلة قرع الباب قارع فخرجت وإذا بشابة جميلة جداً تُخْجِلُ

(٥٦٣) الثرى : التراب لـ بالندى .

البدرَ والأقمار ، وتبدو كأنها الشمس فى وسط النهار ، فشكت لى جوعها فحادثتها ثم راودتها عن نفسها فقالت : الموت ولا معصية ربى ، ثم رجعت من حيث أتت ، وبعد أيام عادت وتوسلت إلى فقلت كما قلت أولاً فبكت ، ثم دخلت وقد أشرفت على الهلاك ثم قالت : تطعمنى لوجه الله ؟ فقلت : لا إلا أن تمكنينى من نفسك ، فقالت : الموت خير من عذاب الله ، ثم قامت فَسرتُ خلفها فسمعتها تقول :

أيا واحداً إحسانُه شَمِلَ الخلقا
بِسَمْعِكَ ماأشكو ، بعينك ماألقى
لقد صدمتنى شدة وخصاصة (٥٦٤)
ونازلنى مابعضه يمنع النطقا
كأنى ظمآن ترى الماء عينه
فلا غُلَّة تُروى ولا شَربة تسقى
تُنازِعُنى نفسى إلى نيل أكلةٍ
لذاذتها تفنى وغصتها تبقى
أأعصيك بَعْدَ الفَضْلِ والجُودِ والْهُدى
وكيف وبالطاعات أستجلب الرزقا

فَجَزِعْتُ لما سمعت ذلك ثم دخل قلبى الإيمان بالله وحب الخير فقلت لها : عودى وكلى ماشئت لله ، فعادت وهى فى حالة ضعف لاتكاد يسمع لها صوت ، فلما علمت صدق ورأتنى قدمت لها الطعام وعرضت عليها ماشاءت من متاع الدنيا قالت : (اللهم كما أنرت قلبه ، وهديت لبه فأجب دعاءه ولا تردَّه خائبا) فكان مادعت به ، ثم تزوجتُها وصارت لى زوجة والحمد لله .

يلجأ إلى الله دون غيره

قيل لِحُذَيفة المرعشى : خدمت «إبراهيم الخواص» رضى الله تعالى عنه مدة

---

٥٦٤) الخصاصة : الفقر .

فحدثنا بأعجب مارأيت ؟ قال : بقينا فى طريق مكة أياما لم نأكل طعاما فدخلنا «الكوفة» فأوينا إلى مسجد خرب فنظر «إبراهيم» إلى وقال : يا«حذيفة» أرى بك أثر الجوع ، فقلت : هو كما ترى ، فقال : على بدواة وقرطاس ، فأحضرتهما إليه فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) أنت المقصود بكل حال ، والمشار إليه بكل معنى ، ثم أنشد :

أنـا حامـد أنـا شاكـر أنـا ذاكـر
أنـا جائـع أنـا ضائـع أنـا عارى
هى ستـة وأنـا الضمين لنصفهـا
فكـن الضمين لنصفهـا يابـارى
مدحـى لغيرك لهب نارٍ خُضتها
فأجـر عبيـدك من لهيب النـار

ثم دفع الرقعة إلى وقال : اخرج بها ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى ، وارفعها إلى أول من يلقاك ، فخرجت فأول من لقينى رجل على بغلة فناولته الرقعة فأخذها وقرأها وبكى وقال : مافعل بصاحب هذه الرقعة ؟ قلت : هو فى المسجد الفلانى ، فدفع إلى صرة فيها ستمائة درهم فأخذتها ومضيت فوجدت رجلا فسألته : من هذا الراكب على البغلة ؟ قال : هو رجل نصرانى ، فجئت «إبراهيم» وأخبرته بالقصة : فقال لا تمسّ الدراهم فإن صاحبها يأتى الساعة ، فلما كان بعد الساعة أقبل النصرانى راكبا على بغلته فترجل[٥٦٥] على باب المسجد ودخل فأكب على «إبراهيم» يقبل رأسه ويديه ويقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فبكى «إبراهيم الخواص» فرحا به وسروراً وقال : (الحمد لله الذى هداك للإسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام) .

(٥٦٥) نزل وسار على رجليه بعد أن كان راكبا .

ماقال «الحجاج» ، وماقيل فيه عند موته

لما حضرت «الحجاج» الوفاة وأيقن بالموت قال : اسندونى ، وأذن للناس فدخلوا عليه ، فذكر الموت وكربه ، واللحد ووحشته ، والدنيا وزوالها ، والآخرة وأهوالها وكثرة ذنوبه وأثقالها ، وأنشد يقول :

إن ذنبـــى وزن السمـــوات والأر
ض وظنـــى بخالقـــى لن يحابى (٥٦٦)

فلئـــن من بالـــرضا فهـــو ظنـــى
ولئـــن مر بالكتـــاب عذابى

لم يكـــن ذاك منـــه ظلمـــا وهـــل يظ
لـــم رب يرجـــى لحسن المآب

ثم بكى ، وبكى جلساؤه ، ثم أمر الكاتب أن يكتب إلى الوليد :

(أما بعد فلقد كنت أرعى غنمك أحوطها حياطة الناصح الشفيق برغبة مولاه فجاء الأسد فبطش بالراعى ومزق المرعى كل ممزق ، وقد نزل بمولاك مانزل بأيوب الصابر ، وأرجو أن يكون الجبار أراد بعبده غفرانا لخطاياه وتكفيراً لما حمل من ذنوبه) ثم كتب فى آخر الكتاب :

إذا مالقـــيتُ الله عنـــى راضيـــاً
فإن شفـــاء النـــفس فيمـــا هنـــالك

فحسبـــى بقـــاء الله من كل ميت
وحسبـــى ثواب الله فى كل هالك

لقـــد ذاق هذا الموت من كان قبلنـــا
ونحن نذوق الموت من بعـــد ذلك

فإن متّ فاذكـــرنى بذكـــر محبب
فقـــد كان جما فى رضاك مسالكـــى

---

(٥٦٦) المحاباة : المجاملة على حساب الحق !!

علـــيك سلام الله حَيــــا وميتــــاً
ومِــنْ بَعْــــد ما تحيـــا عتيقـــا لمالك

ثم دخل عليه «أبو المنذر» «يعلى بن مخلد المجاشعى» فقال : كيف ترى مابك يا«حجاج» من غمرات الموت وسكراته ؟ فقال : (يا«يعلى» غماً شديداً وجهداً جهيداً وألما مضيضاً ونزعا[٥٦٧] جريضا « يجفف الريق » وسفراً طويلا وزاداً قليلا فويلى ثم ويلى ، إن لم يرحمنى الجبار) فقال : يا«حجاج» إنما يرحم الله من عباده الرحماء الكرماء أُولى الرحمة والرأفة والتحنن والتعطف على عباده وخلقه ، أشهد أنك من قرين «فرعون» و«هامان» ، لسوء سيرتك وترك ملتك وتنكبك عن قصد الحق وسنن المحجة (طريق الصواب) وآثار الصالحين ، قتلت صالحى الناس فأفنيتهم وأبرت عترة التابعين (قتلتهم بإطعام الإبر) فَتبرتهم[٥٦٨] وأطعت المخلوق فى معصية الخالق ، وأهرقت الدماء وضربت الأبشار وهتكت الأستار وسُسْتَ سياسة متكبر جبار ، لا الدين أبقيت ولا الدنيا أدركت ، أعززت «بنى مروان» وأذللت نفسك ، وعمرت دورهم وأخربت دارك ، فاليوم لاينجونك ولا يغيثونك إذ لم يكن لك فى هذا اليوم ولما بعده نظر ، لقد كنت لهذه الأمة اهتماما واغتماما وعناء وبلاء فالحمد لله الذى أراحها بموتك وأعطاها مناها بِخزْيك .

قال الراوى : فكأنما قطع لسانه عنه فلم يحر جوابا وتنفس الصعداء وخنقته العبرة ثم رفع رأسه فأنشد يقول :

رَبّ إنّ العبـــــاد قد أيـــــــأسونى
وَرَجـــــائى لك الغـــــــداة عظيم

ثم قابل ربا كريما .

---

(٥٦٧) النزع معالجة خروج الروح من الجسم .
(٥٦٨) أهلكتهم

دعاء «شعيب» عليه السلام

روى الحافظ النسفى بإسناده عن الزهرى، عن «أبى سلمة» عن «أبى هريرة» قال : «مر رسول الله ﷺ برجل ساجد وهو يقول فى سجوده : اللهم إنى أستغفرك وأتوب إليك من مظالم كثيرة لعبادك قبلى ، فأيما عبد من عبادك أو أمة من إمائك كانت له قبلى مظلمة ظلمتها إياه فى مال أو بدن أو عرض ، علمتها أو لم أعلمها ، ولم أستطع أن أتحللها ، فاسألك أن ترضيه عنى بما شئت وكيف شئت ، ثم تهبها إلى من لدنك ، إنك واسع المغفرة وبيدك الخير كله ، ياربى ماتصنع بعذابى ورحمتك وسعت كل شىء فلتعمنى رحمتك فإنى لاشىء ، وأسألك ياربى أن تكرمنى برحمتك ولا تهنى بذنوبى ، وماعليك أن تعطينى الذى سألك ياربى يا الله ؟ فقال له رسول الله ﷺ : ارفع رأسك فقد غفر الله لك . إن هذا الدعاء دعاء أخى «شعيب» عليه السلام) .

الشجاعة والشجعان

قال الله تعالى على لسان إحدى ابنتى الشيخ الكبير : ﴿**ياأبَتِ استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين**﴾[٥٦٩] .

قال «أكثم بن صيفى» : من التوانى والعجز نتجت الهلكة ، وقالوا : أشعر قلبك الجرأة فإنها سبب الظفر ، واحرص على الموت توهب لك الحياة . وقالوا : التفكير فى عواقب الحرب من إمارات العجز ، والتهور فيه من علامات الجزع . وقال حكيم : تجرع من عدوك الغصة ، إلى أن تجد الفرصة ، فإذا وجدتها فانتهزها قبل أن يفوتك الدرك فإنما الدنيا دول تقلبها الأقدار ويهدمها الليل والنهار .

ولما أحيط بمروان بن محمد الجعدى قال : والهفاه على دولة ما نصرت ،

---

٥٦٩) سورة «القصص» الآية (٢٦) .

وكف ماظفرت ، ونعمة ماشكرت ، فقال له : رجل من أشراف الروم : من أغفل الصغير حتى يكبر ، والقليل حتى يكثر ، والخفى حتى يظهر ، أصابه ماأصابك .

وقال حكيم : جسم الحرب الشجاعة ، وقلبها التدبير ، ولسانها المكيدة ، وجناحاها الطاعة ، وقائدها الرفق ، وسائقها النصر .

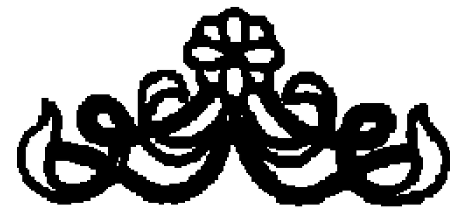
فى التوانى والعجز

قال المعافى :

إن التــوانى أنكـــح العجـــز بنتـــه
وساق إليها حين أنكحهـــــا مهـــــراً
فراشاً وطيئـــــاً ثم قال لها : اتكـــــى
رويـــد كما لاشك أن تلــــدا فقـــرا

وقال «أبو العجلى» :

ليس المروءة أن تبـــــيت منعمـــــــا
وتظـــــل معتكفـــا على الأقــــــداح
ما للرجـــــــال وللتنعـــــــــم إنما
خلقـــوا ليـــوم كريهة وكفـــــاح



(٥٧٠) المقصود : الشراب

الباب الثاني

قطوف من النوادر الأدبية

قطوف من النوادر الأدبية

مع الجاحظ فى نوادره

قال «الجاحظ» : دخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما فى هيئة حسنة ، فسلمت عليه فرد على أحسن رد ورحب بى ، وباحثته فى القرآن فإذا هو ماهر فيه ، ثم تفاتحنا الفقه والنحو وأشعار العرب ، فإذا هو كامل الآداب ، فقلت سأختلف إليه[٥٧١] وأزوره .

وجئت يوما لزيارته فإذا بالكتاب مغلق ولم أجده ، فسألت عنه فقيل إنه مات له ميت فحزن عليه وجلس فى بيته .

فذهبت إلى بيته وطرقت الباب فخرجت لى جارية فقالت : ماتريد ؟ قلت : سيدك فدخلت وخرجت وقالت : باسم الله فدخلت إليه وإذا به جالس ، فقلت : عظم الله أجرك **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾**[٥٧٢] **﴿كُل نفس ذائقة الموت﴾**[٥٧٣] فعليك بالصبر. ثم قلت له: هذا الذى توفى ولدك ؟ قال : لا . قلت : فوالدك ؟ قال : لا. قلت : فأخوك ؟ قال : لا. قلت : فأختك ؟ قال : لا. قلت : فزوجتك ؟ قال : لا. فقلت : فمن هو ؟ قال : حبيبتى ، فقلت فى نفسى هذه أولى العجائب ،
.. سبحان الله ، النساء كثير وستجد غيرها ، فقال : أتظن أنى رأيتها ؟ قلت : وهذه العجيبة الثانية ، ثم قلت : وكيف عشقت من لم تر ؟ فقال : أعلم أنى كنت جالسا فى هذا المكان وأنا أنظر من الطاق إذ رأيت رجلا عليه بُرد وهو يقول :

يا أُمّ عمـــــرو جزاك الله مَكْرُمـــــةً (٥٧٤)
رُدى على فؤادى أينما كانـــــــــا

---

(٥٧١) اختلف إليه : أتردد عليه .

(٥٧٢) الأحزاب : ٢١

(٥٧٣) آل عمران : ١٨٥

(٥٧٤) وفى رواية أخرى : ياأم عمرو جزاك الله مغفرة:ردى على فؤادى مثلما كانا

فقلت فى نفسى لولا أن أم عمرو هذه ما فى الدنيا أحسن منها ماقيل فيها هذا الشعر ، فعشقتها ، فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول :

لقــــد ذهب الحمـــــارُ بأم عمـــــرو
فلا رَجــــعَتْ ولا رَجَــــعَ الحِمـــــارُ

فعلمت أنها ماتت ، فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست فى الدار ، فقلت : ياهذا ، إنى كنت قد ألفت كتابا فى نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيع الكتاب ، والآن قد قويت عزمى على إبقائه ، وأول ماأبدأ بك إن شاء الله .

أريدُ واحدةً أخَفّ

وتنبأ رجل فى أيام «المأمون» وادعى أنه «إبراهيم الخليل» .

فقال «المأمون» : إن «إبراهيم» كانت له معجزات وبراهين قال : ومابراهينه ؟ قال : أُضرمت النار له وألقى فيها فصارت برداً وسلاماً ونحن نُوقدُ لك ناراً ونطرحك فيها ، فإن كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك .

قال : أريد واحدة أخف من هذه ، قال : فبراهين «موسى» ، قال : ومابراهينه ؟ قال : ألقى عصاه فإذا هى حية تسعى ، وضرب البحر بها فانفلق ، وأدخل يده فى جيبه فأخرجها بيضاء . قال : وهذه على أصعب من الأولى ؛ قال فبراهين «عيسى» ، قال : وماهى ؟ قال : إحياء الموتى . قال : مكانك وصلت ، أنا أضرب رقبة القاضى «يحيى بن أكثم» وأحييه لك الساعة ، فقال «يحيى» : أنا أول من آمن بك وصدق .

أفضل النساء

سئل أعرابى فى النساء ــ وكان ذا تجربة وعِلْم بهن ــ فقال : أفضل النساء أطوَلُهن إذا قامت(٥٧٥) ، وأعظمهن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت :

---

(٥٧٥) تبدو للرائى طويلة عند قيامها .

التي إذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكت تبسمت[٥٧٦] ، وإذا صنعت شيئاً جوَّدت[٥٧٧] ، التى تطيع زوجها ، وتلزم بيتها ، العزيزة فى قومها الذليلة فى نفسها ، الوَدود الولُود ، وكل أمرها محمود .

«بهلول» المجنون

روى أن الصبيان حملوا[٥٧٨] على «بهلول»[٥٧٩] المجنون فألجئوه إلى دار مفتوحة ، فولجها[٥٨٠] فوجد فيها قوما وبين أيديهم مائدة من أنواع الأطعمة ، ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين ، فرجع وأغلق الباب ودخل وهو يقرأ ﴿**فضربَ بَيْنَهُم بسُورٍ لهُ باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب**﴾[٥٨١] . وتبعه الصبيان يوماً فألجئوه إلى دار فرأى فيها رجلا ضخما بضفيرتين فقال : ﴿**ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا**﴾[٥٨٢] فخرج الرجل وأغلق الباب وحماه من الصبيان .

(٥٧٦) لا يكون ضحكها إلا تبسما .

(٥٧٧) أتقنت ما تعمله فى صورة جيدة .

(٥٧٨) حملوا عليه : كروا عليه وهجموا

(٥٧٩) بهلول : أحد المجاذيب الذين اشتهروا فى عهد «الرشيد» ، وكان يحبه ويعطف عليه ، وتعجبه بعض حكمه العلوية !!

(٥٨٠) ولجها : دخلها واقتحمها

(٥٨١) سورة «الحديد» الآية (١٣)

(٥٨٢) سورة «الكهف» الآية (٩٤)

من نوادر السلف

تحاكم «الرشيد» و«زبيدة» إلى «أبى يوسف»[٥٨٣] فى الفالوذج واللوزينج[٥٨٤] أيهما أطيب ؟ فقال «أبو يوسف» : أنا ألا أحكم على غائب ، فأمر «الرشيد» بإحضارهما وقدما بين يدى «أبى يوسف» فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الإناءين ثم قال : ياأمير المؤمنين مارأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لأحدهما أتى الآخر بحجته .

يَبُولُ فى الفراش !!

ورفعت امرأة قضيتها مع زوجها إلى القاضى تبغى الفرقة ، وزعمت أنه يبول فى الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضى : ياسيدى لاتعجل حتى أقص عليك قصتى ، إنى أرى فى منامى كأنى فى جزيرة فى البحر وفيها قصر عال وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل ، وأن الجمل يطأطىء برأسه ليشرب من البحر فلما رأيت ذلك بُلْتُ من شدة الخوف ، فلما سمع القاضى ذلك بال فى ثيابه وقال : ياهذا أنا قد أخذنى البول من هول حديثك فكيف بمن يرى الأمر عيانا !! ..

الأعرابى وقسمة الدجاج

قال «أبو الحسن» : حدثنى أعرابى كان ينزل بالبصرة فقال : قدم أعرابى من البادية فأنزلته وكان عندى دجاج كثير ولى امرأة وابنان وابنتان منها ، فقلت لامرأتى : بادرى واشوى لنا دجاجة وقدميها لنا نتغدى ..

فلما حضر الغداء جلسنا جميعاً أنا وامرأتى وابناى وابنتاى والأعرابى فدفعنا

---

(٥٨٣) قاضى القضاة ، وصاحب كتاب الخراج وأحد أعمدة المذهب الحنفى وأحد صاحبى أبى حنيفة النعمان .

(٥٨٤) اللوزينج : نوع من الحلواء شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز (المنجد) أما الفالوذج فهى حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل .

له الدجاجة وقلنا له : اقسمها بيننا ــ نريد أن نضحك منه ــ ، فقال : أنا لأحسن القسمة ، فإن رضيتم بقسمتي قسمتها بينكم ، قلنا : فإنا نرضى ، فأخذ رأس الدجاجة فقطعها فناولنيه وقال : الرأس للرئيس ، وقطع الجناحين وقال : الجناحان للابنتين ، ثم قطع الساقين فقال الساقان للابنين ، ثم قطع ذنبها وقال : العجز للعجوز ، ثم قال : الزور للزائر ، وأخذ الدجاجة بأسرها وسخر بنا .

فلما كان الغد قلت لامرأتي : اشوى لنا خمس دجاجات ، فلما حضر الغداء قلت : اقسم بيننا ، قال : إني أظن أنكم وجدتُم (حزنتم) فى أنفسكم ؟ قلنا : لا . اقسم . قال : أقسم شفعا أو وترا ؟ قلنا : اقسم ، وترا قال : أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى إلينا دجاجة ثم قال : وابناك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى إليهما بدجاجة ثم قال : وابنتاك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى إليهما بدجاجة ، ثم قال : أنا ودجاجتان ثلاثة ، وأخذ دجاجتين وسخر بنا . ثم رآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه فقال : ماتنظرون لعلكم كرهتم قسمة الوتر فهل لكم فى قسمة الشفع ؟ قلنا : نعم ، فضم الدجاج إليه ثم قال : أنت وابناك ودجاجة أربعة ، ورمى إليهم بدجاجة ، ثم قال : والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة ، ورمى إليهم بدجاجة ، ثم قال أنا وثلاثة دجاجات أربعة ، وضم إليه الثلاث ورفع يديه إلى السماء وقال : اللهم لك الحمد أنت فهمتنيها !!

ذكاء امرأة

نظر رجل إلى امرأته وهى صاعدة فى السلم فقال لها : أنت طالق إن صعدت ، وطالق إن نزلت ، وطالق إن وقفت ، فرمت نفسها إلى الأرض ، فقال لها : فداك أبى وأمى إن مات الإمام «مالك» احتاج إليك أهل المدينة فى أحكامهم .

من نوادر النحاة

قال رجل نحوى لابنه : إذا أردت أن تتكلم بشيء فاعرضه على عقلك وفكر فيه بجهدك حتى تُقَومه ثم أخرج الكلمة مُقوَّمَةً ، فبينما هما جالسان فى الشتاء والنار تتقد وقعت شرارة فى جبته وهو غافل عنها والابن يراه فسكت ساعة يفكر ثم قال : ياأبت ، أريد أن أقول لك شيئا أفتأذن لى فيه ؟ قال أبوه : إن حقا فتكلم(٥٨٥) . قال : أراه حقا ، فقال : قل . قال : إنى أرى شيئا أحمر على جبتك ، قال : ماهو ؟ قال : شرارة وقعت على جبتك ، فنظر أبوه إلى جبته وقد احترق منها جزء كبير فقال للابن : لِمَ لَمْ تُعلمنى به سريعا ؟ قال : فكرت فيه كما أمرتنى ، ثم قومت الكلام وتكلمت به ، فنهره وقال له : لاتتكلم بالنحو أبداً .

هل المرأة شر ؟

تزوج رجل امرأة قصيرة فقيل له : لم تزوجتها قصيرة ؟ فقال : إن المرأة شر وكلما قللت من الشر كان خيراً .

من نوادر الأعراب

رؤى أعرابى يتغوط ويأكل ويفلّى ثوبه ، فقيل له : ماهذا ؟ فقال : أخرج عتيقاً ، وأدخل جديداً ، وأقتل عدواً .

من نوادر المغفلين

تذاكر جماعة فى فوائد الأعضاء ومنافعها فقالوا : الأنف للشم ، والفم للأكل ، واللسان للكلام ، فما فائدة الأذن ؟ ولما لم يفتح الله تعالى عليهم بمعرفة

(٥٨٥) أى إن كان حقا ماتريد قوله فتكلم .

فائدتها أجمعوا على الذهاب لبعض القضاة يسألونه ، فلما ذهبوا وجدوه فى شغل ، فجلسوا على بابه ، وإذا هناك خياط قد وضع خيطا على أذنه ، فقالوا : أتانا الله تعالى بالجواب إنما خلقت الآذان للخيوط ، وانصرفوا مسرورين بمااستفادوا .

عَبَر النهر سباحةً

ويَحكي أن رجلا احتلم ليلة فى وقت بارد وكره أن ينغمس فى الماء البارد ، وطلب شيئا يسخن فيه الماء ، فلم يجد ، فنزع ثوبه وعبر النهر سباحة ليبحث عن إناءٍ حتى وجد شيئا يسخن فيه الماء فرجع سباحة ثم سخن فيه الماء واغتسل .. !!

معلم الصبيان

ومر رجل بمعلم صبيان يضربونه وينتفون لحيته ، فتقدم ليخلصه فمنعه وقال له : دعهم فإن بينى وبينهم شرطا إن سبقتهم إلى المدرسة ضربتهم ، وإن سبقونى ضربونى ، واليوم غلبنى النوم فتأخرت ، ولكن والله لأبكرن غدا من نصف الليل، وستنظر فعلى بهم ، فالتفت إليه صبى وقال: أنا أبيتُ الليلة ههنا حتى تجيء وأضربك .

العذاب وهلاك الصالح والطالح

وقالت امرأة لمعلم ولدها : إن هذا الصبى لا يطيعنى وأريد أن تخوفه ، فأخذ المعلم لحيته وألقاها فى فمه وحرك رأسه وصاح صيحة شديدة فصرخت المرأة من شدة الفزع وقالت : إنما قلت لك خوِّف الصبى ليس إلا ، فقال لها : ياحمقاء إن العذاب إذا نزل هلك الصالح والطالح .

رقبة الثعالب

وعض ثعلب أعرابيا فأتى راقيا فقال له : ماعضك ؟ فقال : كلب ، واستحى أن يقول ثعلب ، فلما ابتدأ بالرقية قال له واخلط بها شيئا من رقية الثعالب .

يتيم !!

ومرت عنزة يتبعها جمل فقال الرجل لآخر . هذا الجمل من هذه العنزة ؟ فقال : لا.ولكنه يتيم فى حجرها(٥٨٦) .

التفصيل

وسأل رجل فقيها فيه غفلة فقال له : أيجوز أن يتزوج المرأة ابنها ؟ فقال له : فى ذلك تفصيل : إن كانت بكرا جاز. وإن كانت ثيبا لا يجوز ، فقال : ماسمعت هذا التفصيل أبدا ..

خرق ذَنَبِى

ودخل رجل على آخرين وطرف جبته مخرق ، فسألوه عن سبب ذلك ، فقال : اخْتَرَقْت الطريق وكان فيه كلب فوطئت جبته فخرق ذَنَبِى .

ضربته معهم

وقال رجل : مررت بقوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه ، فقلت لرجل منهم : ماحال هذا الذى تضربونه ؟ فقال : ما أدرى ما حاله ولكن رأيتهم يضربونه فضربته معهم لله عز وجل وطلبا للثواب .

---

(٥٨٦) يقال فى حجره أى فى كنفه ورعايته .

الناس والبهائم عندى سواء !!

وأمر والٍ بجلد شاةٍ الحدَّ .فقيل له : إنها بهيمة ، قال : الحدود لاتُعَطَّل والناس والبهائم عندى سواء فى الحق ، ولو وجب الحد على بهيمة وكانت أمى أو أختى لحَددتُهما ولا تأخذنى فى الله لومة لائم .

نحن قوم لنا شرف

وقال رجل : نحن قوم لنا شرف ، نحن من عنزة ، وقد صلى النبى ﷺ إلينا ، توهم أنه صلى إليهم ، وإنما العنزة(٥٨٧) التى صلى إليها النبى ﷺ هى حَرْبة كانت تحمل بين يديه فتنصب فيصلى إليها(٥٨٨) .

من هذا ؟

وقال «الدارقطنى» : سمعت رجلا أسند حديثا عن النبى ﷺ عن جبريل عن الله عن رجل فقلت : من هذا الذى يصلح أن يكون شيخ الله ، فإذا هو قد صحفه(٥٨٩) لأن الحديث عن الله عز وجل .

جنابات الشتاء

ورؤى أعرابى يغطس فى البحر ومعه خيط وكلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له : ماهذا ؟ قال : جنابات الشتاء أقضيها فى الصيف .

---

(٥٨٧) تقوم هذه النادرة على التلاعب بالألفاظ : فالعنز والعنزة بسكون النون الأنثى من المعز أماالعنزة بفتح الزاى فهى شبيه العكاز لها زج من أسفلها .

(٥٨٨) لتكون حائلا بينه وبين من يمر أمامه حتى لايقطع عليه صلاته ﷺ .

(٥٨٩) التصحيف : الخطأ فى قراءة الكلمة ، أو تحريفها عن وضعها ، ومادام عن الله فهو حديث قدسى .

أحسن الله عزاءكم

ودخلت امرأة على جماعة تعزيهم فى ميت لهم ، فرأت فى الدار عليلا فقالت : أنا يشق على المشى أحسن الله عزاءكم فى هذا أيضا .

طريقة مبتكرة

وكتب رجل خطابا لأبيه وبحث عمن يرسله معه فلم يجد فأخذ الخطاب ، وسار إلى أبيه ، فسلمه إليه وقال : كرهت أن يبطىء عليك .

فضل المؤذن

سمع مؤذن فضل المؤذن ، وأن له فى الجنة مدى صوته ، فكان يؤذن ثم يعدو فقيل له : إلى أين ؟ فقال : أحب أن أعرف إلى أين يبلغ صوتى ؟!

فصاحة أعرابى

قال «الأصمعى» خرج «الفضل بن يحيى»(٥٩٠) إلى الصيد يوما وأنا معه فبينما هو فى البرية إذ نظر إلى إنسان راكب على ناقة وهى تسرع به فقال «الفضل» : إن صدق ظنى ولم يكذب فهذا الرجل قاصد إلينا ، ثم ضيق الفضل لثامه(٥٩١) ، فلما قرب الرجل من «الفضل» نزل عن ناقته وعقلها والتفت إلى «الفضل» وقال : السلام عليك ياأمير المؤمنين ، فقال «الفضل» : وعليك السلام ولست بأمير المؤمنين ، فقال : السلام عليك أيها الوزير ، فقال : وعليك السلام الآن قاربت ، اجلس ياأعرابى من أين أقبلت ؟ قال : من أرض قضاعة ، قال : ومن قصدت بالعراق ؟ قال : هؤلاء

---

(٥٩٠) «الفضل بن يحى البرمكى»

(٥٩١) ضيق لثامه حتى لاترى إلا عينيه ، فلا يعرف .

البرامكة . قال له : يأخا العرب البرامكة خلق كثيرون فمن قصدت منهم ؟ قال : أطولهم باعا وأسمحهم كفا وأظهرهم كرما «الفضل بن يحيى» فقال : يأخا العرب إن «الفضل» جليل القدر لايحضر مجلسه إلا العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء أعالم أنت ؟ قال : لا ، قال : أأديب أنت ؟ قال : لا ، قال : أعارف أنت بأيام العرب وأنسابها وأخبارها ونوادرها ؟ قال : لا ، قال : يأخا العرب لقد خَدَعَتْك نفسك فبأى شيء مثلك يقصد «الفضل» فى جلالته ؟ قال : والله ماقصدته من ثمانمائة فرسخ إلا لإحسانه وبيتين من الشعر قلتهما فيه ، فقال له : إن بيتى شعر تقصد بهما «الفضل» لجليلان فأنشدنيهما ، فإن كانا جيدين أشرت عليك بذلك ، وإن لم يكن شعرك جيداً أعطيتك شيئا من مالى وأرجعتك إلى دارك مسروراً ، قال : أَوَ فاعل أنت أيها الأمير ؟ قال : نعم ، فأنشد الأعرابى :

أَلَــمْ تر أن الجودَ مِنْ صُلْب آدم
تَحَــدَّر حتــى صار يَمْلِكُــهُ الْــفَضلُ
ولــو أُمّ طفــل مَضَّهــا جوع طفلهــا
فَغَذَّتْــهُ باسم الــفضل لاستَطعــم الطِّفْــلُ

قال له : أحسنت يأخا العرب ، فإن قال لك:إنهما مسروقان وقد سمعتهما فأنشد غيرهما .. قال : نعم ، أقول :

قد كان آدَمُ حين حانَ وفاتــه
أَوْصاه وهــو يجود بالْحَوْبــاء (٥٩٢)
ببنيــه أن ترعاهُــمُ فَرَعَيْتَهُــم
وكَفَــيْتَ آدم عَيْلَــةَ الأَبْنــاء

فقال «الفضل» : ماأحسن ماقلت.. فإن قال لك ممتحن هذان أخذتهما من أفواه الناس فأنشدنى غيرهما وأنت بحضرته قد رمقتك الأدباء بأبصارهم .. فقال : نعم أقول :

---

(٥٩٢) الحَوْباء : النَّفس.

مَلَّت توابـــــعُ فَضْل وَزْن نائِلِــــــه
ومـــلَّ كُتّابـــه إحصاء مايَـــــهبُ
وإنـــه لولاك لَمْ يَمْـــدح بمكرمـــة
ثانٍ ولم يكـــتسب مَجْـــد ولا حَسَبُ

فقال «الفضل» : أحسنت ، ولكن «الفضل» رجل متعنت بصير بالأشعار وأخشى عليك أن يقول هذان مسروقان .. قال نعم أقول :

ومـــا النـــاس إلا آثنـــان صب وبـــاذل
وإنى لذاك الصب والبـــاذِلُ الـــفَضْل
على أن لى مثـــلا إذا ذكـــر الـــورى
ولَـــيْس لِلْـــفَضْل فى سَماحَتِـــهِ مِثْـــلُ

فقال «الفضل» : أحسنت ، فإن قال ممتحنا أنشدنا على الكنية لا على الاسم .. قال والله أقول ساعتئذ :

ألا يا «أبـــا العبـــاس» يا واحـــد الـــورى
ياملكـــا خَدُّ الملـــوك له نَعْـــل
إلـــيك تسيـــرُ النـــاس من كُلِّ بَلْـــدَةٍ
فُرادى وَأُزْواجـــا كَأَنَّهُـــم النمل

فقال «الفضل» : أحسنت فإن قال لك أيضاً هذان مسروقان ماتقول ؟ قال : إن قال ذلك وزاد فى امتحانى لأقولن فيه أربعة أبيات ماسبقنى إليها عربى ولا عجمى ، فإن قال لى: إنها مسروقات وليست لك جعلت قوائم ناقتى فى بطن أمه ورجعت إلى قضاعة خائبا ، فنكس «الفضل» رأسه وقال أنشدنى الأبيات فقال :

ولائمـــةٍ لامَـــتك يافضل بالعطـــا
فَقُـــلْتَ لها هل يَنْفَـــع اللَّـــوْم فى البَخْـــر
أتنهين فَضْلا عن عطايـــاهُ لِلْـــورى
ومـن ذا الـذى ينهى السَّحاب عن الْقَطْـــر

مواقِـعُ جُودِ الـفَضْل فى كُلِّ بَلْـدَةٍ
كَمَوْقـع ماءِ المُـزْنِ فى مهمـه قفـر[٥٩٣]
كَأَنَّ وفـودَ النـاس من كلِّ وُجْهَـةٍ
إلى «الفضل» لاقوا عنده ليلة القَـدْر

قال: فضحك «الفضل» حتى سقط على وجهه ثم رفع رأسه وقال: ياأخا العرب أنا «الفضل» فاطلب ماشئت .. قال : أول حاجتى أن تقيلنى من عثرتى ، قال : قد عفوت عنك ، فَسَلْ حاجتك ، قال : عشرة آلاف درهم لأكيد بها عدوى ، وأسر بها صديقى ، فقال «الفضل» : أعطوه عشرة آلاف درهم لشعره وعشرة الآف لطول سفره وعشرة الآف لقصده إلينا ، وعشرة آلاف يعود بها إلى أهله ، وعشرة آلاف لقوائم ناقته ، فأخذ الأعرابى المال وانصرف وهو يبكى ، فقال له «الفضل» : مِمَّ بكاؤك أستحقرت ما أعطيناك ؟ فقال : لا والله ولكن أبكى على مثلك كيف يأكله التراب ثم أنشد :

لَعَمْـرك ما الرَّزِيَّـة فقَـدُ مال
ولا فَرس يَمُـوت ولا بعيـرُ
ولكِـنَّ الرزيـة فقـد شَخْص
يَمُـوت لِمَوتِـهِ خَلْـقٌ كَثِيـرُ

حيلة لص

اجتمع جماعة من اللصوص فاجتاز عليهم شيخ[٥٩٤] صيرفى معه كيسه فقال أحدهم : ماتقولون فيمن يأخذ كيس هذا ؟ قالوا : كيف يقع هذا ؟ قال انظروا ؛ ثم تبعه إلى منزله فدخل الشيخ فوضع الكيس على الصفة[٥٩٥] وقال

(٥٩٣) مهمه : مفرد ، جمعها مهامه ، وهى الأرض الشاسعة الخالية من كل أثر للحياة .
(٥٩٤) اجتاز عليهم : مر بهم . صيرفى يتاجر فى العملة .
(٥٩٥) الصفة : مصطبة مرتفعة ضيقة .

لجاريته هاتى لى شيئا ، ثم صعد إلى الغرفة فدخل اللص فأخذ الكيس وجاء إلى أصحابه فحدثهم فقالوا : ما عملت شيئا .. تركته يضرب الجارية ويعذبها وماهذا مليح ! قال : فكيف تريدون ؟ قالوا : تخلص الجارية من الضرب وتأخذ الكيس ، قال : نعم ، فمضى وطرق الباب فإذا به يضرب الجارية فقال : من ؟ فقال : سيدى يسلم عليك ويقول لك ترمى كيسك فى الدكان وتمضى !! ولولا أننا رأيناه كان قد أُخِذ ، فأخرج الكيس وقال : أهذا هو ؟ قال : نعم والله صدق ، ثم أخذه فقال له : بل أعطنيه وادخل فاكتب فى رقعة : (قد تسلمت الكيس) حتى أتخلص أنا ويرجع إليك مالك ، فناوله إياه ودخل ليكتب ، فأخذه اللص ومضى !!

حيلة متنبىء فى الخلاص

تنبأ رجل فى زمن «المأمون» فلما مثل بين يديه قال له : من أنت قال : (أحمدُ النبىُّ) قال : لقد ادعيت زوراً ، فلما رأى الشرطة أحاطت به قال : ياأمير المؤمنين (أنا أحْمَدُ النبى فهل تَذمه أنت) ؟ فضحك «المأمون» منه وخلى سبيله .

من نوادر العرب

تنبأ رجل اسمه « نوح » فكان له صديق نهاه فلم يقبل ، فأمر السلطان بقتله فلما صُلِبَ مرَّ به صديقه فقال له : يا« نوح » ماحصَّلت من سفينتك إلا على الصارى تُصْلَبُ عليه .

أنتم أحق منى بالسؤال

ووقف سائل بباب فقالوا : يفتح الله لك . فقال : كِسْره ، فقالوا : لانَقْدر عليها ؛ قال : فقليل من بُر أو فول أو شعير . قالوا : لانقدر عليه ، قال : فَقِطْعَة من دُهن أو قليل من زيت أَوْ لَبَن . قالوا : لانَجِدهُ ، قال : فَشَربة ماء ، قالوا : ليس عندنا ماء ؛ قال : فما جُلُوسكم هاهنا قوموا فَآسْأَلُوا فأنتم أَحَقّ منى بالسؤال .

من نوادر البخلاء

قال بعض البخلاء لابنه : يابنى اعلم أن لفظ «لا» يمنع البلا ولفظ «نعم» يزيل النعم .

وقيل لبخيل : من أشجع الناس ؟ قال : من يسمع وقع أضراس الناس فلا تَنْشَقّ مرارته .

وقيل لأبى الأسود الدؤلى — وكان بخيلا : أنت ظَرْفُ عِلْم فَلِمَ تكون بخيلا .. ؟؟ فقال : لاخَيْر فى ظرف لايحفظ مافيه ...

من نوادر البخلاء

قال «دِعْبِل الْخُزاعى»(٥٩٦) : أتيت بخيلا فى حاجة فأطلت الجلوس عنده فأخر غدَاءه لقيامى ، فجلست على عمد حتى أمضهُ الجوع ، فقال : ياغلام غدَاءنا ، فجاء بمائدة وعليها قصعة فيها مرق وديك، ليس قبلها ولا بعدها غيرها ، فاطلع فى القصعة ففقد رأس الديك فقال للغلام : أين الرأس ؟ قال : رميت به ، قال : ولم رميت به ؟ قال : ظننتك لا تأكله ، قال : فهلا ظننت أن العيال يأكلونه ؟ ثم التفت إلى وقال : لقد تشاءمت مما صنع الغلام . فإنهم يقولون الرأس للرئيس وفيه الحواس الأربع ومنه يصيح الديك وفيه عرفه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بها المثل فى الصفاء ، ودماغه موصوف لوجع الكليتين ، ولم أر عظما قط أهش تحت ضرس من دماغ ديك ، ويلك انظر أين رميته !! قال : لاأدرى ؛ قال : لكنى أدرى أين رميته !! رميته فى بطنك ، الله حسيبك !

بخيل مع أولاده

ورفعت من بين يدى أحد البخلاء المائدة وعليها دجاجة صحيحة قد أخذ منها بعض بنيه جناحا ، فلما أعيدت عليه بالغداء قال : من هذا الذى تعاطى

---

(٥٩٦) شاعر هجّاء .

فعقر ؟[٥٩٧] فقيل له : ابنك الصغير ، فقطع الطعام عن كل بنيه من أجله ، فلما طال ذلك منه وأضرَّهم الجوع جاء أكبرهم وقال : ياأبانا أَفَتُهْلِكُنا بما فَعَلَ السُّفهاءُ مِنّا !![٥٩٨] فأعجبه ذلك وَرَدَّ عليهم الطعام .

واسطة شَرّ

وقع بين رجل وامرأته وحْشَة وسوء تفاهم فسأل بعض أصحابه أن يرضيها عنه ويصلح بينهما ، فدخل الرجل وقال : إن أبا محمد (يعنى زوجَها) شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عَمَشُ عينيه ، وَدقَّة ساقَيْه ، وضعف ركبتيه ، ونَتَنُ إبطيْه وبَخَرُ[٥٩٩] فيه وجمود كفيه[٦٠٠] فقال له الزوج : قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبى مالم تكن تعرف .

الشجاعة بالأفعال لا بالأقوال

مر سائحان بغابة فقال أحدهما للآخر : لا تخش شيئا ياأخى فإنه إذا هاجمنا وحش تعاونا على قتله .

واعلم أنى قوى العضل ، قوى القلب ، ولم يكد يفرغ من قوله حتى سمع صوت دب فأسرع إلى شجرة فتسلقها بخفة وترك صاحبه ، ولكن الآخر كان حاضر الذهن فطرح نفسه على الأرض ، وأخفى نفسه ، فجاء الدب وشمه ووضع فاه على فيه وأذنه فتماوت الرجل ، فتركه الدب ، فنزل صاحبه وقد علاه الخجل ، فقال : ماالذى أخبرك به الدب حينما وضع فاه على أُذُنك ؟ فأجابه بقوله : أَسَرَّ الى أن لا أثق بفخور مثلك ، فإن الشجاعة بالأفعال لا بالأقوال !

---

(٥٩٧) اقتباس من الآية الكريمة : ﴿فتعاطى فعقر﴾ (القمر : ٢٩) ويقال : عقر الناقة أى قطع قوائمها . ويقول الطبرى فى تفسير قول الله تعالى : فتعاطى فعقر فتناول الناقة بيده فعقرها .

(٥٩٨) اقتباس من الآية الكريمة : ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ (الأعراف : ١٥٥) .

(٥٩٩) بَخَرُ الفم : رائحته الكريهة .

(٦٠٠) بخله .

حسن التخلّص

يحكى أن «الاسكندر» ماكان يدخل مدينة عنوة إلا هدمها وقتل من فيها ، فدخل مدينة فيها مؤدّب له ، فلما رآه عظمه وأكرمه وأكبره ثم قال : ماجاء بك ؟ فقال : أيها الملك إن أحق من أعانك على أمرك لأنا ، وإن أهل هذه المدينة أبوا طاعتك وطمعوا فيك لمنزلتى عندك وأحب أن لاتَشفعنى فيهم وأن تخالفنى فى كل ماأسألك فيه من أمرهم ، فلما سمع «الاسكندر» مقالته ظن أنها نصح له وأن غرض المعلم وافق غرضه فسر به ، فلما رأى المعلم سرور «الاسكندر» طلب منه العهد على ذلك ، فعاهده ، فلما استوثق منه قال : أيها الملك إنى أرى من الرأى أن تهدم هذه المدينة وتقتل أهلها ! فقال «الاسكندر» لاسبيل إلى ذلك ولابد من مخالفتك لمكان عهدى معك ، ثم ارتحل عنها .

«عمر» والأسير

وروى أن «عمر» رضى الله عنه أمر بقتل أسير من الكفار شكا إليه العطش فطلب له الماء فلما تناوله أظهر رعشة فى يده ليوهم أنها من خوف «عمر» ، فقال له «عمر» : لابأس عليك حتى تشرب ، فرمى الإناء من يده فكسره ، فأمر «عمر» بقتله فقال : أو ليس قد أعطيتنى الأمان ، قال : متى ؟ قال : ألست قلت : لابأس عليك حتى تشرب ولم أشرب ، فقال «عمر» : قاتله الله قد أخذ منا الأمان ولم نشعر ..

حسن التخلص

قيل : إن ملكا من ملوك الفرس قرب إليه طباخه طعاما فوقعت منه نقطة على المائدة فأعرض الملك عنه إعراضا تحقق به الطباخ قتله ، فعمد إلى الإناء فكفأه على المائدة ، فقال الملك : ماحملك على مافعلت وقد علمت أن سقوط

النقطة أخطأت بها يَدُك ؟ قال : استحييت أن يسمع الناس عن الملك أنه استوجب قتلى واستباح دمى مع قديم خدمتى ولزومى حرمته فى نقطة واحدة أخطأت بها يدى ، فأردت أن يعظم ذنبى ليحسن بالملك قتلى ويعذر فى قتل من فعل مثل فعلى ، فعفا عنه وأمر بإجازته ووصْله !

«إنك خالى»

وأُسَرَ «معاوية» رضى الله عنه «عمر بن أوس الأزدى» وكان من أصحاب «على» يوم صفين فقدمه لاقتل فقال : لاتقتلنى فإنك خالى ، فقال : من أين أنا خالك ولم يكن بيننا وبينك مصاهرة ؟ فقال : إن أخبرتك تعف عنى ؟ قال : نعم قال : أليست أختك «أم حبيبة»[٦٠١] أم المؤمنين ؟ قال : بلى ، قال : فأنا ابنها وأنت أخوها ، فاستظرف منه ذلك ثم خلى سبيله ..

«مَعْن بن زائدة» وضيوفه

وعزم «معن بن زائدة» على قتل جماعة من الأسرى فلما مثلوا بين يديه قام أصغرهم فقال : أيها الأمير أتقتل أسراك وقد جاعوا وعطشوا ؟ فأمر لهم بطعام وشراب ، فلما أكلوا وشربوا قام إليه وقال : أيها الأمير أتقتل ضيوفك ؟ فحلم عليهم وخلى سبيلهم .

ذكاء «إياس»[٦٠٢]

وأودع رجل ماله عند آخر ثم طلبه منه فجحده فشكا إلى «إياس» فقال

(٦٠١) اسمها : «رمْلَةُ بنت أبى سفيان» رضى الله عنها ـــ وكانت من مهاجرة الحبشة مع زوجها ، أبو أحمد ـــ «عُبَيْد الله بن جحش» فلما قضى بعد ارتداده عن الإسلام ، واستغراقه فى شرب الخمر ، خطبها رسول الله ﷺ ، خطبها له «النجاشى» ودفع مهرها ؛ وكان بناؤه بها ﷺ بعد قدومها مع «جعفر بن أبى طالب» ـــ رضى الله عنه ـــ يوم فتح «خَيْبر» .

(٦٠٢) «إياس بن معاوية بن قرة المزنى» قاضى «البصرة» ، وأحد أعاجيب الدهر فى الفطنة والذكاء .

له : لاتخبر أحدا ، ثم دعا ذلك الرجل المودع عنده المال فقال له : عندى مال أيتام أريد دفعه إليك ليكون وديعة عندك فحصن بيتك وانتخب من تثق فيه ليحمله معك ، فرجع واصلح بيته ، ثم دعا «إياس» صاحب المال وقال له : اذهب إليه واطلب منه مالك فإن أبى فقل سأشكوك لإياس ، فذهب إليه وطلب منه المال فرده عليه ثم أخبر بذلك «إياسا» فقال : (ربما كانت الحيلة وسيلة إلى درك المطلوب) .

أبو البقر

مر رجل اسمه «أبو البقر» على موسى بن عبد الملك فقال له : أنت أبو البقر ؟! قال : أنا أبو القوم الذين بين يديك ! فضحك منه ، وقضى حاجته .

على الباغى تدور الدوائر

رُوى أن رجلا كان يقف على رأس بعض الملوك ويقول : أحسن إلى المحسن بإحسانه ، والمسيء سيكفيكه مساعيه .

وكان الملك يحسن إليه ، فحسده رجل من أصحابه وتمنى أن يكون مكانه فوشى به إلى الملك حتى تغير عليه ، وكان الملك لايكتب بخط يده إلا فى صلة أو جائزة ، فكتب إلى بعض عماله لشدة حنقه : إذا وصلك كتابى هذا فاذبح حامله واسلخه وآحْشِ جلده تبنا وابعث به إلى ، ودفعه إلى ذلك القائم على رأسه فأخذه وخرج به فلقيه الواشى به فقال له : ماهذا ؟ قال : خط يد الملك إلى عامله فلان ، فقال : هبه لى بفضلك وأعنى به فإنى محتاج له وأنت غنى عنه ، فرق له ودفعه إليه فأخذه وذهب به فرحا مسرورا فلما قرأه العامل قال : أتعرف مافى الكتاب ؟ قال : صلة الأمير المعلومة من خط يده ، قال : بل أمرنى فيه أن أذبحك وأحشو جلدك تبنا وأرسل به إليه ، فقال : الله الله فى دمى ، فإن الكتاب لم يكن لى فراجع الملك فى أمرى ، قال : ليس لكتاب الملك مراجعة إلا إنفاذ أمره ولاسيما إذا كان بخط يده ، وأمر بإنفاذ مافى

الكتاب ، وقبل أن يجيء خبره إلى الملك قام ذلك الرجل على عادته وجعل يقول : أحسن إلى المحسن بإحسانه والمسيء سيكفيكه مساعيه ، فلما رآه الملك قال : مافعل الكتاب الذى كتبت لك ؟ قال : لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته له ، قال له الملك : إنه ذكر عنك كذا وكذا ، فأوضح الرجل براءته مما نسب إليه وبين حجته فى تكذيب سعيه عليه حتى تبين له أمره وظهر عنده صدقه ، وجيء بجلد الباغى محشوا تبنا فقال الملك : صَدَقْتَ وصَدَقَتْ موعظتك ، قم كما أنت وقل كما كنت تقول؛فعلى الباغى تدور الدوائر ..

تَطَيُّرُ المنصور

قال «الربيع» : نام «المنصور» ليلة فانتبه مرعوبا ثم عاوده النوم فانتبه كذلك فزعا مرعوبا ثم قال : يا«ربيع» فقلت لبيك ياأمير المؤمنين قال : لقد رأيت فى منامى عجبا ، قلت : ماهو ؟ قال : رأيت كأن آتيا أتانى فكلمنى بشيء لم أفهمه فانتبهت فزعا ثم عاودت النوم فعاودنى بقول ذلك الشيء ثم عاودنى بقوله حتى فهمته وحفظته وهو :

كَأَنِّـــــى بهذا الـــــقصر قد بادَ أَهْلُـــــهُ
وَعُـــــرِّىَ منـــــه أهلـــــه ومنازِلُـــــه
وصار رئــيسُ الْقَــوْم من بعـــد بَهْجَـــةٍ
إلى جَدثٍ تُبنـــــى عليـــــه جنادِلـــــه (٦٠٣)

وماأحسبنى ياربيع إلا وقد حانت وفاتى وحضر أجلى ومالى غير ربى قم فاجعل غسلا ، ففعلت ، فاغتسل وصلى ركعتين وقال : إنى عازم على الحج فهيىء لى آلة الحج ، فخرج وخرجنا حتى إذا انتهى إلى « الكوفة » ونزل « النجف » وأقام أياما ثم أمر بالرحيل فتقدمت جنوده وبقيت أنا وهو فقال : يا« ربيع » جئنى بفحمة من المطبخ ، وقال لى : اخرج إلى أن أخرج إليك ، فلما خرج رجعت إلى المكان كأنى أطلب شيئا فوجدته قد كتب على الحائط بالفحمة :

(٦٠٣) الجنادل : الصخور . والجدث القبر .

المرءُ يهوى أن يعيش ... وطول عيش قد يَضُرُّه
تفنى بشاشتُهُ ويبقى ... بعد حُلْو العيش مُرُّه
وتخونُهُ الأيام حتى ... مايرى شيئاً يَسُرُّه
كم شامتٍ لى إن هلكت ... وقائلٍ لله دَرُّه

رَحِم «آدم»

وجاء رجل إلى «معاوية» رضى الله عنه فقال : سألتك بالرحم التى بينى وبينك إلا قضيت حاجتى ، فقال «معاوية» : أمن قريش أنت ؟ قال : لا .. فقال : فأى رَحِمٍ بينى وبينك ؟ قال : «رحم آدم عليه الصلاة والسلام» قال معاوية : «رَحِم مجفوة .. والله لأكونن أول من وصلها» ، ثم قضى له حاجته .

إنا لا نُعيرها فارغة

وأرسل «الأشعث بن قيس» إلى «عدى بن حاتم» رضى الله عنه يستعير منه قُدُورا ، فملأها مالا وبعث بها إليه ، وقال : إنا لا نُعيرها فارغة .

هذا ما أبكانى

وقَدِمَ رجل من قريشٍ من سفرٍ ، فمر على رجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضربه المرض فقال : «ياهذا أعِنّا على الدهر» ، فقال لغلامه : «مابقى معك من النفقة فادفعه إليه» فصبَّ فى حجره أربعة آلاف درهم ، فهم ليقوم فلم يقدر من الضعف ، فبكى ، فقال له القرشى : مايبكيك ؟ لعلك استقللت مادفعناه إليك ؟ فقال : لا والله ، ولكن ذكرت ماتأكل الأرض من كرمك فأبكانى .

مَنِ المجنون ؟

اشترى الإمام «الشافعى» رضى الله عنه جارية فلما كان الليل أقبل على الدرس والجارية تنتظره فلم يلتفت إليها ، فذهبت إلى النخاس وقالت : حبستمونى مع مجنون !! فبلغ ذلك «الشافعى» فقال : من عرف قدر العلم وضيعه أو توانى فى تحصيله حتى فاته فهو المجنون .

ماكنت لآخذ على أمانتى شيئا !

جاء رجل ممن يبيع العطر لعمر بن أحمد بن شاهين ببغداد فدفع له عشرة دراهم وقال له : أعطنى بها عطرا ، فأعطاه ماطلب ثم أخذ العطر وانصرف ، وبينما هو كذلك إذ سقط منه إناء العطر فانكب جميع مافيه ، فبكى الرجل وجزع حتى رحمناه ، فقال : عمر لاتجزع على الدنيا فأمرها أيسر من ذلك ، فقال الرجل : أيها الشيخ ليس جزعى على ضياع ماضاع ، لقد علم الله أنى كنت فى القافلة الفلانية فضاع لى كيس فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لى غيرها من المال ، ولكن وُلِدَ لى ولد فى هذه الليلة فاحتجنا لأمه ماتحتاج النفساء ولم يكن معى غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشترى بها حاجة النفساء فأبقى بلا رأس مال ، وقد صرت شيخاً لاأقدر على التكسب ، فقلت فى نفسى اشترى بها شيئاً من العطر فعسى أن أتكسب من ورائها شيئا أسَد به رمق[٦٠٤] أهلى ويبقى رأس المال ، فاشتريت هذا العطر ، وحين انكب الإناء علمت أنه لم يبق إلا الفرار منهم فهذا الذى أوجب جزعى[٦٠٥]. وكان يحضرهما جندى يستوعب الحديث وينصت لما يقول صاحب العطر فقال لـ «عمر» : ياسيدى أريد أن تأتى بهذا الرجل إلى منزلى ، فظن أنه سيعطيه شيئا ، فلما دخلا منزله أقبل على الرجل وقال : عجبت من جزعك ، فأعاد عليه القصة ، فقال : وما علامة كيسك ؟ وفى أى

(٦٠٤) الرَّمق : بقية الحياة . والقليل من العيش يمسك الرمق .
(٦٠٥) الجزع : الحزن .

موضع سقط منك ؟ فوصف له المكان والعلامة فأخرج له الجندى الكيس ، فقال : هذا كيسى وعلامته أن فيه فصوصا هى كيت وكيت ، ففتح الكيس فوجده كما ذكر الرجل ، فقال الجندى : خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الرجل : إن الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها وأنت فى حل منها ونفسى بها طيبة فقال الجندى : ماكنت لآخذ على أمانتى مالا وأبى .. !!

ذنب لا يطمع صاحبه فى غفرانه

قال « يوسف الكوفى » : حججت ذات سنة فإذا أنا برجل عند البيت وهو يقول : اللهم اغفر لى وما أراك تفعل . فقلت : ماأعجب يأسك من عفو الله !! قال : إن لى ذنباً عظيما ، فقلت : أخبرنى . قال : كنت مع « يحيى بن محمد » بالموصل فأمرنا يوم جمعة فاعترضنا المسجد فقتلنا ثلاثين ألفا ثم نادى مناديه : من علق[٦٠٦] دارا فالدار ومافيها له فعلقت سوطى على دار فدخلتها فإذا فيها رجل وامرأة وابنان لهما فقدمت الرجل فقتلته ثم قلت للمرأة هاتى ماعندك وإلا ألحقت ابنيك به ، فجاءتنى بسبعة دنانير فقلت : هاتى ماعندك ، فقالت : ماعندى غيرها ، فقدمت أحد ابنيها فقتلته ، ثم قلت : هاتى ماعندك وإلا ألحقت الآخر به ، فلما رأت الْجدَّ منى قالت : ارفق فإن عندى شيئا كان أودعنيه أبوهما فجاءتنى بدرع مذهب لم أر مثلها فى حسنها فجعلت أقلب فإذا عليها مكتوب بالذهب :

إذا جارَ الأمير وحاجبـــــــــــــاهُ[٦٠٧]
وقـــــاضى الأرض أسْرَفَ فى الْـــــقضاءِ
فَوَيْـــــــل ثُمَّ وَيْــــــل ثُمَّ وَيْـــــــل
لقـــــاضى الأرض من قاضى السَّمــــاءِ

فسقط السيف من يدى وارتعدت وخرجت علي وجهى حيث ترى .

(٦٠٦) عَلِقَ داراً : هويها وأحبها .
(٦٠٧) جار : ظلم .

حيلة فقهية للخروج من المأزق !

تغير «الرشيد» يوماً على «زبيدة» فقال لها : أنت طالق ثلاثاً إن بت الليلة فى مملكتى ، فاستفتوا فى ذلك القاضى «أبا يوسف» فقال : تبيت فى بعض المساجد ، فإن المساجد لله ، فولاه القضاء بجميع مَمْلكته .

لا أخون المسلمين فى عزل مثله !

رفعت قضية إلى «محمد بن بشير» قاضى «قرطبة» ، كان أحد الخصمين فيها «سعيد الخير» عم الخليفة «عبد الرحمن الناصر» وأقام «سعيد» بينة أحد شهودها الخليفة نفسه ، ولما قدم كتاب شهادة الخليفة إلى القاضى نظر فيه ثم قال لوكيل «سعيد» : هذه شهادة لايعمل بها عندى ، فجئنى بشهادة عادل ، فمضى «سعيد» إلى الخليفة وجعل يغريه على عزل القاضى فقال الخليفة : القاضى رجل صالح لا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولست والله أعترضه فيما أحاط به نفسه ولا أخون المسلمين فى عزل مثله .

ليس فى الحكم شفاعة !

وتخاصم رجلان إلى «إبراهيم بن اسحاق» قاضى مصر ، فأمر بكتابة الحكم على أحدهما ، فتشفع المحكوم عليه إلى الأمير ، فأرسل إليه يأمره بالتوقف عن الحكم إلى أن يصطلحا ، فترك «ابراهيم» القضاء وأقام فى منزله ، فأرسل إليه الأمير يسأله الرجوع ، فقال : لاأعود إلى ذلك أبدا ، ليس فى الحكم شفاعة(٦٠٨) .

---

(٦٠٨) وقد قال رسول الله ﷺ لِـ «أسامة بن زيد» — رضى الله عنهما — ؛ حين تشفع فى «المخزومية» التى سرقت : «أتشفع فى حد من حدود الله يا «أسامة» !!»
ومنه أخذت القاعدة : (لاشفاعة إذا بلغ الأمر إلى القاضى) .

أحمق الحمقى

لمّا مات «جالينوس» الحكيم وجد فى جيبه رقعة مكتوب فيها : أحمق الحمقى من يملأ بطنه فى كل مايجد ، وماأَكَلتَهُ فلجسمك وما تصدقت به فلروحك وماخلفته فلغيرك ، والمحسن حى وإن نقل إلى دار البلى ، والمسىء ميت وإن بقى فى الدنيا ، والقناعة تستر الخلة ، وبالصبر تدرك الأمور ، وبالتدبير يكثر القليل ، ولم أر لابن آدم شيئا أنفع من التوكُّل .

محاورة بين حكيمين

كان «سقراط» قليل الأكل خشن اللباس فكتب إليه بعض الفلاسفة : أنت تقول : إن الرحمة لكل ذى روح واجبة ، وأنت ذو روح فلم لا ترحمها بترك قلة الأكل وخشن اللباس .. فكتب فى جوابه : «عاتَبْتنى على لبس الخشن وقد يعشَق الإنسان القبيحة ويترك الحسناء ، وعاتَبْتنى على قلة الأكل وإنما أريد أن آكل لأعيش وأنت تريد أن تعيش لتأكل والسلام» فكتب إليه الفيلسوف : قد عرفت السبب فى قلة الأكل ، فما السبب فى قلة الكلام .. !! وإذا كنت تبخل على نفسك بالمأكل فَلِمَ تبخل على الناس بالكلام ؟؟ فكتب إليه فى جوابه : «ماااحتجت إلى مفارقته وتركه للناس فليس لك ، والشغل بما ليس لك عبث ، وقد خلق الحق سبحانه لك أُذُنَيْن ولساناً واحداً لتسمع ضعف ماتقول ، لا لتقول أكثر مما تسمع والسلام» ..

حسن التخلص

كان لأمير المؤمنين «هارون الرشيد» جارية حسناء ، وكان يهيم بها حبا ويشغف بها غراما . وعلى هذا الحب الذى أحبها به أمير المؤمنين كانت سمراء اللون ، خفيفة الروح جذابة الملامح تدعى «خالصة» ، ومن شدة غرام «الرشيد» بها صار لايفارقها لا ليلا ولا نهارا ، وقد وهبها الجواهر الغالية ، والأحجار الكريمة ، وقلَّدها بالعُقود النادرة وحلاها بأجمل ماتتحلى به من فاخر

الحُلى والحُلَل من ذات الطراز الموشى[٦٠٩] بالذهب الخالص المنظوم بالدر واليواقيت . ففى ذات يوم دخل «أبو نُواس»[٦١٠] على الخليفة وهو جالس عند «خالصة» فامتدحه بقصيدته النُّونية العصماء فلم يلتفت إليه «الرشيد» ولم يُعره التفاته تشجعه على إتمام القصيدة بل ظل مشغولا بمداعبة «خالصة» الحسناء ؛ فاشتد الغيظ بأبى نواس ، وتشاجرت الوساوس فى صدره بدرجة جعلته كالأبكم لايبدى ولايُعيد .. وانصرف فى حضرة أمير المؤمنين وهو واجِد[٦١١] على «خالصة» .. ولما انتهى إلى باب المقاصير الخاصة بخالصة كتب على الباب يقول شعرا :

لَقَـــد ضاعَ شعـــرى على بابِكُـــم
كما ضاع عقــــــد على «خالصة»

ثم انصرف وهو كالمحموم من شدة غيظه ، وفى الصباح مرَّ بعض الخدم المخلصين بـ «خالصة» فقرأ ماعلى بابها من الشعر ، فذهب إليها وأخبرها به ، فلم تصدق قولهم وذهبت بنفسها إلى الباب فقرأت الشعر فلهجت بالغضب وقالت : تالله ماكتب هذا الشعر غير «أبى نواس» ثم تغيرت عليه حتى كاد يقتلها الغيظ منه .

ولما جاء إليها أمير المؤمنين «هارون الرشيد» وجدها تبكى وهى فى قهر شديد فسألها عن سبب ذلك فأرشدته إلى الشعر وقالت : لايَجْرُؤ أحد على كتابة هذا الشعر غير «أبى نواس» فقال «الرشيد» : الحقيقة أن الخط خطه ولابد من عقابه حتى لايعود لمثل ذلك ، ثم نظر إلى أحد أتباعه وقال له : عَلَىَّ بأبى نواس . فذهب الخدم لإحضاره ، وجدوا جميعا فى طلبه ، ولما علم «أبو نواس» الغرض من هذا الطلب جاء حتى مَرَّ من ناحية الباب حيث كان قد كتب الشعر فمحا تجويف العين فى الموضعين من (ضاع) فصار أول العين

---

(٦٠٩) الموشى : المحَلّى .
(٦١٠) الشاعر العباسى .
(٦١١) واجد عليها ممتلىء غيظا وغضباً .

مثل الهمزة وصار البيت يُقرأ هكذا :

لقـــــد ضاءَ شعـــــرى على بابكم
كما ضاء عقـــــــد على «خالصة»

ودخل على أمير المؤمنين فلما رآه آستشاط غضباً وصاح به : ويحك يا «أبا نواس» ماهذا الذى كتبته على باب «خالصة» !!

فقال : ماهذا الذى تقول عنى يامولاى ؟؟

أجاب : الشعر الذى هجوتنى به .

فقال : حاشا لله ياأمير المؤمنين أن يحصل منى ماتقول ، إننى يا مولاى مدحت وماهجوت وهيا بنا لنرى ماكتبت : فقام الخليفة وهو يقول : تالله لئن لم يكن ماتقول فأنت مقتول ، ثم سار الخليفة و«أبو نواس» خلفه فلما وصل إلى الباب قرأ الشعر هكذا :

لقـــــد ضاءَ شِعْـــــرى على بابكـــــم
كما ضَاءَ عِقْـــــــد على «خالصة»

فأعجب الخليفة بهذه البداهة وأمر له بألف دينار . فقال بعض من كان حاضرا : إنه ياأمير المؤمنين قد قلب العين همزة فمسح تجويف العين فقال الرشيد : ولهذا كافأتُهُ .

غريبة

قال «ذو النون المصرى» : بينما أنا فى بعض سياحتى إذ مررت بشط نهر فإذا أنا بعقرب أسود أقبل إلى هذا الشط ، فظننت أنه يشرب من النهر ، فذهبت لأنظره ، فإذا بضفدع قد خرج من الماء فحمل العقرب على ظهره ، فسرت وراءهما إلى الشط الآخر ، فما زالا حتى جاءا إلى شجرة تحتها غلام نائم قد أقبل إليه تنين عظيم ، وإذا بالعقرب تلصَقُ برأس التنين ، فلدغته فقتلته ، ثم رجعت إلى ظهر الضفدع فعبر بها الماء إلى حيث كانت ، فتعجبت وأنشدت :

يا راقــداً والجليــل يَحفَظُــه   من كل سُوء يكُــونُ فى الظُّلــم
كيــف تنــام العُيُــون عن مُلكٍ   يَأتــيك منــه فوائِــدُ النعــم

شجاعة نادرة

قال «أبو حازم» لسليمان بن عبد الملك : إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة المسلمين ولارضاهم ؛ فطلب «سليمان» من «أبى حازم» أن يدعو له فقال : اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخيرى الدنيا والآخرة ، وإن كان عدوّك فخذ بناصيته إلى ماتحب وترضى .

جوار لايباع بالدنانير

كانت عجوز فى جوار «عبد الله بن طاهر» ؛ ولها أربع بنات فقيل لها : أنت فقيرة فلو بعت دارك وتوسعت بها على نفسك وعيالك ، فقالت : نعم ، غير أنى لا أبيع جوار «عبد الله بن طاهر» بالدنانير ، فانتهى إليه الخبر فدعا «عبد الله» دلالة النساء وقال لها : إن لى أربع بنات فاطلبى أزواجا كراما .. ، فجهزهن كل واحدة بمائة ألف من خزائنه وزوجهن .

قول على قول

حبس «عمرو بن العاص» عن جنده العطاء فقام إليه رجل حميرى وقال : أصلح الله الأمير إذا لم تعطنا شيئا فاتخذ جندا من حجارة لايأكلون ولا يشربون . فقال «عمرو» (اخسأ ياكلب) ، فقال «الحميرى» : إن كنت كذلك فأنت إذن أمير الكلاب !!

ولقى «خالد بن صفوان» «الفرزدق» ـــ وكان دميما ـــ فقال : ياأبا فراس ماأنت بالذى قالت ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقطعن أيديهن﴾(٦١٢) فقال

(٦١٢) سورة «يوسف» الآية (٣١)

«الفرزدق» : ولا أنت «أبا صفوان» بالذى قالت الفتاة لأبيها فى حقه ﴿ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾[٦١٣] .

من لطائف الحيل

كان «أبو جعفر المنصور» أيام بنى أمية إذا دخل «البصرة» دخل متكتما وكان يجلس فى حلقة «أزهر السمان»[٦١٤] المحدث ، فلما أفضت إليه الخلافة قدم «أزهر» عليه فرحب به وقربه وقال : ماحاجتك يا«أزهر» ؟ فقال : ياأمير المؤمنين دارى متهدمة وعلى أربعة آلاف درهم وأريد أن أزوج ابنى «محمداً» ، فوصله باثنى عشر ألف درهم وقال : قد قضينا حاجتك فلا تأتنا بعد هذا طالبا ، فأخذها وارتحل ، فلما كان بعد سنة أتاه فقال له «أبو جعفر» : ماحاجتك يا«أزهر» ؟ قال : جئت مسلما ، فقال : لا والله بل جئت طالباً وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفا فلا تأتنا طالباً ولا مسلما ، فأخذها ومضى ، فلما كان بعد سنة أتاه ، فقال : ماحاجتك يا«أزهر» ؟ قال : أتيتك عائداً ، فقال : لا والله بل جئت طالباً وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفاً فاذهب ولا تأتنا بعد ذلك طالباً ولا مسلماً ولا عائدا ، فأخذها وانصرف ، فلما مضت السنة أقبل ، فقال له : ماحاجتك يا«أزهر» ؟ قال : ياأمير المؤمنين دعاء كنت أسمعك تدعو به جئت لأكتبه ، فضحك «أبو جعفر» وقال : الذى تطلبه غير مستجاب فإنى دعوت الله تعالى به أن لاأراك فلم يستجب لى ، وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفا وتعالَ إذا شئت فقد أعيتنا الحيلة فيك .

---

(٦١٣) سورة «القصص» الآية (٢٦)
كلاهما يعرض بصاحبه ، «خالد» بدمامة «الفرزدق» ، و«الفرزدق» بضعف وخيانة «خالد» .
(٦١٤) أزهر السمّان : «أزهر بن سعد» ، عالم بالحديث ، من أهل البصرة ، ولد سنة (١١١) هـ ، وتوفى (٢٠٣) هـ .

الشحم مع الهَمّ لايجتمعان

قال الإمام «الشافعي» رضى الله عنه : ماأفلح سمين قط إلا أن يكون «محمد بن الحسين» ، قيل له : ولم ذلك ؟ قال : لأنه لايعدو العاقل إحدى خلتين .. إما أن يهتم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه ، والشحم مع الهم لاينعقد ، ثم قال : وكان بعض الملوك كثير الشحم لاينتفع بنفسه فجمع الأطباء وقال : احتالوا لى بحيلة يخف عنى لحمى هذا قليلا ، فجاء رجل عاقل لبيب طبيب فقال : (أصلح الله الملك أنا طبيب منجم دعنى حتى أنظر الليلة فى طالعك لأرى أى دواء يوافقك) فلما أصبح قال : (أيها الملك الأمان) فلما أمنه قال : (رأيت طالعك يدل على أنه لم يبق من عمرك غير شهر واحد ، فإن اخترت عالجتك ، وإن أردت بيان ذلك فاحبسنى عندك ، فإن كان لقولى حقيقة فخلِّ عنى وإلا فاقتص منى) ، فحبسه ثم رفع الملك الملاهى واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتما ، فكلما انسلخ يوم من الشهر(٦١٥) ازداد هما وغما حتى هزل وخف لحمه ومضى لذلك ثمان وعشرون يوما ، ثم بعث إلى الرجل وأخرجه فقال ماترى ؟ فقال : (أعز الله الملك أنا أهون على الله من أن أعلم الغيب ، والله إنى لاأعلم عمرى فكيف أعلم عمرك ، ولكن لم يكن عندى دواء إلا الغم ، ولم أقدر أن أجلب إليك الغم إلا بهذه الحيلة ، فإن الغم يذيب الشحم) فأجازه وأحسن إليه غاية الإحسان وذاق حلاوة الفرج بعد مرارة الغم .

حُبُّ الوطن

وخاصمت إمرأةٌ زوجها فى تضييقه عليها وعلى نفسه فقالت : والله مايقيم فأر فى بيتك إلا لحب الوطن ، وإلا فهو يسترزق من بيوت الجيران .

---

(٦١٥) انسلخ يوم : مضى وانتهى وفى القرآن : ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ (التوبة : ٥)

ماءُ النُّخالة والسُّعال

واشتكى رجل بخيل صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز ، فاستثقل ثمنه ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء ، فبينما هو يماطل الأيام ويدافع الآلام إذ أتاه بعض أصدقائه فوصف له ماء النخالة ، فأمر بها فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجده يعصم البطن ، فلما حضر غذاؤه أمر به فرفع إلى العشاء وقال لامرأته : اطبخي لأهل بيتنا النخالة فإني وجدت ماءها يعصم البطن ويجلو الصدر ، فقالت : لقد جمع الله بهذه النخالة بين الدواء والغذاء ، فالحمد لله على هذه النعمة ..

أفَنملحه ؟؟

وجاء رجل إلى غنى يسأله كفناً لميت له فقال : ماعندى الآن شيء ولكن عاودنى فى وقت آخر يتيسر فيه طلبك ، فقال : أفنملحه إلى أن يتيسر عندك شيء؟

ضربت حصتى

وكان عبد بين اثنين فى شركة فجعل أحد الشريكين يضرب العبد ، فلامه شريكه فى ذلك فقال : إنما ضربت حصتى ..

وساق رجل عشرة حمير فركب واحدا منها وعدها فإذا هى تسعه ، فنزل وعدها فإذا هى عشرة ، فقال : أمشى وأربح حمارا خير من أن أركب وأخسر حمارا .

كَمْ تعُدّ ؟!

وقال رجل لهشام القرطبي : كم تعد ؟ قال : من واحد إلى ألف ألف وأكثر . قال : لم أرد هذا . كم تعد من السن ؟ قال : اثنتين وثلاثين سنة ؛ ست عشرة من أعلى وستّ عَشْرَة من أسفل: قال: لم أرد هذا. كم لك من السنين؟ قال : والله مالى منها من شيء والسنون كلها لله ، قال : ياهذا ماسنك ؟ قال : عَظم ، قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن اثنين رجل وامرأة ، قال : كم أتى عليك ؟ قال لو أتى على شيء لقتلني ، قال : كيف أقول ؟ قال : تقول : كم مضى من عمرك ؟

من هو ؟

وجاءت خاطبة إلى قوم فقالت : عندى رجل يكتب بالحديد ، ويختم بالزجاج ، فرضوا به وزوجوه فإذا هو حجام .

وقال محمد بن شبيب : دخلت إلى دار الأمير بالبصرة وأرسلت حمارى فأخذه صبى ليلعب عليه فقلت : دعه ، فقال : إنى أحفظه لك ، فقلت : إنى لاأريد حفظه ، فقال : يضيع إذن ، فقلت : لا أبالى بضياعه ، فقال : إن كنت لاتبالى بضياعه فهبه لى ، فانقطع من كلامه وأفحم .

الشياطين وأولياؤهم

وقال رجل لأحد العلماء : إن المختار يزعم أنه يوحى إليه ، فقال : إن الله يقول : ﴿**وإن الشياطين لَيُوحُونَ إلى أوليائهم**﴾(٦١٦) .

---

(٦١٦) الأنعام : ١٢١

على باب نحوى

وقف بعض الفقراء على باب نحوى فقرعه فقال النحوى : من بالباب : فقال : سائل ، فقال : ينصرف ، فقال : اسمى «أحمد» (يعنى لاينصرف) فقال النحوى لغلامه : أُعط «سيبويه» كسرة .

الثلاثة الحمقى :

حُكى أن أحمقين اصطحبا فى طريق ، فقال أحدهما للآخر : تعال نتمنّ على الله فإن الطريق تقطع بالحديث ، فقال أحدهما : أنا أتمنى قطيع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها ، وقال الآخر : أنا أتمنى قطيع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لاتترك منها شيئا ، قال صاحبه : ويحك أهذا من الصحبة وحرمة العشرة ؟ فتخاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا ثم تراضيا على أن أول من يطلع عليهما يكون حكماً بينهما ، فطلع عليهما شيخ بحمار عليه قربتان من عسل ، فحدثاه بحديثهما ، فأنزل القربتين وفتحهما حتى سال منهما العسل على التراب ، ثم قال : صَبّ الله دمى مثل هذا العسل إن لم تكونا أحمقين !!

من نوادر المغفلين

رأى بعض الناس معلما ــ وقد جاءه صغيران يتماسكان فقال أحدهما : هذا عض أذنى فقال الآخر : لا والله ياسيدنا هو الذى عض أذن نفسه فقال المعلم : هل كان جملا يعض أذن نفسه ؟

مُعَلم الصّغار

ورأى بعضهم معلماً وهو يصلى العصر ، فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه ونظر إلى الصغار وهم يلعبون فقال : يا بن البقال قد رأيت الذى عملت وسأكافئك إذا فرغت من صلاتى .

العلـــم

إن العلم بحر زخّار ، لا يدرك له من قرار ؛ وطود شامخ لا يُسْلَك إلى قُنَنِه ولا يُصَار ، من أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولا ، ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلا . كيف وقد قال الله تعالى مخاطباً لخلقه : ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ [الإسراء: ٨٥]

لَعَلَّهُ يكُونُ حَقاً ؟؟

ومر «أشعب» يوما بصبيان فجعل الصبيان يعبثون به فقال لهم : ويلكم «سالم بن عبد الله» يفرق تمراً (يريد بذلك صرفهم) فعدا الصبيان إلى دار «سالم» وعدا معهم «أشعب» وقال : مايدرينى لعله يكون حقا !!

كَلْبٌ وكَلْب

وكان الربيع العامرى واليا على اليمامة فبلغه أن كلبا قتل كلبا لآخرين فأمر أن يقتل به ، فقال فيه بعض الشعراء :

شهــــدتُ بأن الله حق لقـــاؤه
وأن الربيـــع العامــــرى رفيـــع
أقــاد لنـــا كلبـــا بكـــلب ولم يدع
دمـــاء كلاب المسلــــمين تضيـــع

وبقى عجزه

عاد أحد المغفلين مريضا كان يشكو وجع الركبة فقال له : إن جريرا ذكر بيتا ذهب عنى صدره وبقى عجزه وهو(٦١٧) :

ولـــيس لداء الركبـــتين دواء

فقال المريض : ليت عجزه ذهب كما ذهب صدره .

أَحْسَنَ الله عزاءَكُم

وعاد آخر مريضا فلما خرج قال لأهله : أحسن الله عزاءكم . قالوا : إنه لم يمت ، قال : قد عرفت ، ولكنى شيخ لا أستطيع النهوض فى كل وقت ، وأخاف أن يموت فأعجز من المجىء .. !!

«المهدى» والأعرابى

خرج «المهدى» يتصيد فنأى(٦١٨) به فرسه حتى وقع فى خباء أعرابى ، فقال : ياأعرابى هل من قرى ؟(٦١٩) فأخرج له قرص شعير ، فأكله ، ثم أخرج له فضلة(٦٢٠) من لبن فسقاه ، ثم أتى بنبيذ فى ركوة(٦٢١) فسقاه ، فلما شرب

(٦١٧) يراد بالصدر نصف البيت الأول كما يراد بالعجز النصف الثانى ولكل بيت من بيوت الشعر القديم شطران شطر أول وشطر ثان .
(٦١٨) نأى : بعد
(٦١٩) هل من طعام ؟ والقرى مايقدم للضيف .
(٦٢٠) بقية باقية
(٦٢١) الركوة : مايوضع تحت المعصرة فيجتمع فيه عصير العنب ونحوه .

قال : أتدرى من أنا ؟ قال : لا ، قال : أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة ، قال : باركَ الله لك فى موضعك ، ثم سقاه مرة أخرى فشرب ، فقال : ياأعرابى أتدرى من أنا ؟ قال : زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة ، لا أنا من قواد أمير المؤمنين ، قال : رحبت بلادك وطاب مرادك ، ثم سقاه الثالثة ، فلما فرغ قال : ياأعرابى أتدرى من أنا ؟ قال : زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين ، قال : لا ولكنى أمير المؤمنين ، فأخذ الأعرابى الركوة فأوكأها[٦٢٢] وقال : إليك عنى[٦٢٣] فو الله لو شربت الرابعة لادعيت أنك رسول الله ، فضحك «المهدى» حتى غشى عليه ، ثم أحاطت به الخيل ونزلت به الأمراء والأشراف فطار قلب الأعرابى ، فقال له : لابأس عليك ولاخوف ثم أمر له بكسوة ومال .

من صفات المؤمن

قال «جعفر الصادق» رضى الله عنه : المؤمن من إذا غضب لم يخرجه غضبه من حق ، وإذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل ، وإذا قَدِرَ لم يأخذ أكثر مما له ..

فى القدر

سئل أعرابى عن القدر فقال : الناظر فى قدر الله كالناظر إلى الشمس يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها .

وسئل آخر عنه فقال : اختصمت فيه العقول وتقاول فيه المختلفون وحق علينا أن نرد ماالتبس علينا من حكمه إلى ما سبق علينا من علمه .

---

(٦٢٢) أوكأها : غطاها

(٦٢٣) ابتعد عنى واذهب إلى حال سبيلك .

قيل لرجل كيف أنت فى دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصى ، وأرقعه بالاستغفار .

قرينُ السُّوء !!

قيل لأعرابى كيف حبك لزوجتك ؟ قال : ربما كنت على الفراش ، فمدت يدها إلى صدرى ، فودِدْت — والله — أن آجُرَّةً خَرَّت من السقف فقدت يدها وضلعين من أضلاع صدرى ! ثم أنشأ يقول :

لئن كنت محتاجا إلى موت زوجتى
ولكن قرين السوء باق مُعَمَّر
فياليتها صارت إلى القبر عاجلا
وعذبها فيه نكيرٌ ومُنْكَرُ

خيْر الملوك

قال بعض الحكماء : خير الملوك أرحبهم ذرعا عند الضيق وأعدلهم حكما عند الغضب وأرحمهم إذا سلط ، وأبعدهم عن الظلم عند القدرة ، وأطلبهم لرضى الرعية وأبسطهم وجها عند المسألة ، وينبغى للملك أن لايعاقب وهو غضبان فإذا سكن غضبه عاقب على الحد الذى سنته الشريعة ..

ماينبغى فى تعليم الأولاد

قال «عبد الله بن المعتز» : ينبغى للمؤدب أن يأمر الغلام أن لايشتم أحداً ، وأن يجتنب المحارم ، وأن يهذب أخلاقه ، ويعلمه من الفقه مالا غنى لمسلم

عنه ، ومن الشعر الشاهد والمثل ، ومن الإعراب مايصلح به لفظه ، ومن الغزل أعفه ..

مايَسُودُ به المرء

قال حكيم : أربع يسود بهن المرء الصدق والأدب ، والعفة ، والأمانة ..

النَّهْي عن صحبة الشرير

قال «أفلاطون» الحكيم : لاتصحب الشرير فإن طبعك يسرق من طبعه وأنت لاتعلم ..

من أسباب الشفاء

قال «أبقراط» الحكيم : حدثوا المريض بحال من كان فى أصعب من مرضه فبرأ ، ولا تحدثوه عمن كان فى مرضه فمات .

من محاسن التَّدبير

قدم رجل إلى بغداد ومعه عقد يساوى ألف دينار ، واتفق له أن يحج فاستودعه عند عطار اشتهر بالخير والصلاح ، فلما حج أتى بهدية إلى ذلك العطار وسلم عليه ، قال : من أنت ومن يعرفك ؟! قال : أنا صاحب العقد ، فلما كلمه دفعه عن مكانه فاجتمع الناس عليه وقالوا : ويلك هذا رجل صالح فما وجدت من تكذب عليه إلا هذا ؟ فتحير الرجل وتردد إليه فما زاده إلا شتماً وضرباً ، فقيل له : لو ذهبت إلى «عَضُد الدولة» لحصل لك من فراسته خير ، فكتب قصته وعرضها عليه ، فقال «عضد الدولة» : ماشأنك ؟ فقص عليه القصة فقال : اذهب غداً واجلس فى دكان العطار ثلاثة أيام حتى أمر عليك فى اليوم الرابع فأقف وأسلم عليك فلا ترد على إلا السلام ، فإذا

انصرفت فأعد عليه ذكر العقد ثم أعلمني بما يقول لك ، ففعل الرجل ذلك فلما كان في اليوم الرابع جاء «عضد الدولة» في موكبه العظيم ، فلما رأى الرجل وقف وسلم عليه فقال الرجل : وعليكم السلام ، ولم يتحرك ، فقال «عضد الدولة» : ياأخي تُقْدِمُ إلى العراق ولاتأتينا ولا تعرض علينا حوائجك ؟ فقال له : ماااتفق هذا ؛ ولم يزد على ذلك شيئاً ، هذا والعسكر واقف بكماله ، فانذهل العطار وأيقن بالموت ، فلما انصرف «عضد الدولة» التفت العطار إلى الرجل وقال : ياأخي متى أودعتني هذا العقد ، وفي أي شيء هو ملفوف ؟ فذكرني لعلى أتذكر !! فقال : من صفته كذا وكذا ، فقام وفتش ثم فتح جراباً وأخرج منه العقد وقال : الله أعلم أنني كنت ناسياً ولو لم تذكرني ماتذكرت ، فأخذ الرجل العقد ومضى إلى «عضد الدولة» فأعلمه ، فأخذ العقد وعلقه في عنق العطار وصلبه على باب دكانه ونودى عليه : هذا جزاء من استودع ، ثم جحد .

حضور البديهة

كان «أبو العلاء المعرى» يتعصب لأبي الطيب المتنبي ، فحضر يوما مجلس «المرتضى» فجرى ذكر «أبي الطيب المتنبي» فهضم «المرتضى»[(٦٢٤)] جانبه فقال «أبو العلاء» : لو لم يكن لأبي الطيب من الشعر إلا قوله ـــ لك يامنازلُ في القلوب منازل ـــ لكفاه ، فغضب «المرتضى» وأمر به فأُخْرج ثم قال : أتعلمون ما أراد بذكر البيت ؟ قالوا : لا . قال : عنى به قول «أبي الطيب» في هذه القصيدة :

وإذا أتتك مَذَمتي من ناقصٍ
فهي الشَّهادَةُ لى بأنى كامل

ومن ذلك ماروى عن «المهدى» وهو أن «شريك القاضى» دخل عليه يوماً فأراد «المهدى» أن يبخره بالعود فقال للخادم : أَحْضر للقاضى عوداً ،

---

(٦٢٤) لم يذكره بما هو أهل له من التقدير ونال منه .

فذهب الخادم فجاء بعود اللهو فوضعه بين يدى القاضى ، فاضطرب القاضى من ذلك وقال : ماهذا ياأمير المؤمنين ؟! قال : عود أخذه صاحب (الشرطة) فأحببنا أن يكون كسره على يد القاضى ؛ فقال «شريك» : جزاك الله خيراً ياأمير .

أفقه من «ابن قتيبة»

قال «ابن قتيبة» : جاءتنى جارية بهدية فقلت لها : قد علم مولاك أنى لاأقبل الهدية . قالت : ولم ؟ قلت : أخشى أن يستمد منى هذا العلم لأجل هديته . فقالت : مااستمد الناس من رسول الله ﷺ أكثر ، وقد كان يقبل الهدية ، فقبلتها فكانت الجارية أفقه منى ..

من نوادر المجانين

قال «ابن القصاب الصوفى» : دخلت المارستان فرأيت فيه فتى مصابا فولعت به وزدت فى الولع فاتبعته فصاح وقال : انظروا إلى شعور مطرزة وأجساد معطرة قد جعلوا الولع بضاعة والسخف صناعة . فقلت له : مَنِ السَّخِىّ ؟ قال : الذى رزق أمثالكم وأنتم لاتساوون قوت يوم ؛ قلت : من أقل الناس شكراً ؟ فقال : من عُوفى من بلية ثم رآها فى غيره فترك الشكر ، فقلت له : ما الظرف ؟ قال : خلاف ماأنتم عليه .

تحايل وَلَمْ يُفْلح

قال «أبو جعفر محمد بن الفضل» : كان فى بلدنا عجوز صالحة كثيرة الصيام والصلاة وكان لها ولد صَيْرفى(٦٢٥) منهمك على الشراب واللعب ، وكان يتشاغل بدكانه أكثر نهاره ثم يعود إلى منزله فَيُخبىء كيسه عند والدته ويمضى فيبيت فى مواضع شربه ولعبه ، فرصده بعض اللصوص على كيسه

(٦٢٥) يتاجر فى العملة شراء واستبدالا .

ليتحيل لأخذه ، فجاء وراءه فدخل إلى الدار وهو لايعلم فاختبأ فيها ، فلما سلم كيسه لأمه خرج وبقيت هى وحدها فى الدار ، وكان لها حجرة تضع فيها متاعها وكيس ابنها ، فخبأت الكيس خلف الباب وجلست فأفطرت فقال اللص : الساعة تقفل الباب وتنام وأنزل فآخذ الكيس ، وبعدما أفطرت قامت تصلى ومدت الصلاة ومضى نصف الليل ، فتحير اللص وخاف أن يدركه الصبح ، فطاف فى الدار فوجد إزاراً جديداً وبخوراً ، فأتزر بالإزار وأوقد البخور وأقبل ينزل على السلم ويصيح بصوت غليظ ليفزع العجوز — وكانت جَلْدة — ففطنت أنه لص فقالت : من هذا ؟ بارتعاد وفزع . فقال اللص : أنا جبريل رسولُ رب العالمين أرسلنى إلى ابنك هذا الفاسق لأعظه وأعامله بما يمنعه عن ارتكاب المعاصى ، فأظهرت أنها قد غشى عليها من الفزع وأقبلت تقول : يا«جبريل» سألتك إلا رفقت به فإنه واحدى ، فقال اللص : ماأرسلت لقتله ، قالت : فيم أرسلت ؟ قال : لآخذ كيسه وأؤلم قلبه بذلك ، فإذا تاب رددته عليه . فقالت : يا«جبريل» شأنك وماأُمِرْتَ به . فقال : تَنَحى عن الباب ، فتنحت وفتح هو الباب ودخل ليأخذ الكيس والمتاع ، فلما اشتغل بجمع ذلك مشت العجوز قليلا قليلا وجذبت الباب وأغلقت عليه الحجرة ، فنظر اللص إلى الموت ورام الحيلة فى نقب أو منفذ فلم يجد ، فقال : افتحى لأخرج فقد اتعظ ابنك . فقالت : يا«جبريل» أخاف أن أفتح الباب فيذهب بصرى من ملاحظة نورك ، فقال : إنى أطفىء نورى حتى لايذهب بصرك ، فقالت : يا جبريل مايعوزك أن تخرج من السقف أو تخرق الحائط بريشة من جناحك ، ولا تكلفنى أنا لإذهاب بصرى ، فأحس اللص أنها جلدة(٦٢٦) فأخذ يرفق بها ويُداريها ويبذل التوبة ، فقالت : دع عنك هذا لاسبيل إلى الخروج إلا بالنهار ، وقامت فصلّت وهو يسألها حتى طلعت الشمس وجاء ابنها وعرف خبرها وسلم اللص إلى الشرطة .

---

(٦٢٦) قوية لاتعرف الخوف والجبن والفزع .

إن بين جوانحك لَعِلْمًا

عن سفيان بن عُيَينة قال :

شكا جرير بن عبد الله البجلى إلى عمر بن الخطاب ما يلقى من النساء ، فقال : لا عليك[٦٢٧] ؛ فإن التى عندى ربما خرجت من عندها فتقول : إنما تريد أن تتصنع لقيان[٦٢٨] بنى عدى .

فسمع كلامهما ابن مسعود فقال :

لا عليكما ، فإن ابراهيم الخليل شكا إلى ربه رداءة فى خلق سارة ، فأوحى الله إليه : أن ألبسها على لباسها ما لم تر فى دينها وصمة[٦٢٩] .

بم يكمل جمال المرأة؟!

كتب الحجاج إلى ابن القرية : أن اخطب على عبد الملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، شريفة فى قومها ، ذليلة فى نفسها ، مواتية لبعلها .

فكتب إليه : قد أصبتُها لولا عظم ثديها !!

فكتب إليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها ، فتدفىء الضجيع ، وتروى الرضيع !.

---

(٦٢٧) لا حرج عليك ولا بأس .

(٦٢٨) القيان . جمع قينة ، وهى الجارية ، مغنّية أو غير مغنية .

(٦٢٩) وصمة : عيب ونقص ، وانحراف ، وعلى الإنسان أن يتقبل من زوجته مالا يرضيه منها ، فإن كره منها شيئاً أحب آخر ، إلا إذا كان ما يعيبه منها متعلقا بالدين .

لعابُ المنية

وحدث جار لِـ«أبى حيَّة النميرى» قال : كان لِـ«أبى حية» هذا سيف وليس بينه وبين العصا فرق ، وكان يسميه «لعاب المنية» فأشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيته وقد سمع حساً فى داره وهو يقول : أيها المغتر بنا المجترىء علينا بئس والله مااخترت لنفسك ، خير قليل وسيف صقيل ، وهو «لعاب المنية» الذى سمعت به ، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ، ثم فتح الباب على خوف وَوَجل فإذا به كلب قد خرج ، فقال : الحمد لله الذى مَسَخَكَ كَلْبا وكفانا حَرْباً .

من أخبار الأذكياء

وقف «إياس بن معاوية» — وكان صبياً — على قاضى دمشق ومعه شيخ فقال : أصلح الله القاضى هذا الشيخ ظلمنى وأكل مالى : فقال القاضى لإياس : ارفق بالشيخ ولا تستقبله بمثل هذا الكلام ، فقال «إياس» : إن الحق أكبر منى ومنه ومنك ، فقال القاضى : اسكت ، قال «إياس» : وإن سكت فمن يقوم بحجتى ؟؟ قال : فتكلم فو الله لاتتكلم بخير ، فقال «إياس» : لا إله إلا الله وحده لاشريك له . فبلغ ذلك الخليفة فعزل القاضى وولى «إياسا» مكانه .

ذكاءُ جارية

وخرج «ابن زياد» فى فوارس فلقوا رجلا ومعه جارية لم ير مثلها فى الحسن ، فصاحوا به : حل عَنْها ، وكان معه قوس فرمى أحدهم فهابوا الإقدام عليه ، فعاد ليرمى فانقطع الوتر ، فهجموا عليه وأخذوا الجارية ، فهرب ، واشتغلوا عنه بالجارية ، ومد أحدهم إلى أذنها وفيها قرط وفى القرط درة يتيمة لها قيمة عظيمة ، فقالت : وماقدْر هذه الدرة ؟ إنكم لو رأيتم مافى قلنسوته من الدر لاستحقرتم هذه فتركوها واتبعوه وقالوا له : أَلْقِ مافى

قلنسوتك — وكان فيها وتر قد أعده فنسيه من الدهش ، فلما ذكره ركبه فى القوس ورجع إلى القوم ، فولوا هاربين وخلوا عن الجارية ،وكان ذلك بفضل ذكائها .

لا خيرَ لك فيها ..!!

عن الشعبىّ قال : سمعت المغيرة بن شعبة يقول : ماغلبنى أحد قط إلا غلام من بنى الحارث بن كعب ؛ وذلك أننى خطبت امرأة من بنى الحارث ، وعندى شابّ منهم ، فأصغى إلى ، ثم قال : أيها الأمير ، لا خيرَ لك فيها ! فقلت : يابن أخى ، ومالها ؟

قال : إنى رأيت رجلا يُقَبّلها !!

قال : فبرئت منها ؛ فبلغنى أن الفتى تزوجها ؛ قلت : ألم تخبرنى أنك رأيت رجلا يقبلها ؟ قال : بَلَى ، رأيت أباها يقبلها !!

احلف له كما حلفت لى

جاء رجل إلى «أبى حازم» فقال : إن الشيطان يأتينى فيقول إنك قد طلقت زوجتك ليشككنى ، فقال له : أو ليس قد طلقتها ؟ قال : لا . قال : ألم تأتنى أمس فطلقتها ؟ فقال : والله ماجئتك إلا اليوم ولاطلقتها بوجه من الوجوه ، قال : فاحلف للشيطان إذا جاءك كما حلفت لى وأنت فى عافية ..

من سوء الحيل

اختصم رجلان فى شاة وقد أخذ كل منهما بأذنها ، فجاء رجل فقالا له : قد رضينا بحكمك ، فقال إن رضيتما بحكمى فليحلف كل واحد منكما بالطلاق أنه لايرجع فيما أحكم به ، فحلفا ، فقال : خلياها،فخلياها،فأخذ أذنها وساقها لنفسه ، فجعلا ينظران إليه ولايقدران على كلامه .

تركت هوى «موسى»

حكى أن «إبراهيم بن سهل الأشبيلى» كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه حتى إنه مدح النبى ﷺ قبل أن يسلم، وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وكان يصادق يهودياً اسمه «موسى» ، وأكثر فيه الشعر ، فلما أسلم صادق شابا اسمه «محمد» وترك مصادقة اليهودى ، وأنشد فى ذلك فقال :

تركت هوى موسى بحب محمـــد　　هديت ولـولا الله ماكـنت أهتـدى
وماعــن قلًى(٦٣٠) تركـــى هواه وإنما　　شريعة مُوسى عُطـلت بمحمـــد

ساعة العسرة

دخل «أبو العيناء» بلدة والصبيان يلعبون وكانوا يرمونه بالأحجار ، فوقع حجر على رأسه فشجه(٦٣١) ، فذهب لأمير البلد يشكو ، فقال له : فى أى يوم دخلت ؟ قال : فى يوم نحس مُستَمِر ، فقال : فى أى ساعة فقال : فى ساعة العسرة-فقال : فأين نزلت ؟ قال : بوادٍ غير ذى زرع ؛ فضحك الأمير وأنعم عليه .

تَصنُّعُ الفصاحة !!

كتب عامل إلى أميره فقال : اعلم أيها الأمير أعزه الله أن سلندبين ـــ أى مركبين ـــ صَفقا:أى غرقا ، فهلك من فيهما أى تلفوا .

فكتب إليه كتاباً يستخف به : ورد كتابك ـــ أى وصل ـــ وفضضناه أى فتحناه ، وفهمنا مافيه أى علمناه ، فأدب كاتبك أى أصفعه ، واصرفه أى اعزله واستبدل به أى غيره فإنه مائق أى أحمق والسلام أى قد انقضى الكتاب ،

---

(٦٣٠) قِلًى : كراهية
(٦٣١) أصاب رأسه .

فراسة طبيب

دخل بعض الأطباء على مريض وجس نبضه فقال له : لعلك تناولت شيئا من الفواكه ؟؟ قال : نعم ، فقال : لاتأكل منها فإنها تضرك ، ثم دخل عليه فى اليوم الثانى ورأى النبض قد زاد فقال : لعلك أكلت لحم دجاج ؟؟ قال المريض : نعم ، فقال : لاتأكله فإنه يضرك ؛ فتعجب الناس من حذق الطبيب واشتهر أمره ، وكان لهذا الطبيب ولد فقال : ياأبت كيف عرفت تناوله الفاكهة ولحم الدجاج ؟ قال : يابنى ماعرفت ذلك بالطب وحده بل بالطب والفراسة ، فقال : كيف عرفت بالفراسة ؟ فقال : إنى لما دخلت دار المريض رأيت على سطح الدار قشور الفاكهة ثم رأيت فى وجه المريض انتفاخا فظننت أن الفاكهة من أسباب المرض فنهيته عنها ، وماجزمت بها ، بل قلت : لعلك أكلت اليوم ، وفى اليوم الثانى رأيت على باب الدار ريشاً وفى القلب اضطرابا فعرفت أن الدجاج لايأكله إلا المريض غالباً فظهر بهذه الشواهد أنه أكل من لحمها ، وماجزمت بل قلت : لعلك أكلت ، فلما سمع ابنه ذلك أحب أن يسلك مسلك أبيه فدخل على مريض وجس نبضه فقال : لعلك أكلت لحم حمار ؟ فقال المريض : حاشا أن آكل لحم حمار وكيف يؤكل لحمه ؟! فخجل ابن الطبيب وخرج ، فلما انتهى أمره إلى أبيه أحضره : وسأله : كيف عرفت أنه أكل لحم حمار ؟؟ قال : لأنى رأيت فى دار المريض برذعة فعلمت أنها لاتكون إلا للحمار ، ثم قلت لو كان الحمار حيا لكانت برذعته عليه ، وإذا لم يكن حياً فإنهم ذبحوه وأكلوا لحمه ، فقال أبوه : إن طمع النجابة فيك محال .

الشقى السابع

مَرِضَ رجل وعنده امرأة قد مات عنها خمسة أزواج فقعدت عند رأسه تبكى وتقول : على من تتركنى ؟؟ فرفع رأسه وقال : على الزوج السابع الشقى .

من نوادر العرب

.. أتى «المأمون» برجل ادعى النبوة فقال له «المأمون» : ألكَ علامة على نبوتك؟ قال : علامتى أنى أعلم مافى نفسك ، قال : ومافى نفسى ؟ قال : فى نفسك أنى كاذب ، قال : صدقت ثم أمر به إلى السجن فأقام فيه أياما ثم أخرجه فقال له : وهل نزل الوحى إليك بشىء ؟ قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : لأن الملائكة لاتدخل السجن فضحك منه «المأمون» وأطلقه .

ارفع الطعام

.. خرج أعرابى قد ولاه «الحجاج» بعض النواحى فأقام بها مدة طويلة فلما كان فى بعض الأيام ورد عليه أعرابى من حيه فقدم إليه الطعام — وكان إذ ذاك جائعا — فسأله عن أهله فقال : ماحال ابنى «عمير» ؟؟ قال : على ماتحب قد ملأ الأرض والحى رجالا ونساءً . قال : فما فعلت «أم عمير» ؟ قال : صالحة أيضا . قال : فما حال الدار ؟؟ قال : عامرة بأهلها . قال : وكلبنا إيقاع.؟؟ قال : قد ملأ الأرض نُباحاً ، قال : فما حال جملى زُرَيق ؟؟ قال : على مايَسرك . فالتفت إلى خادمه وقال : ارفع الطعام ، فرفعه ولم يشبع الأعرابى ثم أقبل عليه يسأله فقال : يامُبارك الناصية أعِدْ علىّ ماذكرت ، قال : سل عَما بدا لَكَ ، قال : فما حال كلبى ؟! قال : مات ، قال : وما الذى أماته ؟ قال : اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال : أو مات جملى زريق ؟ قال : نعم . قال : ومالذى أماته ؟ قال : كثرة نقل اللّبِن إلى قبر «أم عمير» قال : أو ماتت أم عمير ؟ قال : نعم ، حُزناً على «عمير» ، قال : أو مات «عمير» ؟ قال نعم ، قال : ومالذى أماته قال : سقطت عليه الدار . قال أو سقطت الدار ؟ قال : نعم . وعند ذلك قام عليه بالعصا فولى من بين يديه هاربا .

أضاعت عقلها

قيل لحجا[٦٣٢] : إن امرأتك قد أضاعت عقلها !

فأطرق يتأمل ، وقام إلى داره يبحث فيها !

قالوا له : ماذا تصنع يا جحا ؟ زعم تبحث ؟

قال : إنكم تقولون : إنها أضاعت شيئاً ، ولين يكون ذلك عقلها !؛ فإننى لاأعرف لها عقلاً تضيعه !!

قد والله استحييت

.. وسافر مرة مع رجل من التجار فلبث «أشعب» معه طول الطريق ينزلان ويقومان والرجل فى كل يوم يحضر الطعام ويجهزه و «أشعب» لا يصنع شيئاً ، فقال له الرجل ذات يوم : قم اليوم فاطبخ ، فقال «أشعب» : لا أُحْسِنُ ذلك ، فطبخ الرجل ثم قال لأشعب : قم فأثرد ، فقال «أشعب» : والله كسلان ، فثرد[٦٣٣] الرجل ثم قال : قم فاغرف ؛ فقال «أشعب» : أخشى أن ينقلب على ثيابى ، فغرف الرجل ثم قال لأشعب : قم الآن فكل . فنهض «أشعب» مُسرعا قائلا : قد والله آستحييت من كثرة خلافى عليك . وتقدم إلى الأكل فقام فيه مقام رجلين .

لَحْنُ «الوليد بن عبد الملك»

.. كان «الوليد بن عبد الملك» يَلْحَنُ فى كلامه فدخل أعرابى عليه يوما وعنده «عمر بن عبد العزيز» فقال له : من أنت ـــ بوصل الهمزة ـــ مَنَ

---

(٦٣٢) أخذ ظرفاء العرب .

(٦٣٣) صنع لهم ثريداً وهو الخبز المسقى بشربة اللحم .

أنت ـــ فظن الأعرابى أنه يقول مَننت . فقال : المنة لله ثم لأمير المؤمنين فقال «عمر» : إن أمير المؤمنين يقول لك : مَنْ أنت ؟! قال : فلان ابن فلان ، فقال «الوليد بن عبد الملك» : ماشانك ؟؟ ـــ وفتح النون ـــ قال : جُدرى فى وجهى وفج بساق . قال «عمر» : وَيْحك إن أمير المؤمنين يقول لَكَ ماشأنك ؟ ـــ وَضَمَّ النون ـــ قال الأعرابى : ظلمنى ختنى (زوج ابنتى) قال «الوليد» : ومن ختنك ـــ وفتح النون ـــ قال : وماسؤالك عن ذلك ياأمير المؤمنين ؟ ثم قال : ختننى حجام عندنا بالبادية ، قال «عمر» : إن أمير المؤمنين يقول لك : من ختنك[٦٣٤] وضم النون ـــ قال : فلان .

قيمة الدرهم

سأل رجل خالد بن صفوان فأعطاه درهما ، فاستقله السائل . فقال خالد : ياأحمق ، إن الدرهم عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف عشر العشرة آلاف ، وعشرة الآلاف عشر المائة ألف ، والمائة ألف عشر المليون !! أرأيت قيمة ماأعطيتك ؟!

حسن التخلص

.. أُتى «الحجاج» برجل ليقتله وبيده لقمة فقال : والله لا أكلتها ، فقال : خير من ذلك تطعمنيها ولا تقتلنى فتكون قد بررت فى يمينك ومَنَنْتَ علىّ . قال «الحجاج» : ادن ، فدنا فأطعمه إياها وخلّى عنه .

الظبى والبدر

ودخل رجل ومعه جارية على «الرشيد» ليبعها له فرأى فى وجهها كلفاً

(٦٣٤) الختن : أبو الزوجة وأخوها وأصهار الرجل وكل من كان من قبل المرأة وزوج الابنة .

وفى أنفها خنساً فردها عليه ، فقالت : ياأمير المؤمنين اسمع منى بيتين ، وأنشدت تقول :

ماسَلِمَ الظبى على حُسنه
كلا ولا البدر الذى يوصف
الظبى فيه خنس بين
والبدر فيه كلف يعرف

فأعجبه ذلك فاشتراها .

طلق خمس نسوة !!

.. قال «الأصمعى» للرشيد : ياأمير المؤمنين بلغنى أن رجلا من العرب طلق فى يوم واحد خمس نسوة ، فقال : وكيف ذلك وإنما لايجوز للرجل غير أربعة ؟ قال : كان متزوجا بأربعة فدخل عليهن فوجدهن متنازعات ، وكان شِرِيرا فقال : إلى متى هذا النزاع ماأظن هذا إلا من قبلك يافلانة ـــ لامرأة مِنهن ـــ اذهبى فأنت طالق ، فقالت له صاحبتها : عَجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح ، فقال : وأنت أيضا طالق ، فقالت له الثالثة : قبحك الله فو الله لقد كانتا إليك مُحْسنتين ، فقال لها : وأنت أيضا أيتها المعدِّدة أياديهما طالق ، فقالت الرابعة : ضاق صدرك إلا أن تُؤدِّب نساءك بالطلاق فقال لها : وأنت طالق أيضا ، فسمعته جارة فأشرفت عليه وقالت له : والله ماشهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف إلا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم ، أبيت إلا طلاق نسائك فى ساعة واحدة ، فقال لها : وأنت أيتها المتكلمة فيما لايعنيك طالق إن أجازنى بعلك فأجابه زوجها : لقد أجَزْتُك ؛ فَعَجبَ «الرشيد» من ذلك .

مُستَجديا لا مستفتيا

اعترض رجل «المأمون» فقال : أنا رجل من العرب ، فقال ليس بعجيب ، قال . أريد الحج قال : الطريق أمامك ، قال : ليس معى نفقه ،

قال : سَقَطَ عنك الغرض ، قال : جئتك مستجديا لا مستفتيا ، فضحك وَبَرَّهُ .

كنا مَجْنُونَيْن صِرْنا ثلاثة

دخل «بهلول» المجنون على «الرشيد» وعنده «عليان» وكان أيضا مجنونا ، فكلمهما «الرشيد» فأغلظا له القول ، فأمر بالنطع(٦٣٥) والسيف ، فقال «عليان» : كنا مجنونين فَصِرْنا ثلاثة ؛ فَضَحِكَ الرشيد وعفا عنهما .

نسلم ويسلمون

كان «إبراهيم النخعي» في طريق فلقيه «الأعمش» فانصرف معه فقال له : يا«إبراهيم» إن الناس إذا رَأَونا قالوا : «أعمش» و«أعور» فقال : ماعليك أن يأثموا وتؤجر . قال «الأعمش» : وماعليك أن يسْلموا وَنسْلم .

أحْسَنَتْ

قال رجل لابنه : يابن الحجامة ، فقال : أما هي فقد أحسنت التخير ، وأما أنت فلم تحسن !

ذلك مثل هذا

قال رجل لِـ«إياس بن معاوية» : لو أكلتُ التمر تضربني ؟ قال : لاقال : لو شربت قدراً من الماء تضربني ؟ قال : لا قال : شراب التمر (يعني النبيذ) أخلاط منهما فكيف يكون حراما ؟ قال «إياس» : لو رميتك بالتراب

---

(٦٣٥) بساط من جلد

أيُوجع ؟ قال : لا ، قال : لو صُبَّ عليك قِدْر من الماء ينكسر عضو مِنك ؟ قال : لا ، قال : لو صَنَعْتُ من الماء والتراب لَبِناً فَجَفَّ فى الشمس وضربت به رأسك كيف يكون ؟ قال : ينكسر الرأس ، قال : ذاك مثل هذا .

ألم يكفك الجهل ؟؟

ذكر أن «السرى بن المقلس» قرأ على مؤدبه ﴿**ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا**﴾(٦٣٦) فقال : ياأستاذ ما الورد ؟ فقال له المؤدب : لا أدرى ؛ فقرأ ﴿**لايملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا**﴾(٦٣٧) فقال له : ياأستاذ ما العهد ؟؟ فقال المؤدب : لاأدرى ، فقطع «السرى» القراءة وقال : إذا كنت لاتدرى فلم غررت بالناس ؟ فضربه المؤدب فقال له : ياأستاذ ألم يكفك الجهل حتى أضفت إليه الظلم والأذى ؟ فآستحله المؤدب وتاب إلى الله ، وأقبل على طلب العلم .

من أحسن ماقيل فى وصف الكلب

قال «محمد بن حرب» : دخلت على «العتابى» فوجدته جالسا على حصير وبين يديه شراب فى إناء وكلب رابض بالفناء بحياله ويشرب كأسا ويولغ الكلب أخرى ، فقلت : ماالذى أردت لما اخترت ؟ فقال : اسمع — إنه يكف عنى أذاه ويكفينى أذى من سواه ، ويشكر قليلى ؛ ويحفظ بيتى ومقيلى ، وهو من بين الحيوان خليلى ؛ قال «محمد بن حرب» : فتمنيت أن أكون كلباً له لأحوز هذا النعت منه .

إن كُنْتَ خالقاً فارحم

لما هاجم «ابن حمران» مِصْر فى أيام «المستنصر بالله» وأحرق دار الزيت

(٦٣٦) مريم : ٨٦ . وِرْداً : عِطَاشاً كما يقول الطبرى .
(٦٣٧) مريم : ٨٧ . عهداً : بالإيمان وتصديق رسله

وتخطف عسكره ، اجتمع الناس إلى «أبى الفضل الجوهرى» الواعظ فشكوا إليه حالهم فكتب إلى «المستنصر» : إن كنت خالقاً فارحم خَلْقَك ، وإن كنت مخلوقاً فخف خالقك ، والسلام . فرفع ذلك البلاء عنهم .

الثقيل

قيل لأنوشروان : ما بال الرجل يحمل الحمل ولا يحتمل مجالسة الثقيل ؟ قال : لأنه يحمل الحمل بجميع الأعضاء ، والثقيل تنفرد بحمله الروح ..

وعاد «الشعبىَّ» ثقيلٌ فأطال الجلوس فقال : ماأشد مامر عليك فى مرضك ؟ فقال : قُعُودك عندى .

قال ثقيل لمريض : ماتشتهى ؟ قال : ألا أراك .

يهجو نفسه

دخل «أبو دلامة» على «المهدى» وعنده « إسماعيل بن على» و«عيسى ابن موسى» و«العباس بن محمد» وجماعة من «بنى هاشم» فقال « المهدى» : والله إن لم تهجُ واحداً مِمَّنْ فى هذا البيت لأقطعن لسانك . فنظر إلى القوم وتحير ، ولما علم انهم جميعا محل رضا «المهدى» ازدادت حيرته فأقبل على نفسه يهجوها فقال :

ألا أبلـــغ لديك «أبـــا دلامــــة»
فَلَسْت من الكـــــرام ولا كرامــــــة
جَمَــعْتَ دَمامَــةً وجَمَــعْتَ لؤمـــاً
كذاك اللـــؤم تتبعـــه الدمامـــــة
إذا لبس العمامـــــــــة قلت قرد
وخنزيـــــــر إذا نزع العمامــــــة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازَهُ .

حُسْن التدبير

دخل لصوص بيتا فلما ظفروا بصاحبه أُوْقفوه للقتل أو أخذ مافى البيت ، فَرَضِى بما فى البيت لهم ، فحلفوه بالطلاق الثلاث أن لايعلم بهم أحداً ، ففعل ، فلما أصبح وجدهم يبيعون متاعه ولايقدر أن يتكلم . فجاء إلى «أبى حنيفة» رضى الله عنه فأعلمه بحاله فقال : أحضر أكابر حَيك وأذْنِ جيرانك وإمام جماعتك ، فلما حضروا قال لهم «أبو حنيفة» : هل تحبون أن يرد الله على هذا الرجل متاعه ؟ قالوا : نعم فقال : اجمعوا اللصوص فيكم فأدخلوهم المسجد ثم أخرجوهم واحداً واحداً ، وكلما خرج منهم واحد قولوا : هذا لِصُّك ؟؟ فإن كان ليس بلِصِّه قال : لا ، وإن كان لِصَّهُ فليسكت واقبضوا عليه ، ففعلوا ذلك فرد الله عليه ماسرق منه .

«رَجَعَ بخفى حنين»

كان «حنين» رجلا إسكافيا فساومه أعرابى بِخُفين ولم يشتر منه شيئاً ، وغاظه ذلك فخرج إلى الطريق التى لابد للأعرابى من المرور فيها ، فعلق الفردة الواحدة منهما فى شجرة على طريقه وتقدم قليلا فطرح الفردة الثانية واختفى ، فجاء الأعرابى فرأى أحد الخفين فوق الشجرة فقال : ماأشبهه بخفى «حنين» لو كان معه آخر لتكلفت أخذه ، وتقدم فرأى الثانى مطروحا فنزل وعقل(٦٣٨) بعيره وأخذه ورجع ليأخذ الأول فخرج «حنين» من الكمين فأخذ بعيره وذهب ، ورجع الأعرابى إلى ناحية بعيره فلم يجده فرجع «بخفى حنين» فصارت مثلا .

كل مخلوق يموت

لما استمرت مشكلة القول بخلق القرآن . إلى عهد «الواثق» وانتقلت

---

(٦٣٨) العقال : القيد ، وفى الحديث : اعقلها وتوكل . وهو أن تثنى الوظيف (الخف) مع الذراع فتشدهما جميعا فى وسط الذراع بحبل وذلك هو العقال كما يقول الفيومى فى مصباحه .

المسألة من الجد إلى الهزل ، دخل «عبادة» المضحك على «الواثق» فقال : يأمير المؤمنين ، أعظم الله أجرك فى القرآن ، قال : ويلك القرآن يموت ؟ فقال : يأمير كل مخلوق يموت ، بالله يأمير المؤمنين من يصلى بالناس التراويح إذا مات القرآن ، فضحك الواثق ثم أبطل القول بخلق القرآن .

ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله

حُكى أن خدم بعض الملوك وجدوا طفلا فى الطريق فالتقطوه فأمر الملك بتربيته وضمه إلى أهل بيته وسماه (أحمد اليتيم) ، فلما نشأ ظهرت عليه أمارات النجابة والذكاء فهذبه وعلمه ؛ ولما حضرته الوفاة أوصى به ولى عهده فضمه إليه واصطفاه وأخذ عليه العهد أن يكون له وفياً وخادما أمينا ، وبعد ذلك قدمه فى أعماله فصار حاكما على جميع حاشية الأمير ، ومتصرفا فى شئون قصره .

وفى أحد الأيام أمره أن يحضر شيئاً من بعض حجراته ، فذهب ليحضره فرأى بعض جوارى الأمير الخاصة به مع شاب من الخدم يفسقان ويزنيان ، فتوسلت إليه الجارية أن يكتم هذا الخبر ووعدته بكل مايطلب ، وراودته عن نفسه لتأمن شره ، فقال لها : معاذ الله أن أخون الأمير ؛ وقد أحسن إلى ، ثم تركها وانصرف على أن يكتم السر ، لكن الجارية أوجست فى نفسها خيفة وتوهمت أن «أحمد اليتيم» سيفشى أمرها للأمير فما كان منها إلا أن انتظرت الأمير حتى حضر إلى قصره ثم ذهبت إليه باكية شاكية فسألها ماخبرها ؟ فقالت : إن «أحمد اليتيم» راودها عن نفسها ، وكان يريد أن يقهرها على الزنا ، فلما سمع الأمير ذلك غضب واشتد غضبه ، وعزم على قتله ؛ ثم دبر قتله فى الخفاء حتى لايعلم الناس بقتله وبسبب هذا القتل ؛ فقال لكبير خدمه : إذا بعثت إليك أحداً بطبق يطلب منك كذا وكذا فاقطع رأسه وضع الرأس فى الطبق ؛ وابعث به إلى . فأجاب الخادم بالسمع والطاعة .

وفى يوم من الأيام أحضر الأمير «أحمد اليتيم» وقال له : اذهب إلى فلان الخادم ، وقل له يعطيك كذا وكذا ، فامتثل الأمر وذهب ، إلا أنه لقى فى طريقه بعض الخدم فأرادوا أن يحكموه بينهم فى أمر ، فاعتذر وقال : إنه مكلف بقضاء أمر الأمير ، فقالوا : نبعث فلاناً الخادم نائباً عنك ليحضر ماتطلبه حتى تفصل فى شأننا ، فأجابهم إلى ماطلبوا ، فأرسلوا واحدا منهم هو الشاب الذى سبق له الزنا بالجارية ، فلما ذهب أخذه رئيس الخدم إلى المكان الذى أعده ثم قطع رأسه على غرة ثم وضعها فى الطبق وغطاه وجاء به إلى الأمير ، فلما أبصر الطبق رفع الغطاء فرأى رأسا غير رأس «أحمد اليتيم» ، فأحضر الأمير «أحمد اليتيم» فسأله عما فعل ، فأخبره بما كان ، فقال الأمير : أتعرف لهذا الخادم ذنبا ؟ فقال : نعم إنه فعل كذا وكذا مع الجارية وقد سألانى بالله ثم بك أن أكتم الخبر ، فلما سمع الأمير ذلك أمر بقتل الجارية وعاد إلى ماكان عليه من محبة «أحمد» وإكرامه ، وكانت هذه عاقبة الوفاء ، ونهاية الخيانة **﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾**(٦٣٩) ..

سرّنا بكلام ونسرّهُ بكلام

قال «الجاحظ» : حدثنى «محمد بن يسير» عن والٍ كان بفارس قال : بينا هو يوما فى مجلس وهو مشغول بحسابه وأمره وقد احتجب عن الناس إذ ظهر شاعر بين يديه ، فأنشده شعرا مدحه فيه وقرظه ومجده ، فلما فرغ قال : قد أحسنت ، ثم أقبل على كاتبه فقال : أعطه عشرة آلاف درهم ، ففرح الشاعر بذلك فرحا شديداً ، فلما رأى الأمير حاله قال لكاتبه : اجعلها عشرين ألف درهم ؛ فكاد الشاعر يخرج من جلده ، فلما رأى فرحه قد تضاعف ، قال لكاتبه : أعطه يافلان أربعين ألفاً ، فكاد الفرح يقتله ، فلما رجعت إليه نفسه قال :

---

(٦٣٩) فاطر : ٤٣

جُعِلْتُ فداك أنت رجل كريم ، ثم دعا له وخرج فى انتظار العطاء ؛ ثم أقبل على الأمير كاتبه فقال : سبحان الله هذا كان يرضى منك بأربعين درهما فتأمر بأربعين ألف درهم !! قال : ويلك أو تريد أن تعطيه شيئاً ؟ فقال : أو من إنفاذ أمرك بد ؟ قال : ياأحمق إنما هذا الرجل سرَّنا بكلام وسررناه بكلام ، هو حين زعم أنى أحسن من القمر وأشد من الأسد وأن لسانى أقطع من السيف وأن أمرى أنفذ من السنان جعل فى يدى من هذا شيئاً أرجع به إليه ، ألسنا نعلم أنه قد كذب ، ولكنه سرنا حين كذب لنا ، فنحن أيضاً نسره بالقول ونأمر له بالجوائز ، وإن كان كذبا بكذب ، وقولا بقول . فأما أن يكون كذب بصدق وقول بفعل فهذا هو الخسران الذى ماسمعت به ، ولم يعطه شيئاً سوى الكلام !! .

شؤم المعصية

احتضر بعض العصاة وكان كلما قيل له : قل لا إله إلا الله يقول هذا البيت :

يارُبَّ قائلةٍ يَوْماً وقد تعبت
أيْن الطريق إلى حَمّام منجاب

وسبب ذلك أن امرأة عفيفة حسناء خرجت إلى حمام معروف بحمام منجاب ، فلم تعرف طريقه وتعبت فى المشى ، فرأت رجلا على باب داره فسألته عن الحمام فقال : هو هذا وأشار إلى باب داره . فلما دخلت أغلق الباب عليها ، فلما عرفت بمكره أظهرت كمال السرور والرغبة وقالت له : اشتر لنا شيئاً من الطيب وشيئا من الطعام وعجل العودة إلينا . فلما خرج واثقاً بها وبرغبتها خرجت وتخلصت منه ، فانظر كيف منعته هذه الخطيئة عن الإقرار بالشهادتين عند الموت مع أنه لم يصدر منه إلا إدخال المرأة .

قُرْبُ العبد من ربه

قال الله تعالى : ﴿واسجد واقترب﴾[٦٤٠] . وقال ﷺ : **«أقرب مايكون العبد إلى ربه وهو ساجد ، فادعوا ربكم فى سجودكم»**[٦٤١] وقال «ابن عباس» رضى الله عنهما : (أقرب مايكون العبد إلى الله إذا سأله ، وأبعد مايكون من الناس إذا سألهم) ..

فائدة العصا

لقى «الحجاج» أعرابيا فقال : مابيدك ؟ فقال : هى عصاى أركزها لصلاتى وأعدها لعداتى ، وأسوق بها دابتى ، وأقوى بها على سفرى ، وأعتمد عليها فى مشيتى ليتسع خطوى ، وأعبر بها النهر ، وتؤمننى العثر ، وألْقى عليها كسائى فيقينى الحر ، ويجنبنى القر[٦٤٢] ، وتدنى لى مابعد ، وهى محمل سفرتى وعلاقة إداوتى[٦٤٣] ، أقرع بها الأبواب ، وألقى بها عَقُور الكلاب ، وتنوب عن الرمح فى الطعان ، وعن السيف عند منازلة الأقران[٦٤٤] ، ورثتها عن أبى ، وسأورثها ابنى من بعدى وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخرى ..

مارأى السلطان مثلها

أهدى شريف مكة إلى السلطان «صلاح الدين الأيوبى» هدايا ، وكان رسوله يخرجها واحدة واحدة يعرضها على الملك ، فأخرج مروحة من خُوص النخل وقال : أيها الملك هذه مروحة مارأى الملك ولا أحد من آبائه مثلها ، فاستشاط السلطان غضباً وتناولها منه وإذا عليها مكتوب :

---

(٦٤٠) العلق : ١٩

(٦٤١) رواه مسلم فى الصلاة ٢١٥ . والنسائى فى المواقيت ٣٥ . والترمذى فى الدعوات ١١٨ . وأحمد ٢/ ٤٢١ .

(٦٤٢) القر : البرد .

(٦٤٣) إناء الماء.

(٦٤٤) مقاتلة الشجعان.

أنـــا مِنْ نَخْلَـــةٍ تُجـــاوِرُ قَبْـــراً
سادَ فيــه سائـــر النـــاس طُرّا
شَمَلَتْنــي سعـــادَةُ القَبْـــر حتـــى
صِرْت في راحــة ابــن أيــوب أُقْـــرَا

فعرف السلطان أنها من خوص النخل الذى فى مسجد رسول الله ﷺ فقبلها السلطان ووضعها على رأسه وقال للرسول : صدقت .

فضـل «على»

قال ﷺ : «**إن الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب**» أخرجه الطبرانى . وقال ﷺ «**على منى بمنزلة رأسى من جسدى**» أخرجه البزار والديلمى ؛ وقال ﷺ : «**الزموا مودتنا أهْلَ البيت فإن من يلقى الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا ، والذى نفسى بيده لاينفعُ عبدا عمله إلا بمعرفة حقنا**» أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

كَرِه أن يلقى ربه بِدَمِ رَجلين

أراد قصَّاب أن يذبح كبشا فلما هم بذبحه أفلت من يده ، فذهب يطلبه ، فلما انتهى إلى خربة وجد فيها رجلا مذبوحا يتخبط فى دمه ففزع وولى هاربا ؛ وإذا بصاحب الشرطة يطلب القاتل فلم يجد سوى هذا القصاب والسكين بيده ، فقبض عليه ، فما استطاع أن ينفى عن نفسه شبهة القتل ؛ فلما قُدّم للقتل وهموا بقتله اندفع رجل من الحاضرين فقال لهم : لاتقتلوه ، أنا قتلته . فقال له الحاكم : لم اعترفت وكنت معافى ؟ قال : رأيت هذا الرجل يَقْتل ظلماً فكرهت أن ألقى ربى بدم رجلين ، ثم قال للرجل المظلوم : مادعاك إلى الاعتراف وأنت برىء ؟ فقال : ماحيلتى وقد رأونى وبيدى السكين ، فإن أنكرت من يقبلنى ؟ وإن اعتذرت من يعذرنى ؟ ..

الفَرَجُ بعد الشدة

أُتى « يزيد بن عبد الملك » برجل فأراد قتله فقال :

عَسى فَرَجٌ يأتى به الله إنـــه
لَهُ كُل يوم فى خليقتــه أمــر

فقال « يزيد » : والله لأضربن عنقك اقتلوه ، فلما هموا بقتله دخل « الهيثم ابن الأسود » فقال : ياأمير المؤمنين هَبْ مُجْرِمَ قَوْمٍ لوافدهم فقال : « هولك » ، فخرج الرجل وهو يقول: (يأبى على الله ، فأبى الله أن يقبله) .

من الساعة إلى الساعة فرج

وأحضر رجل ليقتل فى عهد (نازوك) فدعا الرجل بطعام فأخذ يأكل ويضحك فقيل له : تضحك وأنت مقتول ؟ فقال : (من الساعة إلى الساعة فرج) ، ولم يعقب هذا إلا صيحة قالوا بعدها : مات نازوك ، وأفرج عن الرجل .

الرُّسُـل الثـلاثة

كان « يعقوب » على نبينا وعليه الصلاة والسلام مؤاخياً لملك الموت ، فقال له يوما : إنى أسألك حاجة . قال : وماهى ؟ قال : أن تعلمنى إذا دنا أجلى ، فقال : « نعم ، أرسل لك رسولين أو ثلاثة » فلما انقضى أجله أتاه ملك الموت فقال له : أزائراً جئت أم قابضاً فقال : (قابضا) ، فقال : أو لست كنت أخبرتنى أنك ترسل إلى رسولين أو ثلاثة ؟ قال : قد فعلتُ : (بياض شعرك بعد سواده ؛ وضعف بدنك بعد قوته ، وانحناء جسمك بعد استقامته ، هذه رسلى يا« يعقوب » (إلى بنى آدم) .

لا أبيع الدين بالتين

كان «مالك بن دينار»[٦٤٥] يمشى فى سوق «البصرة» فرأى التين فاشتهاه ولم يكن معه نقود يشترى بها، فخلع نعله وأعطاه لبائع التين، فقال: لايساوى شيئاً، فأخذ «مالك» نعله وانصرف، فقيل للرجل إنه «مالك بن دينار»، فملأ الرجل طبقا من التين وأعطاه لغلامه ثم قال له: الحق بمالك بن دينار فإن قبله منك فأنت حر، فعدا الغلام وراءه، فلما أدركه قال له: اقبل منى، فأبى، قال: اقبل فإن فيه تحريرى، فقال «مالك»: إن كان فيه تحريرك فإن فيه تعذيبى، فألح الغلام عليه، فقال: حَلَفْت أن لاأبيع الدين بالتين، ولا آكل التين إلى يوم الدين..

هَجَمْتُم على مانهاكم عنه

قال «عبد الله بن عبد الرحمن» كنت عند «سهل بن عبد الله التسترى» ــ الصوفى ــ، وهو يتكلم على الناس، فوقف علينا غلام جميل فمد بعض الناس عينه بنظرة ووافقه جماعة فى النظر، فقال «سهل»: مهلا أيها الناس لاتغتروا بحلم الله عنكم وإمهاله لكم فيصيبكم مثل ماأصاب قوم «نوح» أو قوم «هود» أو قوم «صالح»، وماقوم «لوط» منكم ببعيد، فاستغفروا ربكم ثم توبوا إليه، فإنكم هجمتم على مانهاكم عنه، فإن عدتم إلى أمره أقام لكم على حلمه، وإن تماديتم فى شهواتكم لم آمن عليكم عقوبة تأتى إليكم فإنه ذو مغفرة وذو عقاب أليم فغلبهم البكاء وأعلنوا التوبة والإنابة إلى الله تعالى.

○ قال رجل لصديق له ــ وقد أكثر عليه الإلحاح فى الطلب ــ: جئتُكَ فى حاجة صغيرة، فقال له: دَعها حتى تكبر.

○ دخل بعض الشعراء على الأديب الشاعر «ابن نُباتَة» فرأى فى نواحى

---

(٦٤٥) «مالك بن دينار» ــ البصرى ــ، أبو يحيى، من رُواة الحديث، كان ورعاً شديد الورع، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة. كانت وفاته سنة (١٣١)هـ.

منزله نَملاً كثيرا فأنشد يقول :

مالى أرى منـــــــزل المولى الأديب به

نمل تجمـــع فى أرجائـــه زمـــرا

فأجابه «ابن نباته» بقوله :

لاتعْجَبَـــن إذن من نمل منزلنـــا (٦٤٦)

فالنمل من شأنها أن تتبـــع الشُّعَـــرَا

أفلتت من خطيب — وهو يخطب الناس — ريح ، فقال : أيها الناس إن الله خلق أبداناً وجعل فيها أرواحا فمتى يتمالك الناس أن تخرج منهم ؟ فقام رجل فقال : أما بعد فإن خروج الأرواح فى المراحيض سُنَّة ، وعلى المنابر بدعة ، وأستغفر الله لى ولكم .

دخل «أبو علقمة» النحوى على الطبيب فقال : إنى أكلت من لحوم الجوازى وطسئت طسأة فأصابنى وجع بين الوابلة إلى دأبة العنق فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء ؟؟

قال الطبيب : نعم خذ خونقاً وسربقاً ورقرقا فآغسله واشربه بماءٍ ، فقال «أبو علقمة» : لاأدرى ماتقول : فقال الطبيب : أنا لادريت ماقُلْتَ .. !!

شوهد مؤذن يؤذن من رقعة فى يديه فقيل له : أما تحفظ الأذان ؟؟ قال : سلوا القاضى ، فأتوه فقالوا : السلام عليكم ، فأخرج دفترا وتصفحه ثم قال : وعليكم السلام ورحمة الله !!!

من عجائب الأقدار

سبحان من قتل الأمير وأحيا الأسير

وجه «سليمان بن عبد الملك» «محمد بن يزيد» إلى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الأموال ، فضيق على «يزيد بن أبى مسلم» فلما ولى «يزيد

(٦٤٦) تورية لطيفة ، إشارة إلى تتابع سورتى «النمل» و«الشعراء» فى القرآن الكريم .

ابن عبد الملك» الخلافة ولى «يزيد بن أبى مسلم» أفريقيا فاستخفى منه «محمد بن يزيد» فطلبه «يزيد» فأتى به فى شهر رمضان عند المغرب ، وفى يد «يزيد» عنقود عنب ، فقال لمحمد : والله لطالما سألت الله تعالى أن يمكننى منك بغير عهد ولا عقد ، فقال «محمد» : وأنا والله لطالما سألت الله أن يجيرنى منك ويعيذنى ، فقال «يزيد» : فو الله ماأجارك ولا أعاذك وإن سابقنى ملك الموت إلى قبض روحك لسبقته : والله لا أكلت هذا العنقود حتى أقتلك ، فأقام المؤذن الصلاة فوضع «يزيد» العنقود وتقدم ليصلى ، وكان أهل أفريقيا يحقدون عليه ، فلما ركع ضربه رجل على رأسه بعمود فقتله ؛ وقيل لمحمد بن يزيد : اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الأمير وأحيا الأسير .

وكان «ناصر الدولة» يشكو من وجع (القولنج)[٦٤٧] فأعيا الأطباء ولم يجدوا له شفاء ، فدس السلطان عليه من يقتله ، فلما جاء فى بعض دهاليز القصر وثب عليه المأمور بقتله وضربه بخنجر فجاءت الضربة فى أسفل خاصرته فأصاب الخنجر المعى الذى فيه (القولنج) فخرج مافيه من الخلط ، فشفاه الله تعالى وصح وبرىء كأحسن ماكان .

وَصَلَ فى عافية

ونزلت سفن العدو بساحل مدينة «برقة» فأخذوا جماعة من المسلمين ، قتلوا بعضهم وأسروا بعضهم ، فأخذ رجل منهم وشد كتافه من خلفه وعمد إليه رجل من الأعداء فرفسه وألقاه فى البحر ثم طعنه برمح كان معه ، فلم يخطىء نصل الرمح الكتاف فقطعه وانحلت يد الرجل ، فسبح حتى لحق بالساحل سليما ووصل فى عافية .

النافذة

وكان رجل يمشى ببغداد فبينما هو فى الطريق إذا بدار قد وقعت عليه فخرت

(٦٤٧) داء يصيب «القولون» الأمعاء الغليظة .

كالجبل العظيم ، وإذا فى الحائط نافذة ، فما أخطأت رأسه ، فسارت الدار كوما ، وخرج الرجل من النافذة سليما معافى .

مات لساعته

ونزلت قافلة بقرية خربة فآوت إلى دار منها وفيها حائط مائل قد أشرف على الوقوع ، فقال رجل منهم لأهل القافلة : ياهؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ، فأبوا ذلك ، وبات الرجل بعيداً عنهم ، فلما أصبحوا فى عافية وحملوا متاعهم فبينما هم كذلك إذ دخل ذلك الرجل الحائط فخر عليه فمات لساعته ..

لدغة عقرب

وجلس جماعة لبعض شأنهم فإذا عقرب يدب فضربه بعض الحاضرين بمقرعة كانت معهم ثم رفع المقرعة إلى نحو عنقه فإذا بالعقرب قد ثبت فى أهداب المقرعة وهو لايشعر ، فلدغته فى عنقه ، فقضى مكانه .

مارأيت كاليوم

خرج «الحجاج» ذات يوم إلى الصحراء وحضر غداؤه فقال : اطلبوا من يتغدى معي ، فطلبوا أعرابياً فأتى به فقال : السلام عليكم فقال «الحجاج» : هلم أيها الأعرابى !! قال : دعانى من هو أكرم منك فأجبته ، قال : ومن هو ؟ قال : دعانى الله ربى إلى الصوم فأنا صائم ، قال : أوصوم فى مثل هذا اليوم الحار ؟ قال : صمت ليوم هو أحر منه قال : فأفطر اليوم وصم غداً ، قال : ويضمن لى الأمير أنى أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذاك إليه سبيل ، قال : فكيف تسألنى عاجلا بآجل ليس إليه سبيل ؟ قال : إنه طعام طيب قال : والله ماطيبه خبازك ولا طباخك ولكن طيبته العافية ، قال «الحجاج» : والله مارأيت كاليوم أخرجوه عنى .

قُلِ الحق

قدم أعرابى إلى السلطان فقال له : قل الحق وإلا أوجعتك ضربا فقال : وأنت فاعمل به فوالله ما أوعدك الله على تركه أعظم مما تتوعدنى به .

من محاسن الحيل

الحيل : هى الشىء الذى يتخلص به الشخص من الحرام ويخرج به إلى الحلال ، فما كان من هذا ونحوه فلا بأس به .

قال الشعبى : لابأس فى الحيل فيما يحل ويجوز .

صور من الحيل

من حيل سيدنا سفيان الثورى أنه حضر مجلسا فلما أراد الخروج منعوه فحلف أن يعود ، ثم خرج وترك نعله كالناسى لها فلما خرج عاد فأخذها وانصرف ولم يعد إلى المجلس وبرهم فى يمينه .

زوجة ساذجة

ورأت امرأة «عبدالله بن رواحة» زوجها على جارية له فذهبت وجاءت بسكين فصادفته وقد قضى حاجته فقالت : لو وجدتك على الحال التى كنت عليها لوجأتك(٦٤٨) فأنكر ماتدعيه ، قالت : فاقرأ القرآن إن كنت صادقاً قال :

شهدت بأن وعد الله حق   وأن النار مثوى الكافرينا

قالت الساذجة : آمنت بكتاب الله وكذبت بصرى ؛ وبلغ ذلك النبى ﷺ فضحك ولم ينكر عليه هذا التحيل بإظهار القراءة لما أوهم به زوجته أنه

(٦٤٨) ضربتك بالسكين فى أى موضع والوجاء قطع الخصيتين (الخصاء)

قرآن تخلصاً من غضبها لتفهم أنه ليس جنبا حيث لايقرأ القرآن إلا المطهرون .

فتوى «الليث بن سعد»

وروى أن «الرشيد» جرى بينه وبين زوجته كلام فقال لها : أنت طالق ثلاثاً إن لم أكن من أهل الجنة ثم ندم واستحضر العلماء من شتى الأقطار فلما اجتمعوا سألهم فاختلفوا ، وكان فى آخر المجلس «الليث بن سعد» سأله فقال : إذا خلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته ، فصرفهم ، وأمره بإحضار مصحف فقال : تصفحه ياأمير المؤمنين حتى تصل إلى سورة «الرحمن» فلما انتهى إلى قوله تعالى : ﴿وَلِمَنْ خافَ مَقَامَ رَبه جنتان﴾ قال : أمسك ، ثم استحلفه أتخاف مقام ربك ؟ قال : نعم ، قال : فهما جنتان لاجنة واحدة ، فقال «الرشيد» : أحسنت وأمر له بالجوائز والسلع ، وأمر له بإقطاع الجيزة ، ولايتصرف أحد فى مصر إلا بأمره .

أدركنى قبل الفجر

وروى أن «أبا حنيفة» رضى الله عنه أتاه رجل بالليل فقال : أدركنى قبل الفجر وإلا طلقت امرأتى . قال : وماذاك ؟ قال : تركت الليلة كلامها فقلت لها : (إن طلع الفجر ولم تكلمينى فأنت طالق ثلاثاً) وقد توسلت إليها بكل أمر أن تكلمنى فلم تفعل ؛ فقال «أبو حنيفة» : اذهب فمر مؤذن المسجد أن ينزل فيؤذن قبل الفجر فلعلها إذا سمعته أن تكلمك ، واذهب إليها وناشدها أن تكلمك قبل أن يؤذن المؤذن . ففعل الرجل وجلس يناشدها ، وأذن المؤذن فقالت : طلع الفجر وقد تخلصت منك . قال : كلمتينى قبل الفجر ، وتخلصت من اليمين .

أنفذ الحق

ودخل أبو حنيفة رضى الله عنه يوماً على «أبى جعفر» فوجد «أبا العباس الطوسى»

— وكان سيء الظن فيه — فقال : اليوم أقتل «أبا حنيفة» وأقبل عليه يقول : يا «أبا حنيفة» إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل ، لا يدرى ماهو أيجوز أن يضرب عنقه ؟ فأجاب : أميرُ المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل ؟ قال «الطوسى» : بالحق ، قال : أنفذ الحق حيث كان ولاتسأل عنه .

لأهل العدل

وجرى خلاف بين «أبى جعفر» وبين إحدى زوجاته فطلبت منه العدل بينها وبين سائر أزواجه فقال : من ترضين للحكومة ؟ فقالت بأبى حنيفة ، فأحضره وجلست من وراء الستر تسمع . فقال «أبو جعفر» : إنها تخاصمنى ، كم يحل للرجل أن يتروج من النساء ؟ فقال «أبو حنيفة» : أربع . قال «أبو جعفر» : اسمعى ياهذه قالت : سمعت ؛ فقال «أبو حنيفة» حينئذ : ياأمير المؤمنين أحل الله هذا لأهل العدل فمن لم يعدل أو خاف ألا يعدل فينبغى ألا يجاوز الواحدة ، قال تعالى : ﴿**فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة**﴾(٦٤٩) فينبغى أن تتأدب بأدب الله ، فسكت أمير المؤمنين وخرج «أبو حنيفة» فأرسلت السيدة بهدية إلى «أبى حنيفة» — خمسين ألفاً وجارية ودابة . فقال لغلامها : أقرئها السلام وقل لها إنما ناضلت عن دينى ، وما مدَ يَدَهُ إلى شيء من الهدية حتى حُمِلَتْ من بين يديه .

من محاسن التورية

روى (أن النبى ﷺ كان سائراً بأصحابه يقصد بدرا فلقيهم رجل من العرب فقال : من القوم ؟ فقال له النبى ﷺ : «**من ماء**» فأخذ الرجل ينظر أى العرب يقال لهم ماء ، فسار النبى ﷺ بأصحابِهِ لوجهته ، وكان قصده

---

(٦٤٩) النساء : ٣

صلى الله عليه وسلم أن يكتم أمره وقد صدق رسول الله ﷺ فى قوله فإن الله عز وجل يقول : ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِق * خُلِقَ من ماءٍ دافق﴾(٦٥٠) ..

مَخْلوق

وحُكى عن الإمام «الشافعى» رضى الله عنه أنه لما سأله بعض المعتزلة بحضرة «الرشيد» ، ماتقول فى القرآن ؟ فقال «الشافعى» : إياى تعنى ؟ قال : نعم ، قال : مخلوق . فَرضى خصمه منه بذلك ، ولم يرد «الشافعى» إلا نفسه .

من كانت ابنته تحته

وحكى عن «ابن الجوزى» رحمه الله تعالى أنه سئل وهو على المنبر وتحته جماعة من خاصة الخليفة وهم فريقان قوم «سُنة» وقوم «شيعة» فقيل : من أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ — «أبو بكر» أم«على» رضى الله عنهما ؟ فقال : أفضلهما بعده من كانت ابنته تحته ، فأرضى الفريقين ولم يرد إلا «أبا بكر» رضى الله عنه لأن الضمير فى ابنته يعود إلى «أبى بكر» رضى الله عنه وهى «عائشة» رضى الله عنهما وكانت تحت رسول الله ﷺ والشيعة ظنوا أن الضمير فى ابنته يعود إلى رسول الله ﷺ وهى «فاطمة» رضى الله عنها وكانت تحت «على» رضى الله عنه .

من مضار الخمر

حكى «الأصمعى» أن عجوزا من الأعراب جلست فى طريق إلى فتيان يشربون نبيذا فسقوها فطابت نفسها، فتبسمت، فسقوها قدحا آخر، فاحمر وجهها وضحكت، فسقوها ثالثا فقالت : خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن

(٦٥٠) سورة «الطارق» الآية (٥ — ٦) .

النبيذ ؟ قالوا : نعم ، قالت : زنين ورب الكعبة ؛ والله — إن صدقتم — مافيكم من يعرف أباه .. !!

من فَضل «الفضل»

زور رجل ورقة عن خط «الفضل بن الربيع» تتضمن أنه منحه ألف دينار، ثم جاء بها إلى وكيل «الفضل» فلما وقف الوكيل عليها لم يشك في أنها خط «الفضل» فشرع في بذل الألف دينار إليه وإذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم ، فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر «الفضل» فيها ثم نظر إلى وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل ، فأطرق «الفضل» بوجهه ثم قال للوكيل : أتدرى لم أتيتك في هذا الوقت ؟ قال : لا ، قال : جئتك لأستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل إعطاء الألف دينار التى فى هذه الورقة فأسرع الوكيل فى وزن المال وناوله للرجل فقبضه وصار متحيراً فى أمره فالتفت إليه «الفضل» وقال له : طب نفسا ، فقال الرجل : سترتنى سترك الله فى الدنيا والآخرة ، ثم أخذ المال ومضى ..

من فقه النساء

كان بعض قضاة «الحنفية» إذا ارتاب(٦٥١) فى الشهود فرقهم، فشهد عنده رجل وامرأتان فيما يشهد فيه النساء ، فأراد أن يفرق بين المرأتين على عادته فى تفريق الشهود إذا ارتاب ، فقالت إحداهما : أخطأت ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿فتذكر إحداهما الأخرى﴾(٦٥٢) فإذا فرقت زال المعنى الذى قصده الشارع ، فأمسك .

---

(٦٥١) داخله الريب والشك فى صدقهم .

(٦٥٢) البقرة ٢٨٢ .

من وَفاءِ الكلاب

كان للحارث بن صعصعة ندماء لايفارقهم فبعث أحدهم لزوجته وراسلها ، وكان للحارث كلب قد رباه وعلمه ، فخرج «الحارث» فى بعض منتزهاته ، وتخلف عنه ذلك الرجل ، وجاء إلى زوجته فأقام عندها فلما جامعها وثب الكلب عليهما فقتلهما ، فلما رجع «الحارث» نظر إليهما فعرف القصة ، وترك من كان يعاشره ، واتخذ كلبه نديما فتحدث به العرب فأنشأ يقول :

فَلَلْكَلْبُ خَيْر من خليل يخوننى
وينكح عُرسى[٦٥٣] بعد وقت رحيلى
سأجعَلُ كَلْبى ماحَييتُ مُنادمى[٦٥٤]
وأمْنحُهُ وُدى وصفو خليلى

وقال «ابن خَلَف» : حدثنى بعض أصدقائى قال : دخلت بستانا ومعى كلبان لى ، فنمت فإذا هما ينبحان ، فانتبهت فلم أر شيئاً أنكره ، فعاودا النبح فضربتهما ونمت ، فإذا بهما يحركانى بأيديهما وأرجلهما كما يوقظ النائم ، فوثبت فإذا أسود سالح (ثعبان) قد قرب منى فوثبت فقتلته ، فكانا سبب سلامتى .

مفارقات عجيبة

قال «الهيثم» : خرجت فى سفر على ناقة فأمسيت عند خيمة أعرابى فنزلت فقالت ربة الخباء : من أنت ؟ فقلت : ضيف ، قالت : وما يصنع الضيف عندنا ؟ إن الصحراء لواسعة ثم قامت إلى بُرّ فطحنته وعجنته وخبزته ثم قامت تأكل ، فلم ألبث أن جاء زوجها ومعه لبن فسلم ثم قال : من الرجل ؟ قالت : ضيف ، قال : أهلا وسهلا حياك الله وملأ إناء من لبن وسقانى ثم قال :

---

(٦٥٣) زوجتى .
(٦٥٤) أحد الندماء

ماأراك أكلت شيئا وما أراها أطعمتك قلت : لاوالله ، فدخل عليها مغضباً وقال : ويلك أكلت وتركت الضيف ؟ قالت : وماأصنع به أطعمه طعامي !وزاد بينهما النقاش فضربها حتى شجها ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتى فنحرها وقال : والله لايبيت ضيفى جائعا ثم جمع حطبا وأجج ناراً وأقبل يشوى ويطعمنى ويأكل ويلقى إليها ويقول : كلى لاأطعمك الله ، حتى إذا أصبح تركنى ومضى ، فلما تعالى النهار أقبل ومعه بعير لايسأم الناظر من النظر إليه وقال : هذا مكان ناقتك ! ثم زودنى من ذلك اللحم ومما حضره وخرجت من عنده ، فضمنى الليل إلى خيمة أعرابى فسلمت فردت صاحبة الخباء على السلام وقالت : من الرجل ؟ قلت : ضيف فقالت : مرحبا بك حياك الله وعافاك ثم عمدت إلى بر فطحنته وعجنته وخبزته ثم روت ذلك بالزبد واللبن ووضعته بين يدى ومعه دجاجة مشوية وقالت : كل واعذر ، فلم ألبث أن أقبل أعرابى كريه المنظر فسلم فرددت عليه السلام فقال : مَن الرجل ؟ قلت : ضيف ، قال : ومايصنع الضيف عندنا ، ثم دخل إلى أهله وقال : أين الطعام ، قالت : أطعمته للضيف فقال : أتطعمين طعامى للأضياف ، ثم تكالما فضربها فشجها فجعلت أضحك ، فخرج إلى وقال : مايضحكك؟ فأخبرته بقصة الرجل والمرأة اللذين نزلت عندهما قبله فأقبل على وقال : إن هذه المرأة التى عندى أخت ذلك الرجل ، وتلك المرأة التى عنده أختى فنمت متعجبا من هذه المفارقات .

أَلَكَ مُعْجزَة !؟؟

وادعى رجل النبوة فجيء به إلى أمير المؤمنين فقال له : ألك معجزة ؟ فقال : ماتريد ؟ قال : أريد أن تخرج الساعة بطيخا من الأرض ، قال : أمهلنى ثلاثة أيام ، قال : أريد الساعة ، قال : إن الله تعالى مع قدرته يخرجه فى ثلاثة شهور ، وأنت لاتمهلنى ثلاثة أيام .

وادعى آخر النبوة فقال : أنا «موسى» فقال له «المأمون» — وكان ذلك

فى عهده — كان لموسى معجزة اليد البيضاء وانقلاب العصا حية ، قال الرجل: أتى «موسى» بمعجزته لقول «فرعون»: أنا ربكم الأعلى ، ولو قلت ذلك لأتيتك بمعجزة .

وأصيب بعض البخلاء بمرض «القولنج» فى بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل مافى بطنه فى الطست فقال لغلامه : اجمع الدهن الذى نزل من الحقنة وأسرج به .

أَبْطَأَ عَلَيْه

وكان لرجل غلام من أكسل الناس فأرسله يوما يشترى عنبا وتينا فأبطأ عليه حتى عيل صبره ، ثم جاء بأحدهما فضربه وقال : ينبغى لك إن طلبت منك حاجة أن تقضى حاجتين ، فمرض الرجل فأمر الغلام أن يأتيه بطبيب ، فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال : أما ضربتنى وأمرتنى أن أقضى لك حاجتين فى حاجة ؟ فجئتك بالطبيب فإن شفاك الله تعالى ، وإلا حفر لك هذا الرجل قبرك .

عَلَيْكَ بالْوَصِيَّة

وعاد آخر مريضا فقال له : ماتشتكى ؟ قال : وجع الخاصرة فقال : والله كانت علة أبى التى مات بها ؛ فعليك بالوصية ياأخى . فدعا المريض ولده وقال : يابنى أوصيك بهذا لاتدعه يدخل على بعد الآن .

أما تخاف الله ؟

وجاء «بنان الطفيلى» إلى وليمة فأغلق الباب دونه فاكترى سلماً ووضعه على حائط صاحب الوليمة فأشرف على عياله وبناته فقال له الرجل : ياهذا أما تخاف الله ؟ رأيت أهلى وبناتى ، فقال الطفيلى : ياشيخ (لقد عَلِمْتَ ما لنا فى

بناتك من حق وإنك لتعلم مانريد) فضحك الرجل وقال له : انزل فكل ..

تحكم بغير شهود

واحتكم رجلان إلى «شريح» فأقر المدعى عليه فحكم عليه «شريح» فقال الرجل : أصلحك الله تحكم بغير شهود ؟ فقال : قد شهد عليك ابن أخت خالتك .

تسألنى مالا أقدر عليه

وجاءت امرأة إلى «شريح» تشكى زوجها فقالت : لايعطيني النفقة ، فقال الزوج : أنا أنفق ماأقدر عليه وهى تسأل مالا أقدر عليه . فقال «شريح» : كيف ذاك ؟ قال : أنا أقدر على الماء وهى تسأل الخبز ، فضحك وأحسن إليهما .

سرعة الخاطر

أُتى «الحجاج» بامرأة من الخوارج فقال لأصحابه : ماتقولون فيها ؟ قالوا : عاجلها بالقتل ، فقالت الخارجية : كان وزراء صاحبك خيرا من وزرائك ، قال : من هو صاحبى ؟ قالت : «فرعون» استشارهم فى «موسى» عليه السلام فقالوا : (أرجه وأخاه) . وأُتى بأخرى ، فجعل يكلمها وهى لاتنظر إليه فقيل لها : الأمير يكلمك وأنت لاتنظرين إليه فقالت : إنى لأستحى أن أنظر إلى من لاينظر الله إليه .

«الحجاج» على يمين أبيك

ودخل «يزيد بن أبى مسلم» صاحب شرطة «الحجاج» على «سليمان ابن عبد الملك» بعد موت «الحجاج» فقال له «سليمان» : قبح الله رجلا

أجَّرك رَسَنَهُ وأولاك أمانته فقال : ياأمير المؤمنين رأيتنى والأمر لك وهو عنى مُدْبر، فلو رأيتنى وهو على مُقْبل لاستكبرت منى ماااستصغرت ، واستعظمت منى مااستحقرت ، فقال «سليمان» : أترى «الحجاج» استقر فى جهنم ؟ فقال : ياأمير المؤمنين لاتقل ذلك فإن «الحجاج» وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابرة وهو يجىء يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك فحيثما كانا كان .

حين هتك سترك

ودخل مجنون الحمام وكان بعير مئزر فرآه «أبو حنيفة» رضى الله عنه فأغمض عينيه فقال المجنون : متى أعماك الله ؟ فقال : حين هتك سترك .

إنه يُسَبّح الله

وقال رجل لصاحب منزل : أصلح خشب هذا السقف فإنه يقرقع ، قال : لاتخف فإنه يُسَبِّح الله ، قال : إنى أخاف أن تدركه رِقة فيسجد علينا !!

يجمع المال ولايحفل بالرجال

وكان فى أرض «مصر» ملك يجمع الأموال ولا يحفل بالرجال ، فقال له أصحابه : إن أمير الجيوش بالشام يتوعدك وكأنه قد قدم عليك فاستعد بالرجال وأنفق فيهم الأموال ، فأومأ إلى صناديق موضوعة عنده وقال : الرجال فى هذه الصناديق ، فغزا أمير الجيوش هذا الملك فى مصر وقتله وتسلم الصناديق والملك .

أجع كلبك يَتْبعك

وروى أن بعض أمراء العرب كان ظالم الرعية شديد الأذى لهم فى أموالهم ، فعوتب فى ذلك ، فقال : أَجِعْ كلبك يَتْبَعك ، فوثبوا عليه فقتلوه ، فمر به

بعض الحكماء فقال : ربما أكل الكلب صاحبه إذا لم يشبعه .

على البديهة

كتب ملك الهند إلى «الرشيد» يتهدَّده فى كتاب طويل فكتب إليه «الرشيد» : الجواب ما تراه ، لا ما تقرؤه .

وآستأذن «مسلم بن قتيبة» فى تقبيل يد «المهدى» فقال : إنا نصونها عن غيرك ونصونُك عنها .

وقال «هشام» لبعض النساك : عِظْنى ، فقرأ عليه ﴿وَيْل للمطففين﴾ ... الآيات ، ثم قال له : هذا لمن طفف المكيال والميزان فما ظنك بمن أخذه كله ، فبكى «هشام» من كلامه .

ودخل ثمامة دار «المأمون» وفيها «روح بن عبادة» فقال له «رَوْح» : المعتزلةُ حَمْقى؛ لأنهم يزعمون أن التوبة بأيديهم، وأنهم يقدرون عليها متى شاؤوا وهم مع ذلك دائبون يسألون الله تعالى أن يتوب عليهم فما معنى مسألتهم إياه بما هو فى أيديهم والأمر فيه إليهم لَوْلا الحمق ؟ فقال «ثمامة» : ألست تقول إن التوبة من الله وهو يطلبها من العباد أجمع فى كلامه وعلى لسان أنبيائه؟ فكيف يطلب الله من عباده شيئا ليس بأيديهم ولا يجدون عليه سبيلا؟ فأجب حتى أجيب .

رَجُلٌ من العَرَب ثُمّ سَيِّدُهُم

وفد «حاجب بن زرارة» على «أنوشروان» فاستأذن عليه فقال للحاجب : سَلْهُ من هو ؟ فقال : رجل من العرب فلما مثل بين يديه قال «أنو شروان» : من أنت ؟ فقال : سيد العرب قال : أليس قد زعمت أنك واحد منهم ؟ فقال : إنى كنت واحداً منهم فلما أكرمنى الملك بمكالمته صِرْتُ سيِّدهم. فأمر بِحَشْوِ فيه دُرّاً .

البابُ الثالِث

من عيونُ الشعرُ

النفس العالية :

قال الشافعي :

علـــيّ ثيـــابٌ لو تُقـــاسُ جَمِيعُهـــــا
بفَلس[٦٥٥] لكـــان الفـــلسُ مِنْهُـــن أكْثـــرا
وفيهن نفس لو تُقـــــاس ببعضهـــــا
نفـــوس الـــورى[٦٥٦] كانت أجَـــلّ وأكْبرا
ومـــاضر نصْلُ السَّيـــف إخـــلاق غِمْـــده
إذا كان عَضْبَـــا حيث وجهتـــه برى[٦٥٧]

وله أيضا :

حَسِّن ثيـــابَك ماستطـــعتَ فإنها
زَيْـــنُ الرجـــالِ بها تُعَـــز وتُكْـــرَمُ
وَدَع التـــخشن في الثيـــاب تواضعـــا
فالله يعلـــــم ما تُسِرُّ وَتكْتُـــــمُ
فَجَديـــــد ثَوْبك لايضرك بعدمـــا
تخشى الإلـــه وتتقـــــى مايحْرُم[٦٥٨]
وَرثـــيثُ ثَوْبك لايزيـــدك رفعـــة
عِنـــد الإلـــه وأنت عبـــد مجرم

(٦٥٥) الفَلْس : قطعة مضروبة من النحاس وليس هناك ماهو أقل منها وهي كالمليم الذي تم إلغاؤه في مصر .

(٦٥٦) الورى : الخلق

(٦٥٧) إخلاق غمده : الغمد مايوضع فيه السيف .. وإخلاقه : تمزقه وقدمه . عضباً : قاطعا .

(٦٥٨) ثوب رثٌ : أي قديم بال فلا أثر للتواضع في الثياب إذا كان صاحبها مجرماً .

في أدب النفس :

إذا شِئت أَنْ تَحْظى وأَنْ تَبْلُغَ المُنى
فلا تُسْعد النفس المطيعة للهوى[٦٥٩]

وخالف بها عن مُقتضى شهواتها
وإياك أن تحفل بِمَن ضل أَوْ غوى[٦٦٠]

ودعها وما تدعو إليه فإنها
لأمّارة بالسوءِ داعِيَة الردى[٦٦١]

لعلك أن تنجو من النار إنها
لقاطعة الأمعاء نزاعة الشوى[٦٦٢]

وقال آخر :

صَبِرْتُ على اللّذاتِ حتى تَوَلَّت
وألزمت نفسى هَجْرها فاسْتَمَرَّتِ

وجرعتها المكروه حتى تجردت
ولو حملته جملة لاشمأزت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى
فإن أطعمت تاقت وإلا تسلت

وكانت على الآمال نفْسى عزيزة
فلما رأت عزمى على الترك ولت

وقال آخر :

والنفس راغبَة إذا رغبتها
وإذا تُرد إلى قليل تقنع

(٦٥٩) لاتُسْعِدْ النفس : لاتساعدها وتعاونها مادامت لهواها مطيعة .

(٦٦٠) تحفل : تهتم

(٦٦١) الردى : الهلاك

(٦٦٢) الشوى : الأطراف

وقال آخر :

والنـــفس كالطفـــل إن ترضعـــهُ شب على
حُبِّ الـــرضاع وإن تفطمـــه ينفطـــم

وقال آخر :

إن المرايـــــا لاتـــــريك
خموش وجـــــهك فى صداهـــــا
وكـــــذاك نفسك لاتـــــريك
عُيـــــوبَ نفسك فى هواهـــــا

في الحياء :

إذا جاريت فى خلـــــق دنيئـــــا
فأنت ومـــــن تجاريـــــه سواء
رَأَيْتُ الحر يَجتـــــنبُ المخازى
وَيَحْمِيـــه عن الغـــدر الوفـــاءُ
ومامِـــــنْ شدة إلاسيـــــأتى
لها مِنْ بعـــــد شدتها رَخـــاءُ
لقـــد جربت هذا الدَّهـــر حتـــى
أفادتنـــى التجـــارب والعنـــاءُ
إذا مارأس أهـــل البـــيت ولى
بـدا لَهُـمُ مِنَ النـــاس الجَفـــاءُ
يَعـــيشُ المَرْءُ مااستَحْيـــا بخَيْـــر
وَيَبْقـــى العـــودُ مابقـــى اللحـــاءُ
فلا والله ما فى العـــيش خَيْـــر
ولا الدنيـــا إذا ذَهَبَ الحيـــاءُ

إذا لمْ تخشَ عاقِبَــــةَ الليــــالى
وَلَمْ تَستَحِ فاصنَــعْ مَاتَشــاءُ

الاستقامة :

ياذا الّــذى ركب الــفساد وَعنْــدَهُ
أنّــي أسُود إذا رَكــبْتُ فَساداً
أضْلَـلْتَ رَأيكَ عامِــداً أو ساهيــا
مَنْ ذا الــذى ركب الفســاد فسادا ؟

الكذب :

لا يَكْــذب الرجــل إلا من مهانتــه
أو فعلــه السوء أو من قلــة الأدب
لَبَعْضُ جيفَة كلــب خَيْــر رائحــة
منْ كِذْبــــة المرء فى جِدٍّ وفى لَعِبِ

المغرور :

نهارُك يامَغْــرور نَوْم وغَفْلــة
وليــلك نَوْم والــرَّدى لَكَ لازِمُ
يغــرك مايفنــى وتفــرح بالمُنَــى
كما غَرّ فى اللَّــذات نَوْم حالم
وشُغْــلك فيها سوف تكْــره غبَّــه
كذلك فى الدنيــا تَعِــيشُ البَهائِــمُ

الرزق مقسوم :

يا طالِبَ الـــرزق الهنـــي بقُـــوَّةٍ
هيهات أنْتَ بباطـــلٍ مَشْغُـــوفُ
رَعَتِ الأسُود بقـــوة جيـــف الفـــلا
ورعى الذباب الشهـد وهـو ضعيـفُ

وقال آخر :

إذا أغطشتك أكُـــفُّ اللئـــام
كَفَـــتْك القَناعَـــةُ شبَعـــاً وَرِيّـــا
فكُـــنْ رَجُـــلاً رِجْلُـــهُ فى الثَّـــرى
وهامَـــةُ همتـــهِ فى الثريـــا

الصبر :

إذا بُلِـــيت بِعُسْرَةٍ فَاصْبِـــرْ لها
صَبْـــر الكـــريم فإن ذلك أحْـــزَمُ
لاتشكـــون إلى الخلائـــق إنّمـــا
تشكـــو الرَّحيـــمَ إلى الـــذى لايَرْحَـــمُ

وقال آخر :

إنما الدُّنيـــا هِبـــاتٌ
وَعَـــوار مُسْتَـــردَّه
شِدَّة بَعْـــد رخـــاءٍ
ورَخـــاءٌ بَعْـــدَ شِدَه

فقد البصر :

قال « ابن عباس » :

إنْ يأخُــــذ الله من عينــــىّ نُورَهُمـــــا
فَفـــى فُؤادى وَقَلْبـــى مِنْهُمـــا نُورُ
قَلبـــى ذكِـــى وعَـــقْلى غَيْـــر ذى دَخَـــلٍ
وفى فَمـــى صارِمٌ بِالقَـــوْلِ مشهـــورُ

الحسـد :

اصْبِـــرْ على حَسَد الحســـود
فإنْ صَبْـــرَك قاتِلُـــــه
كالنـــار تأكـــلُ بَعْضَهـــا
إن لَمْ تَجِـــدْ ماتأكُلُـــه

الأثر الطيب :

المرء بعـــد الموت أُحْدُوثَـــةٌ
يَفنـــى وتَبقـــى مِنْـــه آثـــارُهُ
فَأَحْسَنُ الحالات حـــالُ امْـــرِىءٍ
تَطـــيبُ بَعْـــد الموتِ أَخْبَـــارُهُ

وقال آخر :

يَبقـــى الثَّنـــاءُ وَتَـــذْهَبُ الأَمْـــوال
وَلِكُـــلِ دَهْـــر دَوْلَـــةٌ وَرِجَـــالُ
ما نال مَحْمَـــدة الرِّجـــال وَشُكْرَهـــمُ
إلا الْجـــوادُ بمالـــه المفضال
لا تَرْضَ مِنْ رَجُلٍ حَلاوة قَولِهِ
حتـــى يُصدق مايَقُـــولِ فِعـــالُ

وقال آخر :

وَلَـــدَتْكَ أُمُّك يا ابْـــن آدمِ باكيــــاً
والنـــاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُــــونَ سُرورا
اعْمــل لِنَــفْسِكَ أنْ تَكُــونَ إذا بَكــوا
في يَوْم مَوْتك ضاحِكــــــــاً مَسْرورا

الحرص :

إذا طاوَعْتَ حِرْصَك كُنْتَ عَبْـــــــداً
لِكُــــلِّ دَنِيئَـــةٍ تُدْعــــى إلَيْهـــــا

وقال آخر :

قَدْ شاب رأسي وَرأسُ الدَّهْــــر لَمْ يَشب
إنّ الحريص على الدُّنْيــــا لفـــــى تَعَب

وقال آخر :

وذى حِرْصٍ تراهُ يَلُـــم وفـــــراً
لِوارِثِـــه وَيَدْفَـــعُ عَنْ حِمــــاهُ
كَكَــلْب الصَّيْــــد يُمْسكُ وَهــــو طاوٍ
فَريسَتَـــــهُ لِيَأْكُلهـــــــا سِواهُ

الظلم :

لاتَظْلِمَـــــنّ إذا ماكُــــنْتَ مُقْتَـــدراً
فالظلْـــــمُ مَصدَرُهُ يفضى إلى النَّـــــدم
يَدعُـــو عَلَـــيْك والمظلــــومُ مُنْتَبِــــهٌ
تنـــامُ عَيْنــــاك وعَيْـــنُ الله لَمْ تَنَـــم

وحبس «الحجاج» رَجُلا ظلماً فكتب إليه مايأتى :

سَتَعْلَمُ يانَؤوم إذا الْتَقَيْنا
غداً عِنْد الإلهِ مَن الظَّلُوم

أما والله إن الظلم لؤم
ومازال الظُّلُومُ هُوَ المَلُوم

سَيَنقَطِعُ التلذذ عَنْ أُناسٍ
أدامُوهُ وَينقطع النعيم

إلى ديان يوم الدين نمضى
وَعِنْد الله تجتمع الخُصُوم

كثرة النوم :

ياكثير النَّوْم والْغفلاتِ
كَثْرَة النَوْم تُوجِبُ الحسرات

إن فى القبر لَوْ نَزَلْتَ به
لُرقادا يطولُ بَعْد المماتِ

أوصاف كريمة :

أُحِبُّ مكارمُ الأخلاق جُهْدى
وأُكْرَهُ أنْ أعيب وَأنْ أُعابا

وأصْفَح عَنْ سباب النّاس حِلْماً
وَشَرُّ الناس مَنْ يَهْوى السِّبابا

وَمَنْ هاب الرجال تَهَيبوهُ
وَمَنْ حَقَر الرِّجال فَلَنْ يُهابا

الكريم :

إنّ الْكــريم ليخفــى عَنْكَ عَسْرتــه
حتــى تراهُ غنيــاً وَهُــو مَجْهُــودُ

فتنة العلم :

إذا لَمْ يُزد عِلْــمُ الفتــى قلبــه هُدى
وَسيرتــه عدلا وأخلاقــه حُسْنــا
فَبشره أن الله أولاه فِتْنــة
تغشيــه حرْمانــا وَتُوسِعُــهُ حُزْنــا

الأدب .. لا الذهب :

مَنْ خانــه نَسب فليَطــلبَ الأدبــا
فَفِيــه مَنْبهة إن حَلَّ أوْ ذَهَبــا
فَاطْــلُب بِنــفْسك آدابــاً تُعــزّبها
حتــى تَسُود بِهَــا مَنْ يَمْــلك الذهبــا
إن الأديب ليحيــى ذكــر والــده
كالغــيث يحيــى نداه حينما انسكبــا

إفشاء السر :

إذا المْرءُ أفشى سره بلسانــه
ولام عَلَيْــه غَيْــرَه فَهُــوَ أحْمَــقُ
إذا ضاق صَدْر المرء عن سرٍّ نَفْسِهِ
فَصَدْر الــذى يَسْتَــوْدع السِّر أضْيَــقُ

المرء بإخوانه :

وَمـــا المرْءُ إلا بإخوانِـــــهِ
كما يقْـبض الكَـف بالمِـعْصَمِ
ولا خيْـر فى الْكَـفِّ مَقطوعـة
ولا خيْـر فى الساعـد الأجـذَمِ

مَنْ هُمْ ؟

عَلَيْك بإخـوان الصّفـاء فإنهم
عمـادٌ إذا استَنْجَدْتَهُـم وَظُهُـور
وإنّ قليـلا ألـف خلٍّ وصاحبٍ
وإن عدوا واحِـداً لكَـثِير

الهدية :

إن الْهَديـة حُلْـوَة
كالسِّحْـر تجْتَـلِبُ القُلُوبـا
تُدنى الْبَعيـدَ مِن الْهُـدىَ
حَتـى تُصَيِّره قَريـبا

حصون النساء :

لا تأمَنَنَّ على النساء أخـى أخـا
ما فى الرجـال على النِّساء أمين
كُلّ الرجـال وإن تعفـفَ جُهـده
لابـد أن بنظْـرةٍ سَيَخُـونُ
القَبْـرُ أوفى مَنْ وَثـقت بِعَهْـده
مالِلْـنساءِ سوى القُبُـور حُصُون

التأثر بالمقابر :

ما للْمَقابــــرلاتجـــــيبُ إذا دعاهُـــنَّ الكئـــيب
حُفَــر مُسَقَفَـــة عَلَيْهِـــن الْجَنـــادِلُ والْكَثِـــيبُ
فيهن ولْـــدان وأطْفَـــال وشُبّـــــان وَشِيبُ
كَمْ مِنْ حَبـيبٍ لَمْ تَكُـــنْ نفسى بفرقتـــه تطـــيبُ
غادرتـــه فى بعضهـــن مجنـدلا وهـــو الحبـــيب
وَسَلَـوْتُ عَنْـــهُ وإنّمـــا عَهْـــدِي بِرُؤيَتِـــهِ قَرِيبُ

السـؤال :

لاتسألَـــن إلى صديـــقٍ حاجَـــة
فَيَحُـــول عَنْك كما الزَّمـــان يَحُــولُ
واستغْـــن بالشَّىء القليـــل فإنَّـــه
ماصانَ عِرْضَكَ لايُقـــال قَلِيـــلُ
مَن عَفَّ خَفَّ على الصَّديـــق لِقـــاؤهُ
وأخُـــو الحَوائِـــج وَجْهـــه مَمْلُــولُ
وأخُـــوكَ مَنْ وَفَـــرْتَ ما فى كَفِّـــهِ
وَمَتـــى عَلِـــقْتَ بِه فأنْتَ ثَقِيـــلُ

مافى البطيخ :

ثلاثٌ هُنَّ فى البطيـــخ فَخْـــر
وفى الإنسان نُقصان وَذلَّـــــة
خُشُونَـــة جِلْـــدِه والثقْـــلُ فيـــه
وصُفْــرَةُ لَوْنِــه من غَيْـــر عِلَّـــة
إذا قَطَّعْتَـــــهُ إرْبـــــا تراهُ
كَبَـــدر قُطِّـــعَت مِنـــهُ الأهِلَّـــة

نقل الصخر أحب إلىّ :

لنقـــلُ الصَّخْـــر مِنْ قُلــــل الجبـــال
أُحبُّ إلى من مِنـــــن الرِّجــــــال
يقـــول النــــاس كَسْبٌ فيــــه عَارٌ
وكُـــــلُّ العــــــار فى ذُلّ السؤال

سوء أدب الحاسد :

أيــــا حاسداً لى على نِعمـــــــة
أتـــــــدرى على مَنْ أسَأْتَ الأدَبْ
أسَأْتَ على الله فى حُكْمــــــــــه
لأنك لَمْ تَرْضَ لى ماوَهَبْ
فجـــــــــازاك ربى بأن زادنى
وسَد عَلَـيْك وجـــوه الطَّـــلبْ

الله عوَّدَك الجميل :

كُنْ عن هُمُـــــومِك مُعْـــــرضاً
خــلِّ الأمُـــور إلى الـــــقضا
وابشر بِخَيْــــــر عاجــــــلِ
تَنْسى بِه ماقـــــــــــدْ مَضَى
فَلَــــرُبّ أمْــــر مُسْخــــطٍ
لَكَ فى عَوَاقِبِـــــــــه رِضا
وَلَــــرُبما اتَّسَع الْمَضِيـــــقُ
ورُبما ضاقَ الـــــــــفَضا
الله يَفْعَـــــــــلُ مايَشا
فلا تَكُـــــنْ مُتَعَـــــرِّضا

الله عـــودّك الجميـــــــــــل فَقِسْ على ما قَــد مضـــى

السُّمُوّ فى التواضع :

وَجَـدتُ الرِّفْـــق أَبْلَـــغ فى السُّمُـــوّ
وَلَـــم أَرَ كالتـــواضُع فى العُلُـــوّ
وَمَـــن بَسَطَ اللســـان على سفيـــه
كمـــن دفـــع السلاح إلى العَـــدُوّ

الثمر الحلو :

أمـــا وَالـــذى لايعلـــم الغَـيْب غَيْـــره
وَمَـــنْ لَيْس فى كُلّ الأمُـــور لهُ كَفْـــوُ
لَئِـــنْ كان بَدْء الصَّبْـــر مُرّاً مَذاقُـــهُ
لقـــد يُجتَنَـــى من بعـــده الثمـــر الحلـــو

الصَّبْر رَبَّانِى :

الدَّهْـــر أَدَّبنـــى والصَّبْـــر رَبّـــانى
والقُـــوت أَقْنَعَـــى واليَـــأس أغنـــانى
وحَنّكَتْنـــى مِن الأيـــام تَجْربـــة
حتـــى نهيت الـــذى قد كان ينهانى

الغـربة :

إِنْ تَرْمِك الغُربَـــــــــــةُ فى مَعْشر
تطابقـــوا فيك على بُغضهـــــم
فَدارِهِـــم مادُمت فى دارِهـــم
وَأَرْضهـــم مادُمْتَ فى أرْضهـــم

عجبى لأهل العلم :

.. عَجِبْتُ لِأَهْلِ العِلْم كَيْـف تشاغَلُـــوا
عَن الدِّين واستَـغْشوا ثِيـاب المهـالِكِ

يَطُوفــون حَوْل الظَّــالمين كأنّمــا
يَطُوفُــون حَوْل الْبَـيْت وَقْتَ المنــاسِكِ .

يارب ..

.. يارب جُد لى إذا ماضمنـــى جَدَث
برحمةٍ مِنْك تُنجينـــى من النّــارِ
أحْسِن جوارى إذا أصبَــحْت جارك فى
قبرى فإنك قَدْ أوْصيْت بِالْجــارِ

حق العيادة :

حقُّ الْعِيــادَة يَوْم بَعْــد يَوْمَيْــن
وَلَحْظَــة مِثْــل لَحْــظ الْعَيْــن بِالْعَيْــن
لاتُبْــرِم مَنْ مَريضاً فى مُساءَلَــةٍ
يَكْفِــيك مِنْ ذاك تَسْأل بحرفين

وقال آخر :

أدَبُ العيــادَةِ أنْ تَكُــونَ مُسَلِّمــاً
وَتكُــون فى إثْــر السَّلام مُوَدِّعــا

من المسافر ؟

.. نَفْسى تَرُوم أُمُــورا لَسْتُ مُدْرِكهــا
مادُمْت أحْــذَرُ مايَــأْتى بِهِ الْقَــدَر
لَيْسَ ارْتحالُك فى كَسْبِ الْغِنــى سَفَــرا
لكِــنْ مُقــامك فى ضُر هو السفــر

تارك الصلاة :

خَسِرَ الَّــذى ترك الصلاة وخابــا
وَأبى معــاداً صالحاً وَمآبــا
إنْ كانَ يَجْحَدُهــا فَحَسْبُك أنّــهُ
أضْحــى بِرَبِّكَ كافِــراً مُرْتابــا

أوْ كان يتركُها لِنوع تكاسُلٍ
غطّى على وَجْهِ الصَّواب حِجابا
فالشافعي ومالك رَأيا له
إنْ لَمْ يَتُب حَدَّ الحُسام عِقابا
والرَّأي عندي لِلإمام عذابه
بِجَميع تأديبٍ يَراهُ صَوابا

عبدة الشيب :

.. ياعامِرَ الدُّنيا على شَيْبه
فِيك أعاجيب لِمَن يعْجَبُ
ماعُذْر مَنْ يَعْمُر بُنْيانه
وَعُمْرُه مُنْهَدِم يَخْربُ

خزنة المال :

.. إذا كُنْتَ جَمَّاعاً لمالك مُمْسِكاً
فأنْت عَلَيْه خازِن وَأَمينُ
تُؤدّيه مَذْموما إلى غَيْر حامِدٍ
فَيَأكله عفْوا وأنْت دَفينُ

أفضل عقل :

.. إذا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْل فإنَّه
وَإِن كان ذا بَيْت على النّاسِ أهْون
وَمَنْ كان ذا عقْل أُجل لِعَقْله.
وأفْضل عَقْلٍ عَقْل مَنْ يَتديَّن

الداء والدواء :

إنى أُحيى عدوى عِنْد رُؤيَتِه.
لأدْفَعَ الشرَّ عَنى بالتحيات

وأظهـــر البِشْرَ للإنسان أبغضُهُ
كأنما قد حشا قلبـــى محبـــات
النـــاسُ داءٌ دواءُ النـــاس قُربهم
وفى اعتـــزالهم قطـــع المودات

الاستعانة بالصبر :

إنّ الأمـــور إذا اشتـــدت مسالِكُهـــا
فالصبر يفْتَـــحُ منها كل مارُتجا
لا تيـــأسَن وإن طالَتْ مُطالبـــة
إذا آستَعَنْتَ بِصَبْـــرٍ أن ترى فَرَجـــا

نحن والدنيا :

أرى الدُّنيـــا لمن هى فى يديـــه
بلاء كُلَّمـــا كَثُـــرَتْ لَدَيْـــه
إذا آستَغْنَيـــت عن شىء فدعـــه
وَخُـــذ ماأنت مُحْتَـــاجٌ إليـــه

متى يُجْدى التقويم والتأديب ؟!

إنَّ الغُصُـــونَ إذا قَوَّمتَهـــا اعْتَدَلَـــتْ
وَلَا يَلِيـــنُ إذا قَوَّمْتَـــهُ الخشَـــبُ
قد ينفَـــعُ الأَدَبُ الأَحـــداثَ فى مَهَـــلٍ
ولَيْـسَ ينفَـــعُ فى ذِى الشَّيْبَـــةِ الأَدَبُ !!

وقال : أبو العتاهية فى الهدية :

هدايـــا النـــاس بَعضهـــم لِبَـــعض
تُوَلِّـــد فى قُلوبهـــم الْـــوِصالا

---

(٦٦٣) رتج : أغلق بالرتاج ، وهو : القفل أو مايشابهه .

وتَـــزْرَع فى الْقُلُـــوب هُدى وَوُدّا

وتَكْسُوهُـــم إذا حَضَروا جَمـــالا

وقال فى الدنيا :

هى الـــدَّار دارُ الأذى والْقَـــذى

ودارُ الْفَنـــاءِ ودارُ الْغِيَـــر

فَلَـــوْ نِلْتَهـــا بِحذافيرهـــا

لَمُتَّ وَلَـــمْ تَقْضِ فيها الوَطَـــر

أيـــا مَنْ يُؤَمِّـــل طُولَ الخُلُـــود

وطُـــولُ الخلـــود عَلَيْـــه ضَرَر

إذا ماكَبِـــرْتَ وبـــان الشبـــاب

فلا خير فى العـــيش بَعْـــدَ الكِبَـــر

علاج الهم :

أفِـدْ طَبْـعك الْمَكْـدور بالهم راحـــة

تجم وعَلِّلْـــــهُ بشىء من المزح

ولكـــن إذا أعْطَيْتَـــهُ الْمَـــزْحَ فَلْيَكُـــن

بِمِقْـــدار ما تُعْطـــى الطَّعـــامَ مِنَ الْمِلْـــح

مفتاح الفرج :

مِفْتـــاحُ باب الْفَـــرَج الصَّبْـــرُ

وَكُـــل عُسْرٍ بَعْـــدَهُ يُسرْ

الدَّهْـــر لا يَبْقَـــى على حالِـــهِ

فَكُـــلُّ عُسْرٍ بَعْـــدَهُ أمْـــر

وَكَيْـــفَ يَبْقَـــى حالٌ على حالِـــه

يُسْرِعُ فِيـــه النَّفْـــع والضُّرُّ

وقال «أبو نواس» فى الصمت :

مُت بِداءِ الصَّمْتِ خَيْـــر

لَكِ مَنْ داءِ الْكَـــلامِ

رُبما آستَفْتَـــــخْتَ بالنّطْـــــق
مَغالِيـــــق الْحمــــامِ
إنّمــــا السّالِم مَنْ ٱلْجَـــــمَ
فاهُ بِلِجــــــــــامِ

حفظ اللسان :

احْفَـــظْ لِسانَك أنْ تَقُـــولَ فَتُبْـــتلى
إنّ الْبَـــلاءَ مُوكّـــل بالْمَنْطِـــق
وَزِن الْكـــلامَ إذا نَطَـــقْتَ فَإنّمـــا
يُبْـــدى الرِّجـــال من السُّـــور الْمَنْطـــق

فضل النطق :

يَدُلّ على جَهْـــل الفتـــى فَضْل نُطْقِـــهِ
ونُطـــق أخِـــى الْعَقْـــل الْـــرصين قَلِيـــلُ
وَإنّ لسانَ الْمَـــرْءِ مالِمْ يَكُـــنْ له
حَصاةٌ على عَوْراتِـــه لَدَلِيـــلُ

ذو البغى :

لا يَأْمَـــن الدَّهْـــرَ ذُو بَغْـــى وَلَـــوْ ملكـــا
جُنُـــوده ضاقَ عَنْهـــا السَّهْـــلُ وَالْجَبَـــلُ

الاعتداد بغير الله :

إذا كان غَيْـــــر الله لْلمَـــــرْءِ عُدّة
أتتْـــه الرَّزايـــا مِنْ وُجُـــوه الْمَكـــاسِبِ

هكذا الدنيا :

وَمَـــــــنْ سَرَّه أنْ لا يَرى مايَسُوُءه
فلا يَتَّخِـــذْ شَيْئـــا يخاف لهُ فَقْـــدَه

كيف نختار الزوجة؟!

صفـــاتٌ مَنْ يَسْتَـــحِب الشّرْع خِطْـــبتها
جَلَوْتُهـــا لِأُولى الأَلْبـــــاب مُخْــــتَصرا
صَبِيَّـــــة ذات ديــــنٍ زانَـــــهُ أَدَبٌ
بِكْــــر وَلُــودٌ حَكَتْ فى نفسهـــا القَمَـــرا
غَريبَـــــة لم تَكُــــنْ مِنْ أَهْــــل خاطِبها
تِلْكَ الصِّفات التـــى أَجْلــو لِمَــــنْ نَظَــرا
فيها أَحــــاديث جاءَتْ وهــــى ثابِتَـــةٌ
أَحـــاط عِلْمــــا بها مَنْ فى الْعُلُــــوم قَرَا

إليك يا نفسى:

يا هذه النَّـــــــفْس آعْلمــــــى
أَنَّ الْأُمُور لها آنْــــــــــــــقضاء
والحادِثــــــات جليلُهــــــا
وحَقِيرُهـــــا مَخض آبْتــــــلاء
والْعالِمــــــون صَغِيرهُـــــم
وكَبِيرُهُـــــــــــم فيها سَواء
لا تَجْزَعــــــــى يانَـــــفْس
إنّ الله يَفْعَـــــــــــــلُ مايَشاءُ

الله أولى بالجميل:

.. فلا تَجْــــزَعْ وَإنْ أَعْسَرْتَ يَوْمــــاً
فَقَـــدْ أَيسَرْتَ فى زَمَـــنٍ طويـــــل
وَلا تَيْـــأَس فإنَّ الْيَــــأْسَ كُفْــــر
لَعَـــلّ الله يُغْنــــى عن قليــــلِ
ولا تَظُنَّـــــــــنْ بِرَبِّك ظَن سُوءٍ
فإن الله أَوْلى بِالْجميــــــــــل

حسن الثناء :

وقال رجل لعلي كرم الله وجهه كساه حلة :

كَسَوتني حُلة تبلى محاسنها
فسوف أكْسُوك مِنْ حُسْن الثنا حُلَلا

إيه أبا حَسَن قَدْ نِلت مكرمة
وَلَسْت تَبْغي بما قَدَّمته بَدَلا

إن الثناء لَيُحيي ذكر صاحبه
كالغيث يُحْيي نداه السَّهل والْجَبلا

لا يزهد الدهر في عرْف بَدَأت به
كل آمرىء يُجْزى بالذى فعلا

نصف حاجة :

سَأَلتك أيُّها الأسْتاذ حاجَة
ولا شَطَطاً أَرَدْت ولا لَجاجَة

فَقُمْت بِبَعْضها وَتَرَكْتَ بَعْضا
وَمِنْ حَق المقصر أنْ يُواجَه

جزاك الله عَنّي نِصْف خَيْر
لأنك قَد نَهضْت بِنصْف حاجَة

وقال «الشافعي» في دفع الشر :

لما عَفَوْتُ ولم أحقد على أحَد
أَرَحْتُ نَفْسي مِنَ هَمّ العداوات

الفقير والناس:

يمشى الفقير وكل شيء ضده
والناس تُغْلق دُونه أبوابها
وتراهُ مَبْغُوضا وَلَيْس بُمذِنب
ويرى العداوة لا يرى أسْبابها
حتى الْكلاب إذا رَأت ذا ثَرْوَةٍ
خضَعَتْ لَدَيْه وَحَركتْ أذنابها
وإذا رَأتْ يَوما فقيراً عابراً
نَبَحَتْ عَليه وكَشّرَتْ أنْيابها

أخو الدنيا وصاحبها:

ما الناس إلا مَعَ الدُنيا وصاحبها
فكلما آنقَلَبَتْ يَوما بِهِ آنقَلبُوا
يَعظِّمون أخا الدُنيا فإنْ وَثَبَت
يَوْما عليه بما لايَشْتهى وَثَبُوا

من غير «بنى هاشم» ؟

ووقف «جعيفران المجنون» على «على بن إسماعيل الهاشمى» فقال له: أُعطنى درهما، فأمر الغلمان بطرده فولّى وهو ينشد:

قَدْ زَعَمَ الناس وَلَمْ يَكْذِبوا
أنّك مِنْ غَير بنى هاشم

فقال لغلمانه ردوه وأعطوه درهمين فأخذهما وانصرف وهو ينشد:

قد كذب الله أحاديثهم
ياهاشمى الأصل من آدم

شر المطاعم :

توقَّ مدى الأيـــام إدخـــال مَطْعَـــم
على مطعـــم من قبـــل هضم المطاعـــم
وكل طعـــامٍ يعجـــز السنّ مَضْغـــه
فلا تقربنـــه فهـــو شر المطاعـــم

تعالى الله فى عُلاه :

تبـــارَكَ الله فى عَلْيـــاءِ عزَّتِـــهِ
وكَـــلَّ كُلُّ لسانٍ عَنْ تعاليـــه
وجـــودُه سابِـــق لا شىء يُشْبِهُـــهُ
ولا شريك له لا شَكّ لى فيـــه
لا دَهْـــر يُخلقـــه لا نَقْص يَلْحَقُـــهُ
لا كَشْف يُظْهِـــرُه لا سَتْـــر يُخفيـــه
لا كَوْن يحصره لا عَـــون ينصره
ولـــيس فى الْوَهْـــم مَعْلـــوم يُضاهيـــه

صلة القرابة والصفح :

اخْـــفض جنـــاحَكَ لِلقرابـــة والْقَهُـــم
بِتَـــوَدد واغْفِـــر لَهُـــم إنْ أذنبـــوا
وَصِلِ الكـــرام فإنْ ظَفِـــرتَ بِزَلَـــةٍ
فالصفْـــحُ عَنْهُـــم والتجـــاوُز أقْـــرَبُ

نهاية البخيل:

وَهَبْنـــي جَمَـــعْتُ المال ثُمّ خزَنْتـــه
وحـــانَت وفـــاتى هَلْ أزادُ به عُمْـــرا
إذا خَزَن المالَ البخيـــلُ فإنـــــه
سَيُورثـــه غَمّـــاً ويعقبـــه وِزْرا

لا تخشَ غير الله !!

ومـــا أحَـــدٌ من ألْسن النـــاس سالماً
ولـــو أنّـــه ذاك النّبـــيُّ المطهّـــرُ
فإن كان مقدامـــا يقولـــون : أهـــوج
وإن كان مفضالا يقولـــون مُبـــذِّر
وإن كان سكيتـــا يقولـــون : أبكـــم
وإن كان مِنْطِيقـاً يقولـــون : مِهْـــذَر
وإن كان صوامـــا وبالليـــل قائمـــا
يقولـــون : زوار يُرائِـــى ويَمْكُـــرُ
فلا تَكْتَـــرِث بالنـــاس فى المدح والثّنـــا
ولا تخْشَ غَيْـــر الله فالله أكْبَـــرُ

خذها ولك المال :

اشترى بصرى جارية على أرفع ماتكون من الجمال والصباحة فكلف بها — وكان ثريا — فأنفق عليها مافى يده حتى أُملق (افتقر) فأشارت عليه ببيعها شفقة عليه .. فلما حضر بها السوق أُخذت إلى «ابن معمر» — وكان عاملا على البصرة — فاشتراها بمائة ألف درهم ، فلما قبض المال وهمَّ بالانصراف أنشدت تقول :

هَنِيئاً لَكَ المالُ الَّذى قَدْ حَوَيْتَه
ولم يَبْقَ فى كفِّى غيرُ التَّذكُّر
أقُولُ لِنفسى وهى فى غشْى كُرْبةٍ
أقلِّى فَقَد بانَ الحَبيبُ أو اكْثِرى
إذا لم يَكُن لِلأَمْرِ عِندى حِيلةٌ
ولم تَجِدى شَيْئاً سِواهُ فأصْبِرى

فاشْتَدَّ بكاء مولاها وأنشد يقول :

فلَوْلا قُعودُ الدَّهْرِ بى عَنْكِ لَمْ يَكُن
يُفَرِّقنا شىءٌ سوى الموت فاصْبِرى
أَرُوح بِهَمٍّ فى الفؤاد مُبَرِّح
أناجى به قَلْبا طويل التَّفَكُّر
عَلَيْكِ سلامٌ لازيارَةَ بَيْننا
ولا وَصْلَ إلا أن يشاء «ابن معمر»

فقال «ابن معمر» : قَد شِئْتُ خذها ولك المال ؛ فو الله ماكنت سببا لِفرْقة مُحِبين !! ..

العلم :
خَيْر الدنيا والآخرة ؛

العلم درك حقائق الأشياء مسموعا ومعقولا ، قال الله تعالى : ﴿يرفع الله الذين آمنوا مِنكُم والَّذين أوتُوا العِلْم درجات﴾[٦٦٤] وقال ﷺ : «إن العلم خير من العمل بلا علم»[٦٦٥] وقال ﷺ : «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»[٦٦٦] .

---

(٦٦٤) سورة «المجادلة» الآية (١١)
(٦٦٥) رواه الدارمى فى مقدمة السنن ٣٢ .
(٦٦٦) رواه البخارى فى العلم ١٠ . ومسلم فى الذكر ٣٧ ، ٣٨ .

العلم نهر والحكمة بحر

وقال «على» كرم الله وجهه : العلم نهر والحكمة بحر ، والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون ، والعارفون فى سفن النجاة يسيرون . وكان «ابن مسعود» رضى الله عنه إذا رأى طالبى العلم قال : مرحبا بكم ينابيع الحكمة ومصابيح الظلمة خُلْقان الثياب جدد القلوب ، رياحين كُلّ قبيلة .

وقال الشاعر :

العلـــم أنْـــفس شىء أنت داخِـــرُه
من يَدْرس العلـــم لم تُدْرَسْ مفاخـــره (٦٦٧)

أقْبِـــلْ على الْعِلْـــم واسْتَقْبِـــل مقـــاصِدَهُ
فأَوَّل العلـــم إقبـــال وآخـــره

وقال آخر :

وَلَـــوْ أنّ أهـــل العلـــم صانـــوهُ صانَهُـــم
ولـــو عَظّمُـــوهُ فى النُّفـــوس لَعُظّمـــا

ولكـــن أهانُـــوهُ فهانُـــوا ودَنَّسوا
مُحَيّـــاهُ بالأطْمـــاع حتـــى تَجَهّمـــا

وقال أمير الشعراء أحمد شوقى يخاطب الشباب

هل علمتـــم أمـــةً فى جَهْلِهَـــا
ظهـــرت فى المجـــد حسنـــاءُ الـــرِّداء

فخـــذوا العلـــمَ على أعـــلامه
واطلبـــوا الحكمـــةَ عنـــد الحكمـــاء

واطلبـــوا المجـــد علـــى الأرض
فإن هى ضـــاقت فاطلبـــوه فى الســـماء

---

(٦٦٧) تدرس : تمحى وتزول

قال «الشافعي» — رضى الله عنه — من تجاربه :

بَلَــوْتُ بنــــى الدنيـــا فلـــم أرَ فيهم
سوى من غَدا والبُخْـــل ملْء إهابِــــهِ

فَجَــرَّدْتُ من غِمْــدى القناعَــة صارِمــاً
قَطَـــعْتُ رجـــائى مِنْهُـــم بِذُبابَـــهِ (٦٦٨)

فلا ذا يرانى واقفـــاً فى طريقـــــه
ولا ذا يرانى قاعـــداً عِنْـــد بابِـــــهِ

غنِـــى بلا مالٍ عَنِ النّـــاس كُلّهـــم
ولَـــيْس الغنـــى إلا عَن الشىء لابِــــهِ

إذا ظالم يَستَـــحْسِن الظُّلْـــم مَذْهبـــا
وَلَـــجَّ عُتُـــوًّا فى قَبِيـــحِ اكْتسابِــــهِ

فَكِلْـــــهُ إلى صَرْف اللّيـــــالى فَإنها
ستُبْـــدى له مالم يَكُـــنْ فى حسابِـــــهِ

فَكَـــمْ رَأيْنـــا ظالِمـــاً مُتَمَـــرداً
يرى النجـــم فيها تحْت ظِلِّ ركابِـــــهِ

فَعَمّـــا قليـــلٍ وهُـــو فى غَفَلاتِـــهِ
أنـــاخَتْ صُرُوفُ الحادِثـــات بِبابِـــهِ

فَأصْبَـــــــــحَ لا مال ولا جاه يُرْتجى
ولا حسنـــات تُلْتَقـــى فى كتابِـــــهِ

وجُـــوزِى بالأمْـــر الّـــذى كان فاعِـــلاً
وَصَبَّ عَلَيْـــــه الله سَوْط عَذابِـــــهِ

وقال أيضاً رضى الله تعالى عنه :

قَنِـــعْتُ بالقُـــوتِ مِنْ زمـــانى
وصُنْت نفسى عن الهوانِ

---

(٦٦٨) ذباب السيف : حدهُ .

خَوْفــــا من النـــاس أَنْ يَقُولــــوا
فَضْل فُلانٍ على فُلانِ

مَنْ كُنْتُ عن مالِـــه غَنِيّــــاً
فلا أُبـــالى إذا جَفـــانى

ومَـــنْ رآنى بعَيــنِ نَقْصٍ
رَأَيْتُــه بالتــى قَدْ رآنى

ومــــن رآنى بعين تَمٍّ
رأيتُـــه كامِـــلَ المعـــانى

حوائج الناس إليكم نعمة :

قال صلى الله عليه وسلم : «**من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته**»[669] .

قال «فيض بن إسحاق» : (كنت عند «الفضيل بن عياض» إذ دخل عليه رجل فسأله حاجة وألح فى السؤال فقلت : لاتؤذ الشيخ ، فقال لى «الفضيل» : اسكت يا«فيض» أما علمت أن حوائج الناس إليكم نعمة من الله فاحذروا أن تملوا النعم فتتحول نقما ، ألا تحمد ربك أن جعلك موضعاً للسؤال) .

خُطَّها فى الأرض :

قدم أعرابى على «على بن أبى طالب» كرم الله وجهه فقال : ياأمير المؤمنين لى إليك حاجة يمنعنى الحياء أن أذكرها لك فقال له : ياأعرابى خطها فى الأرض فَخَطّ يقول :

لم يَبْــق عنـــدى مايُبـــاع بدرهـــم
تغنـــيك حالـــة مظهـــرى عن مخبرى

---

(٦٦٩) رواه البخارى فى المظالم ٣ ، والإكراه ٧ ؛ ومسلم فى البر ٥٨ . وأبو داود فى الأدب ٣٨ . والترمذى فى الحدود ٣ . وأحمد ٤ /١٠٤ .

إلا بقيـــــة ماء وجـــــهٍ صُنْتُـــــهُ
عن أن يُبـــاع وقـــد أبحتك فاشتـــرى

ولم يكُن عند «على» مايتصدق به على الفقير السائل ، وبينا هما كذلك ، جاء من يخبر الخليفة أن أخماسْ بيت المالْ قد وصلت فى البلد الفلانى ، فكتب «على» على الرمل أيضاً :

وافَيْتَـــا فأتـــاك عاجـــل برنـــا
فَاقْنَـــا .. ولـــو أمهلتنـــا لم نقتـــر
فخـــذ القليـــل وكـــن كأنك لم تبـــع
ماء الحيـــا ، وكأننـــا لم نشتـــر

وَأعطاهُ سُؤْلَهُ .

النفس العالية

ســـأتـــرك مـــاءكم من غيـــر وِرْدٍ
وذاك لكثـــرة الْـــوُرَّادِ فيـــه
إذا سقط الذبـــابُ على طعـــامٍ
رفَعْتُ يَـدَى ونفســـى تشتهيـــه
وتَجتنـــبُ الأســـودُ وُرُودَ مَـــاءٍ
إذا كـــان الكـــلابُ ولَغْـــن فيـــه !!.
ويرتجـــع الكريـــمُ خميـــصَ بطـــنٍ
ولا يَرْضَـــى مســـاهمةَ السَّفيـــه !!

التحرج من الفتيا :

قال «على» كرم اللهْ وجهه : من أفتى الناس بغير علم لعنته السماء والأرض .

وكان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء :

ـ الإمامة، والوديعة، والوصية، والفتوى ؛ وقيل : أسرع الناس إلى الفتوى أقلهم علماً ، وأشدهم دفعا لها أورعهم ، وقال صلى الله عليه وسلم : «أجرؤكم على النار أجرؤكم على الفتوى»(٦٧٠) وقال «ابن مسعود» رضى الله عنه : إن الذى يفتى الناس فى كل مايستفتونه لمجنون .

أمالك ذنوب ؟ :

قال «الأصمعى» : أُتى «المنصور» بسارق فأمر بقطع يده فأنشد السارق :

يدى ياأمير المؤمنين أعيذها
بحقويك(٦٧١) من عارٍ عليها يشينها
فلا خير فى الدنيا ولا نعيمها
إذا ماشِمالٌ فارقتها يمينها

فقال «المنصور» : ياغلام اقطع يده إن هذا حَدٌّ مِن حدود الله وحق من حقوقه ولاسبيل إلى تعطيله ، قالت أم السارق : إنَّه واحدى وكادحى وكاسبى ، قال : بئس الواحد واحدك ، وبئس الكادح كادحك وبئس الكاسب كاسبك ؛ ياغلام اقْطع يده . فقالت أم السارق : ياأمير المؤمنين أما لَكَ ذُنُوب تَستغفر الله منها ؟ قال : بلى ؛ قالت : هَبْهُ لى واجعل هذا من ذُنوبك التى تستغفر الله منها ، فخلى سبيله ووهبه لها .

من الشعر :

بِأَرْبَعَةٍ أَرْجُو نجاتى وإنَّها
لأكرم مَذْخُور لدى وأعْظَمُ
شهادة إخلاصى ، وَحُبِّى محمدا
وَحُسْنُ ظنونى ، ثم أنى مُسْلِمُ

(٦٧٠) رواه الدارمى فى المقدمة ٢٠ .
(٦٧١) الحقوان : الخصر والإزار .

إبليس مُغَفّل

عجِـــبْت من إبلـــيس فى غفلتـــه
وَخُـــبْث ماأظهـــره من نيتـــه
تاه على « آدم » فى سجدتـــه
وصار قواداً لذريتـــه

الصبر والثبات فى الحرب :

أقـــول لها وقـــد طارت شعاعـــاً
من الأبطـــال ويحك لـــن تراعـــى
فإنك لو سألت بقـــاء يوم
على الأجـــل الـــذى لك لن تطاعـــى
فصبرا فى مجال المـــوت صبرا
فمـــا نيـــلُ الخلـــود بمستطـــاع

وأنشد «على بن رشيق القيروانى» :

الأسر خَيْـــر مِنَ الفـــرار
والقتـــل خَيْـــر من الإسار
وَشَرّ ما خفتـــهُ حيـــاة
أودت إلى ذلـــةٍ وعـــارِ

وقال الإمام « الغزالي » :

لا تَجْزَعَـــنّ لِوحْـــدة وَتفـــرُّد
ومـــن التفـــرد فى زمـــانك فآزْدَدِ

أشهى المطى :

قال «خزيمة التميمى» يفضل البِكْر على الثيب :

قالـــوا نكـــحت صغيرة فأجـــبتهم
أشهـــــى المطـــــــى إلى مالم تركب
كم بين حبـــة لؤلـــؤ مثقوبـــــة
ثُقِــــبَتْ وَحَبَّـــةَ لُؤلـــؤ لم تُثـــقب

فأجابته امرأة ترد عليه زعمه :

إن المطيـــــة لايلــــذ رُكُـــوبها
حتـــى تُذَلـــل بالزمـــام وتُـــرْكَبُ
والْـــحَبُّ لَيس بنافِـــعٍ أرْبابـــه
مالم يؤلـــف فى النظـــام ويثـــقبُ

قال الشاعر فى المشورة :

إذا ماعَـــــــرى خطب ورُمْتَ وروده
فَشاوِر فكـــم نجح هدتـــــه المشورة

وقال غيره :

وأنفـــع من شاورت من كان ناصحـــاً
شفيقـــاً فأبْصر بَعْــــده من تُشاوِرُه

وقال آخر :

تمَسَّك بِأهْــــداب المشورة واسْتَعِـــــنْ
بحَـــزْم نصيـــح أو نصيحـــة حازم
ولاتجعـــل الشورى علـــيك غضاضة
فريش الخوافى قوة للقـــــــــوادم

قال بعض الشعراء فى السياسة :

إذا كُنتُمْ لِلنَّاس أُهْل سياسة
فَسوسوا كرام الناس باللين والبذْل

وسوسوا لِئام النَّاس بالذل يصلحوا
على الذل إنَّ الذل يَصْلح لِلنَّذل

ودخل رجل على «الرشيد» فازدراه ، فأنشد يقول :

ترى الرجُل الخفيف فتزدريه ... وفى أثوابه أسدٌ هَصُور
ويُعجُبك الطرير فتبتليه ... فَيُخلِفُ ظَنّك الرجل الطرير
لقد عَظم البعير بغير لبٍ ... فلم يستغن بالعظم البعير
يُصرفه الصبى بغير وجه ... ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى ... فلا عارٌ عليه ولا نكير
فإن أك فى شراركم قليلا ... فإنى فى خياركُمُ كثِيرُ

ولكن أخر القدر :

حكى أن «سليمان بن عبد الملك» أمر «الفرزدق» بضرب أسارى من الروم ، فاستعفاه[٦٧٢] الفرزدق فلم يفعل ، وأعطاه سيفا لايقطع شيئا ، فقال «الفرزدق» : بل أضربهم بسيف «أبى رغوان مُجاشع» يعنى سَيْف نفسه ؛ فقام فضرب به عنق رومى منهم فنبا السيف عنه ، فضحك «سليمان» ومن حوله .

---

(٦٧٢) طلب أن يعفيه من القيام بهذه المهمة .

فقال الفرزدق :

أَيَعجَبُ النـاسُ أنْ أضحَكْتُ سَيِّدهم
خليفـة الله يُستَسْقى بِهِ الْمَطَر

لم يَنْبُ سَيفي مِن رعب ولا دَهشٍ
عَن الأسير ولكن أخر الْقَدَرُ

وَمَنْ يقدم نفْسا قَبل ميتتها
جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

ثم غمد سيفه وهو يقول :

ما إن يُعاب سيد إذا صبا ولا يعاب د رِم إذا نبا
ولا يعاب شاعر إذا كبا

ثم جلس وهو يقول : كأنى بجرير وقد هجانى فقال :

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع
ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ثم قام وحضر «جرير» فأنشد يقول :

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع
ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضلالة أعرابى :

قال «الأصمعى» : ضاعت لى إبل فخرجت فى طلبها وكان البرد شديداً فالتجأت إلى حى من أحياء العرب ، وإذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكِساء وهو يرتعد من البرد وينشد :

أيـــارَبّ إن البرد أصْبـــحَ كالِحـــاً
وأنت بحالى ياإلهى أعْلـــــــــم
فإن كُنت يَوْمـــاً فى جَهَنـــم مُدخلى
فَفـــى مثـــل هذا اليَـــوْم طَابَتْ جَهَنَّـــمُ

فقال «الأصمعى» : فتعجبت من فصاحته وقلت له : ياشيخ أما تستحى تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير ؟ فأنشد يقول :

أيطمـــعُ ربى أن أصَلّـــى عاريـــاً
ويـــكسو غَيْـــرى كسوَةَ البَـــرْد والحر
فو الله ماصَلَّـــيْتُ ماعِشْتُ عاريـــاً
عِشاءً ولا وقت المغـــيب ولا الوتـــر
ولا الصبـــح إلا يومَ شمس دفيئـــةٍ
وَإن غَيّـــمَتْ فالويـــل للظهْـــر والْـــعَصْر
وإن يكسُنـــى ربى قميـــصاً وَجُبـــة
أُصلى له مَهْمـــا أعِـــيشُ مِنَ الْعُمْـــر

فقال «الأصمعى» : فأعجبنى شعره وفصاحته ، فنزعت قميصاً وجبة كانا علىَّ ودفعتهما إليه ، وقلت له : البسهما وقم فَصَلِّ ، فاستقبل القبلة وصلى جالساً وجعل يقول :

إلـيْكَ اعتـذارى من صلاتى جالساً
على غَيْـر طُهْـر مُوميـاً نحْـو قِبلتـى

فمـالى ببرد الماء يارَبّ طاقَـة
وَرجْـلاى لاتَقْـوى على ثَنْـى رُكْبَتـى

ولكـن أسْتَغْفِـرُ الله شاتيـاً
وأقْضيكهـا يارَب فى وَجْـه صَيْفَتـى

وإن أنـا لم أفعـل فَأنْتَ محكـم
بما شِئت من صَفْعى وَمِـنْ نَتْـف لِحْيَتـى

قال : فتعجبت من فصاحته وضحكت منه وانصرفت .

فهرس الكتاب

الموضوع | الصفحة

الباب الأول

الحوادث والأخبار

الباب الثانى

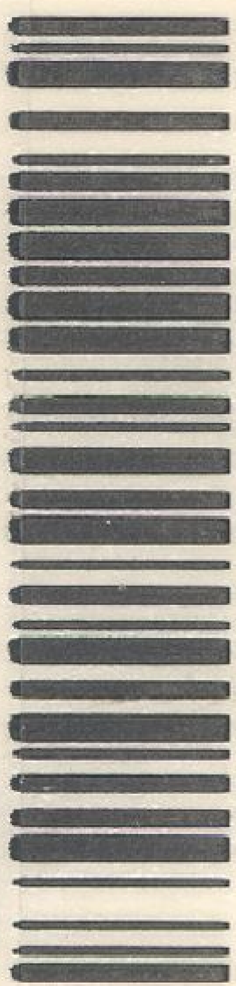
الباب الثالث

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٥٨٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ ـ شارع نشاطى شبرا القاهرة
ت ٧٧٣٢٢١٠

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق
القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١



٤٠٠ قرش